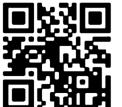


الفيصل
Alfaisal
مجلة ثقافية شهرية - السنة ٣٩ - الجماديان ١٤٣٦هـ/ مارس- إبريل ٢٠١٥م
لماذا ينتحر صناع الضحك؟
ALFAISAL Mag
٤٦٧ - ٤٦٨

www.alfaisalmag.com





www.alfaisalmag.com

٤	أخبار	العالم في شهر	التحرير
٨	قضايا	المواجهة الأمريكية الروسية: الحرب الأشدّ برودة	مهدي الدجاني
١٦	تحقيق	لماذا ينتحر صناع الضحك؟	عادل أيت أزكاغ
٢٤	حوار	الروائية إدنا أو براين: الكتابة نوع من المشي في أثناء النوم!	ترجمة: محجوب عباس
٣٢	تاريخ	دليل كتابة الأكّديين في ورق البرديّ والرَّق	جاسر أبو صفية
٤٠	قصة	أودية الضوء	إيهاب عبدالعزيز
٤٢	دراسة	الحلاقون والجراحون قصة الانفصال	ناصر أحمد محمد سنة
٦٠	منوعات	نوافذ	التحرير
٥٨	كتب	أكثر الكتب رواجاً في مارس وإبريل ٢٠١٥م	التحرير
٦٢	قصيدة	سنديانة روحي	فتحي أبو المجد
٦٣	صورة	لحظة	التحرير
٦٤	وثائق	محمد صلى الله عليه وسلم في الوثائق والسجلات الصينية	صالح حبيب الله الصيني
٧٦	ملهمون	سيمون بوليفار.. ثورته مستمرة	التحرير
٧٩	قصيدة	وردة في جدار	أحمد إبراهيم البوق
٨٠	قصة	عفواً .. زوجي العزيز!	ترجمة: تسنيم عبدالرحمن النمر
٨٤	أعلام	أندرياس غورسكي.. صاحب أغلى الصور في العالم	حسين حسن حسين
٩٠	تراث	المسحراتي	أشرف سعد نصر
٩٦	خاتمة	تفاصيل	عبدالله الكويليت

السنة ٣٩- الجماديان ١٤٣٦ هـ/ مارس - إبريل ٢٠١٥م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

رئيس التحرير
عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
سيد علي الجعفري

الإخراج الفني
أزهري أحمد النويري

الإعلانات
هاتف: ١١٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١

ردمد
١٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر
دار الفيصل الثقافية

رقم الإيداع
مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠

مراسلات التحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية
هاتف: (٩٦٦+) ١١٤٦٥٣٠٢٧ - (٩٦٦+) ١١٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: (٩٦٦+) ١١٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- أنأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته: يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلساً . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤ جنيهات . السودان ١,٥ جنيه . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢,٥٠٠دينار . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنكاً . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٥٩٠١٩٣٣ . فاكس ٥٩٠١٩٣٣ . ٢٠٢.., سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ . فاكس ٢٣٥٢٢١٢ . ١١.٣٦٩٠٠، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . ص.ب ٩١٧ . فاكس ٣٢٣٠٠٤١٧/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ . ١٧ . ٢١٦٠٠، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٨٨٤٣ هاتف ٢٨٢١١٦٤ . فاكس ٥٦٨١١٦٤ . ٤٧٩٠٠، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٥٧٣ هاتف ١٩١٠٣٦٤ . فاكس ٢٥١٥٣٦٤ . ٦ . ٢٦٩٠٠، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ١٨٢١٣٥ . ٣٧٩٠٠، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٦٥١٣٩٤ . فاكس ٧٢٨٩١٦٢ . ٤ . ١٧٩٠٠، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢١٩٢٦ ت ٢١/١١/١٨٧١٤٢ . فاكس ٩٠٨٧١٤٢ . ٥١٩٠٠، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٣/٠٢٢٤٠٤ . ١٣ . ٢١٢٠٠ ت: ٠٢٢٠٠٢٢٣ ، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٢٠١٩١٠٣ . ٠٠٩١٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

برعاية الأمير تركي الفيصل..

عرب نيوز تحتفل بأربعينيتها



الأمير فيصل بن سعود يتسلم هدية الصحيفة من رئيس التحرير

احتفلت صحيفة عرب نيوز بمرور أربعين عاماً على تأسيسها؛ إذ انطلقت عام ١٩٧٥م لتكون بذلك أول صحيفة ناطقة باللغة الإنجليزية في المنطقة.

وتعد صحيفة عرب نيوز من أكثر الصحف الإنجليزية انتشاراً في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، ليس على المستوى الورقي فقط، إنما من حيث نشاطها الكبير على منصات الإعلام الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي.

رعى الحفل صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وألقى الكلمة الرئيسة بالنيابة عنه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سعود بن عبدالمحسن –مدير الشؤون الثقافية والعلاقات العامة بالمركز– وركز في إبراز الدور الكبير الذي تؤدّيه صحيفة عرب نيوز في رصد تطوّر المملكة العربية السعودية في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، من خلال تغطيتها الإخبارية في العقود الأربعة الماضية، وألقت الكلمة الضوء على الوضعيْن السياسيّ والإقليميّ في المنطقة بعد التطوّرات الجديدة، ودور الصحيفة في متابعة الأحداث.

وأكّد محمد فهد الحارثي رئيس تحرير صحيفة عرب نيوز، بهذه المناسبة، أن الصحيفة تهدف إلى تعزيز مكانتها في مصافّ الصحف الإقليمية والعالمية، وأن تكون أكثر الوسائل الإعلامية قبولاً وثقةً في الشرق الأوسط، وقال: إننا نودّ أن تعزز عرب نيوز مكانتها المرموقة في الصحافة الدولية، بالتركيز في توازن سياستها التحريرية، وموضوعية تقاريرها وتحليلاتها وآرائها القوية، وأن تكون المصدر الرئيس للأخبار والمعلومات للحكومات والشركات والأفراد بالمنطقة.

وقد تسلم الأمير فيصل بن سعود بن عبدالمحسن هدية تذكارية من رئيس تحرير الصحيفة مهداة إلى الأمير تركي الفيصل، كما كُرّمت الجهات الراعية للحفل.

معهد جوته الألمانيّ

يكرّم صادق جلال العظم



أعلن معهد جوته الألمانيّ فوز نايل ماك جريجور مدير المتحف البريطاني، والمدير التأسيسي القادم لقصر برلين بميدالية المعهد عام ٢٠١٥م، وحصول كلّ من الفيلسوف السوريّ صادق جلال العظم والمديرة الثقافية الألمانية البرازيلية إيفا زوفر على وسام الشرف الألمانيّ.

ويُكرَّم مع الفائزين الثلاثة بالجائزة، ثلاث شخصيات تبذل جهوداً كبيرةً ومتميزةً؛ من أجل التبادل الثقافيّ على المستوى الدوليّ، حسبما ورد في بيان المعهد، وتُسلَّم الميداليات في ٢٨ أغسطس ٢٠١٥م بمناسبة ذكرى مولد الكلاسيكيّ الألمانيّ يوهان فولفغانغ فون جوته، وذلك في قصر الحاكم في مقاطعة فايمار.

وكانت مسوغات اختيار ماك جريجور، مدير المتحف البريطاني بلندن أنه قام –من خلال عمله الإداريّ في المتحف– بتقديم صورة جديدة من الوعي التاريخيّ للعامة، ببناء المعرض الذي أقيم لذكرى سقوط جدار برلين (ألمانيا .. ذاكرة أمة)، ويتولى ماك في نهاية العام الإدارة التأسيسية للمركز الثقافيّ الجديد في قصر برلين (منتدى هومبولت) الذي يُرمَّم ويُعاد تأهيله حالياً.

أما صادق جلال العظم، فهو أحد أهمّ المثقّفين العرب، وينشط منذ سنوات من أجل حرية الرأي، وسيادة دولة القانون والديمقراطية، ويسعى من خلال نشاطه إلى مزيد من التفاهم بين العالم العربيّ والإسلاميّ وأوربا، وعلى ضوء أحداث العنف الدائرة في سورية حصل الفيلسوف وزوجته عام ٢٠١٢م على حقّ اللجوء السياسيّ إلى ألمانيا.

أما إيفا زوفر، فهي من مواليد عام ١٩٢٣م بفرانكفورت، وابنة عائلة ألمانية يهودية، تنال التكريم لعملها الدؤوب سنوات طويلة بوصفها رئيسة مسرح (تياترو ساو بيدرو) في البرازيل، وقد جاء في البيان أنها أوجدت خلال عملها الملتقى العالميّ الوحيد لفناني خشبة المسرح بعيداً من كل الأهواء.

لجنة بوكر العربية:

«الطلياني» رواية مدهشة

فازت رواية (الطلياني) للتونسي شكري المبخوت بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام ٢٠١٥م، التي أُعلنت مؤخراً في أبو ظبي بحضور لجنة التحكيم ومؤلِّفي ست روايات هي حصيلة ما حصرته لجنة التحكيم لنيل الجائزة في دورتها الثامنة.

والمبخوت أول تونسيّ يفوز بالجائزة، و(الطلياني) هي روايته الأولى، وضمّت القائمة القصيرة - إلى جانب (الطلياني) - خمس روايات هي (حياة معلّقة) للفلسطينيّ عاطف أبو سيف، و(طابق ٩٩) للبنانية جنى فواز الحسن، و(ألماس ونساء) للسورية لينا هويان الحسن، و(شوق الدرويش) للسوداني حمور زيادة، و(ممرّ الصفصاف) للمغربي أحمد المديني.

وينال كلّ روائي تضمّنت القائمة القصيرة روايته عشرة آلاف دولار، أمّا الفائز فيحصل على ٥٠ ألف دولار، وتُنظَّم الجائزة سنوياً بالمشاركة مع مؤسسة جائزة بوكر البريطانية بلندن، وبدعم من هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة بالإمارات.

وأُعلِن عن الجائزة في أبو ظبي في إبريل عام ٢٠٠٧م، وفاز بها في دورتها الأولى عام ٢٠٠٨م الروائيّ المصريّ بهاء طاهر، وذهبت الجائزة في الدورات السبع الماضية إلى مصريَّيْن اثنين، وعراقيّ، ولبنانيّ، وسعوديّ، وكويتيّ، وتقاسمها عام ٢٠١١م كلٌّ من المغربيّ محمد الأشعريّ، والسعودية رجاء عالم.



وتدور أحداث الرواية الفائزة حول سيرة الطالب اليساريّ عبد الناصر الطلياني، الذي كان فاعلاً وشاهداً على أحلام جيل تنازعته طموحات وانتكاسات في خِضَم صراع ضارٍ بين الإسلاميين واليساريين ونظام سياسيّ ينهار على إثر تحوّلات في القيّم خلخلت بنيان المجتمع التونسيّ أواخر عهد الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، وبداية حكم الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي.

وقالت لجنة التحكيم برئاسة الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي في حيثيات الفوز: «إن (الطلياني) رواية أولى مدهشة... رحلة في عوالم الجسد والبلد، الرغبة والمؤسسة، والانتهاك والانتهازية، وتناول بارع لارتباك العالم الصغير للأفراد والعالم الكبير للبلاد».

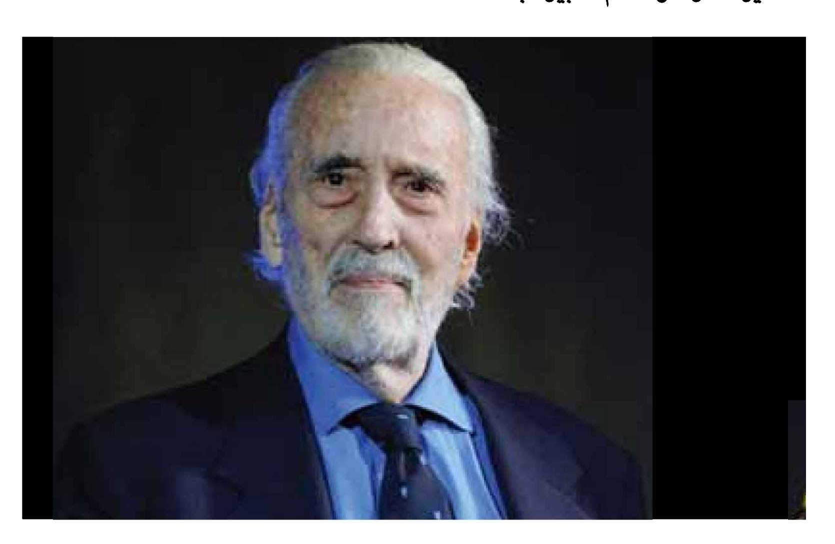
وفاة السير كريستوفر لي

تُوفِّي مؤخراً الممثل الإنجليزيّ السير كريستوفر لي، الذي أدّى أدواراً سينمائية بارزة في أفلام شهيرة، عن عمر يناهز ٩٣ عاماً، وبلغ تعداد أفلامه ٢٥٠ فلماً.

وارتبط كريستوفر بشخصيات الرعب في السينما العالمية، مثل: مصاص الدماء دراكولا، والوحش فرانكنشتين، وغيرهما من الأفلام التي أنتجتها شركة هامر البريطانية، وبرز كريستوفر لي في أدوار الشرّ، منها: سكارامانغا في فلم (جيمس بوند)، وشخصية الساحر الشرير: سارومان في فلم (سيد الخواتم)، ومن أهم أفلامه: ويكر مان، وستار وورز (حرب النجوم).

ومُنح لي لقب (فارس) عام ٢٠٠٩م للخدمات الجليلة التي أدّاها للدراما، وما قدمه من أعمال خيرية إضافةً إلى حصوله على زمالة جمعية الفنون السينمائية والتلفزيونية البريطانية (بافتا) عام ٢٠١١م .

وأعرب كثير من الفنانين عن حزنهم لوفاة لي، فكتب روجر مور بطل أفلام جيمس بوند، على موقع التواصل الاجتماعي تويتر: محزن جداً أن تفقد أحد أصدقائك القدامى، وكريستوفر كان صديقاً قديماً لي، فنحن أصدقاء منذ لقائنا الأول عام ١٩٤٨م.



وقال دومينيك موناغان، الذي شاركه بطولة فلم (سيد الخواتم): لقد حزنني جداً وفاة كريستوفر لي، لقد كان شخصاً رائعاً.

وعمل السير كريستوفر لي مع المخرج تيم بورتون في خمسة أفلام، من بينها: سليبي هولو عام ١٩٩٩م، وشارلي ومصنع الشيكولاتة عام ٢٠٠٥م، ووصفه بورتون بأنه كان مصدراً لا ينضب من الإلهام.



حادث سير يغيّب

عالم الرياضيات الأمريكيّ جون ناش

لقي عالم الرياضيات الأمريكيّ المعروف جون ناش (٨٦ عاماً) - الحائز جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٤م - مصرعه في حادث سيارة أجرة هو وزوجته أليسيا (٨٢ عاماً) بالقرب من بلدة مونرو، التي تقع على بعد ٢٤كم شمال شرق مدينة ترينتون بولاية نيوجيرسي، في أثناء عودتهما من المطار إلى البيت.

وذكرت الشرطة الأمريكية أن الحادث وقع عندما حاول قائد سيارة الأجرة تخطّي سيارة أخرى على الطريق السريع تورنبايك - نيوجيرسي، لكنه فقد السيطرة على السيارة، فاصطدمت بحاجز الطريق قبل أن ترتطم بالسيارة الأخرى، وقذف الحادث الزوجين إلى خارج السيارة؛ فماتا في الحال، ونُقل طارق جرجس -سائق سيارة الأجرة، وهو من أصول مصرية- إلى مستشفى قريب مصاباً بجروح طفيفة، وشكا الطرف الآخر في الحادث من آلام في الرقبة.

وكان جون فوربس ناش قد وُلد في ١٣ يونيو عام ١٩٢٨م في بلوفيلد بمقاطعة ويست فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية لأب كان يعمل مهندساً كهربائياً، وأم معلمة. كان جون قارئاً متعطشاً لموسوعة كومبتون الصورية، ومجلة الحياة، ومجلة تايم، وعمل في مكتب التلغراف اليومي في بلوفيلد. وكان يقوم في سنّ الثانية عشرة بالتجارب العلمية في غرفته الخاصة في البيت، وكان منذ نعومة أظفاره لا يحبّ أن يقوم بالأعمال بمساعدة الآخرين، بل كان يفضّل أن يقوم بها وحده، وكان يبدو مختلفاً عن بقية الأطفال. عندما كان في المرحلة الثانوية كان يحضر الدروس في كلية بلوفيلد، ودرس بعدها في معهد كارنيجي للتكنولوجيا (جامعة كارنيجي ميلون الآن) في بنسلفانيا بعد حصوله على منحة ويستنجهاوس الدراسية، فدرس الهندسة ثم الكيمياء قبل أن يتحوّل إلى دراسة الرياضيات، ويحصل على شهادتي البكالوريوس والماجستير من كارنيجي ميلون.
حصل ناش على درجة الدكتوراه من جامعة برنستون في نيوجرسي عام ١٩٥٠م عن بحثه على الألعاب غير التعاونية، وكان إسهام ناش في نظرية الألعاب متمثّلاً في نظرية التوازن، التي حملت اسمه فيما بعد؛ لتكون (نظرية ناش للتوازن)، ومن أشهر أعمال جون ناش في الرياضيات البحتة هي (نظرية التضمين)، كما أسهم في نظرية المعادلات التفاضلية الجزئية.
عمل ناش مدرساً في كلية الرياضيات في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (إم آي تي) من عام ١٩٥٥م إلى استقالته عام ١٩٥٩م، وتزوّج إليسيا لوبيز هاريسون دالارد من السلفادور، وكانت تعمل في قسم الفيزياء بالمعهد نفسه، ونشر ناش ٢٣ بحثاً علمياً في المدة (١٩٤٥- ١٩٩٦م).
حصل ناش على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٤م عن عمله بشأن نظرية الألعاب أو المباراة في اتخاذ القرارات، التي تحظى باستخدامات كثيرة في الاقتصاد والتفاوض التجاريّ، وهي النظرية التي تساعد على معالجة أهم مشكلات المجتمعات المعاصرة، واشتهر ناش بذكائه الحاد، وغرابة أطواره، وظلّ مرتبطاً عدة سنوات بجامعة برنستون، التي حصل على درجة الدكتوراه منها، وكانت آخر وظيفة شغلها فيها هي باحث رياضيات أول. ومنحته الأكاديمية النرويجية للعلوم والآداب في أوسلو -قبل أيام قليلة من وفاته- جائزة أبيل في الرياضيات، التي تعادل جائزة نوبل، رفقة عالم الرياضيات لويس نيرنبيرج من جامعة نيويورك؛ تقديراً لإسهاماته في علم الرياضيات، كما نال عام ١٩٧٨م جائزة نظرية جون فون نيومان عن اختراعه في التوازنات غير المتعاونة، التي تسمى الآن (توازنات ناش). وفاز بجائزة ليروي ستيل عام ١٩٩٩م، وحصل عام ١٩٩٤م على جائزة البنك السويدي في علوم الاقتصاد.

معجم كردي

لمصطلحات الأدب والعلوم الإنسانية

صدر أخيراً للكاتب الكرديّ العراقيّ نوزاد أحمد أسود (معجم مصطلحات الأدب والعلوم الإنسانية) باللغة الكرديّة، عن دار (غزلونس للطباعة والنشر).

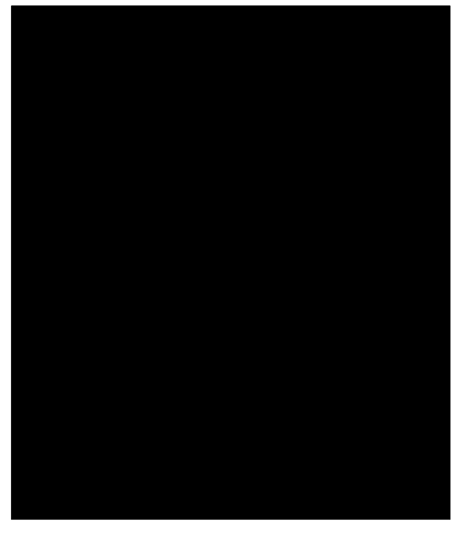
يضمّ المعجم أكثر من ١٣٠ مصطلحاً مشتركاً بين مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتأصيلها باللغة الكردية، ومن المصطلحات التي يتناولها المعجم: الأركيولوجيا، والأيديولوجيا، والثيولوجيا، والبراجماتيّة، والعلمانيّة، ومصطلحات أخرى في النقد، مثل: البنيويّة، والنقد الثقافيّ، والنقد النسويّ، والنقد النفسيّ، والشكلانيّة. وفي حديث له عن إصداره مع (العربي الجديد)، يقول نوزاد أحمد أسود: الهدف من هذا المعجم هو تناول المصطلحات المشتركة في مجالات البحث الأدبيّ، والنقد، والتاريخ، والفلسفة، وعلم اللاهوت، وعلم اللغة؛ للاستفادة منها وترسيخها من أجل رصانة اللغة البحثية، والعمل على تطوير المصطلحات نفسها أيضاً.

ويضيف: إن التقارب والعمل المشترك بين العلوم الإنسانية والاجتماعية أدّى إلى عدم توقّف الباحثين عند مصطلحات اختصاص معيّن، بل اضطروا إلى اللجوء إلى مصطلحات العلوم المجاورة أيضاً.

ويعزو أسود هذا الأمر إلى: التخلّص من أحادية المنهج، ودوغمائية الاختصاص الدقيق في العلوم الإنسانية بصورة خاصة، وترسيخ تعددية المنهج، وانفتاح الحدود بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، إن لم نقل محو الحدود بينها. هذا ما نراه اليوم في الجامعات المتقدّمة، وهذا ما يُمارَس في البيئات العلمية المتقدّمة، إضافةً إلى العمل المعجميّ، تطرّق أسود في كتابه إلى مسألة تمييز المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي للمصطلح؛ لأنّه لا يمكن فهم المعرفة أو علم من العلوم من دون فهم مصطلحاتهما في سياقاتهما العلمية الدقيقة، والتفريق بينهما حين يمرّانِ خارج هذه السياقات أو يَرِدانِ فيها.

أسطورة البلوز الأمريكي

«بي بي كينج» يفارق الحياة



تُوفّي مغني البلوز الأمريكيّ بي بي كينج في ١٤ مايو ٢٠١٥م بمنزله بلاس فيجاس عن عمر يناهز ٨٩ عاماً.

ولد عازف الجيتار ومغني البلوز وكاتب الأغاني الأمريكيّ، رايلي بي كينج، في ١٦ سبتمبر عام ١٩٢٥م بالميسيسبي، وفُصِل كينج من المدرسة عندما كان بالصفّ العاشر، وقضى سنواته الأولى أغلبها في جني القطن والعمل سائقاً لجرار، وحصل على أول جيتار بنحو ١٥ دولاراً حين كان في الثانية عشرة من عمره، وبعد مدة قصيرة أمضاها بالجيش خلال الحرب العالمية الثانية عاد كينج إلى منزله ليعمل مزارعاً، لكن حادث جرار تعرّض له دفعه إلى التخلّي عن تلك الحياة، وبدء حياة أخرى في ممفيس، حيث انطلقت مسيرته الموسيقية في أواخر عام ١٩٤٠م.

وأتيحت له فرصة المشاركة في برنامج إذاعيّ مدة ١٠ دقائق، وأُطلِق عليه منذ ذلك الوقت لقب: صبي البلوز في شارع بيل Beale Street Blues Boy، وهو اللقب الذي اختُصر ليصبح حرفي (بي بي) الشهيرين لاسمه.

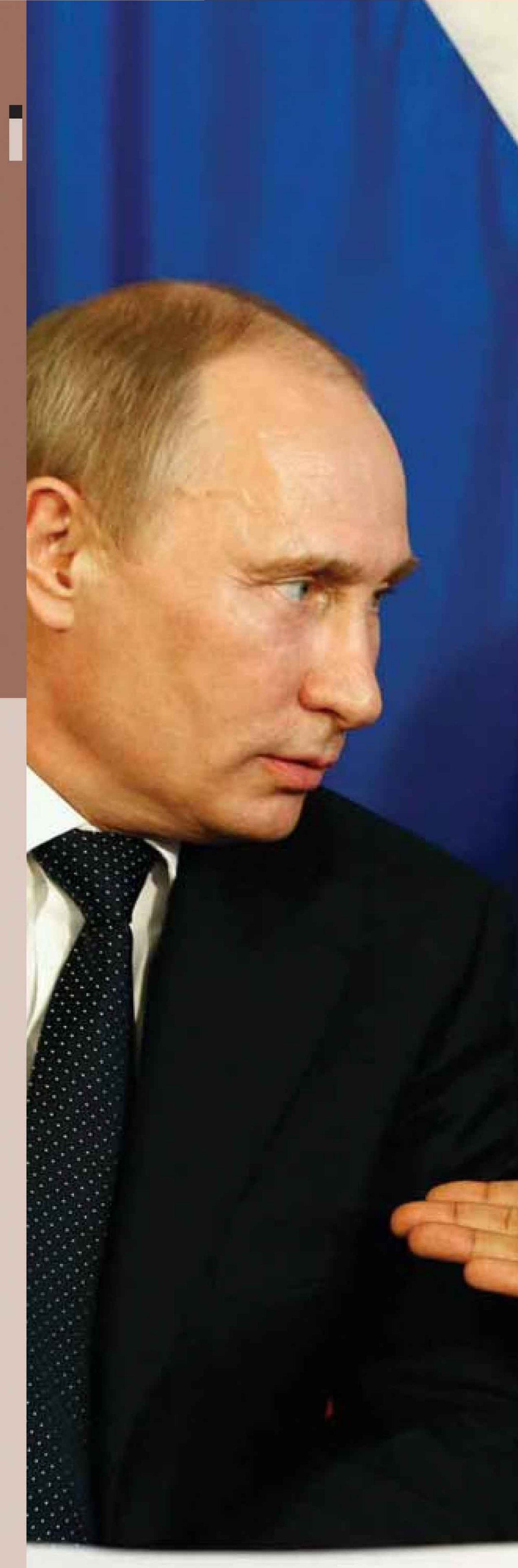
وعلى مدى سبعة عقود أنتج ملك البلوز عشرات الألبومات بتسميات مختلفة، منها: (The Thrill Is Gone)، و(O'Clock Blues 3)، و(You Know I Love You)، و(Every Day I Have The Blues)، وغيرها.

وكان بي بي كينج يعزف على جيتار من إنتاج شركة جيبسون يطلق عليه اسم لوسيل، وفاز ملك البلوز بجائزة جرامي أول مرة عام ١٩٥١م، ثم توالى فوزه بالجائزة فيما بعد ليحصل عليها ١٥ مرة خلال مسيرته الفنية، كان آخرها عام ٢٠٠٩م عن ألبوم One Kind Favor، وأُدرِج اسمه عام ١٩٨٤م بقاعة مشاهير مؤسسة البلوز، على حين أُدرِج عام ١٩٨٧م بقاعة مشاهير الروك آند رول، وفي عام ٢٠٠٣م صنّفته مجلة رولينج ستونز في المركز السادس في قائمتها لأفضل ١٠٠ عازف جيتار في التاريخ، وجرى التصديق رسمياً على شهرته، عندما احتفى الرئيسان الأمريكيان: بيل كلينتون، وجورج بوش، بإنجازاته في حفل تكريم خاصّ بمركز كينيدي.

مهدي الدجاني | السعودية



المواجهة الأمريكية الروسية:
الحرب الأشدّ برودة



THE COLDER WAR

How the Global Energy Trade Slipped from America's Grasp

MARIN KATUSA

CASEY RESEARCH WILEY

شـرعت دار نشـر ويلـي Wiley فـي أكتوبر عام ٢٠١٤م في إصدار كتاب:

The Colder War: How the Global Energy Trade Slipped from America's Grasp، للمؤلـفماريـن كاتوسـا، الذي يتنـاول صعود البوتينية وروسيا والتوتر الأمريكيّ الروسيّ. وتلقّت الدوائر الفكرية الكتاب بعناية واهتمام، وحاز الكتاب مسـاحة واسـعة من النقاش في الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وغيرهما، ولعـلّ أكثر ما جـذب انتباه القارئين هو توسّـع الكتـاب فـي البُعـد الاقتصـاديّ للمواجهـة الأمريكيـة الروسـية، خصوصـاً مسـألة الصـراع علـى الطاقـة، وزاد الكتـاب أهميـةً أن مؤلّفه يقدّم نفسـه بوصفه خبيراً اقتصاديـاً متخصّصاً في مجال الطاقة.

تحليلات قاصرة

لعلّ واحداً من مساعي الكتاب التمهيدية المسعى المزدوج لإماطة اللثام عن عمق الظاهرة البوتينية وعمق ظاهرة صعود روسيا، وفي الوقت نفسه إماطة اللثام عن عدم علم القائمين على السياسة الأمريكية الخارجية وجود نجم بوتين في الفضاء الروسيّ في وقت مبكّر، وما أعقبه من سطحية في فهم ظاهرة صعود بوتين وروسيا، فالكتاب ينتقد ما يراه تحليلات قاصرةً تبسيطيةً لشخصية فلاديمير بوتين، ويضرب مثلاً ما ذهب إليه بعض المتّصلين بالسياسة الخارجية الأمريكية من عدّ الشخصية البوتينية شخصيةً ليس لها جذور إلا في غرف جهاز الاستخبارات الروسي KGB المظلمة، ويضرب مثلاً آخر ما ذهب إليه بعض الساسة من عدّ الشخصية البوتينية شخصيةً نابليونية الطابع ترتكز حول ذاتها في شكل يجعلها تُصنَّف ضمن الشخصيات النرجسية، وما ذهب إليه بعض المحلّلين من عدّها شخصيةً هتلريّة الطابع.

العقد المفقود

وينتقد الكتاب من يتعامل مع بوتين ويصفه بأنه ظاهرة مؤقّتة زائلة، ويخصّص الكتاب القسم الأول منه لاستعراض صعود بوتين إلى سُدّة الأمر في روسيا، وصعود روسيا نفسها في ربع قرن اعتباراً من تفكّك الاتحاد السوفييتيّ، وفي هذا القسم يتعمّق الكتاب في إزاحة الستار عن فظائع العقد المفقود The Lost decade، الذي يقصد الكتاب منه العقد الأخير من القرن الميلادي المنصرم، الذي ذاق في أثنائه الشعب الروسي الأمرّين، ويبيّن الكتاب إسهام النفوذ الغربيّ في إذلال روسيا، ويخصّص قسماً خاصاً لمناقشة حربَيْ الشيشان بين عامي (١٩٩٤- ١٩٩٦م) و(١٩٩٩-٢٠٠٠م) والدور الغربيّ فيهما، ويكشف عن غياب القانون، وانعدام الأمن، واستشراء الفساد، وانتشار الجريمة المنظّمة في ربوع هذا البلد في أثناء هذا العقد، ويستعرض الكتاب كثيراً من حوادث العنف موحياً أنها مدبَّرة خصّيصى؛ لتعبئة المجتمع الروسيّ وراء بوتين في أثناء حرب الشيشان الثانية بين عامي (١٩٩٩-٢٠٠٠م)، التي كان بوتين في أثنائها يشغل منصب رئيس الوزراء، وفصل الكتاب القول في كيفية اضطلاع بوتين صاحب عقلية المحارب السلافيّ Slavic warrior mentality –حسب

■ الكتاب ينتقد ما يراه تحليلات قاصرةً لشخصية بوتين، ويعدّها شخصيةً ليس لها جذور إلا في جهاز الاستخبارات الروسي

■ حرب أشدّ برودةً من الحرب الباردة أخذت رحاها تدور بين القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ والقرار الإمبراطوريّ الروسيّ



وصف الكتاب إيّاه- بدور رئيس في توجيه العمليات العسكرية، وفي كيفية استفادة بوتين من الإنجاز العسكريّ الذي تحقّق، خصوصاً في ضوء الموازنة التي عقدها المواطن الروسيّ بين هذه الحرب وحرب الشيشان الأولى التي قادها يلتسين بين عامي (١٩٩٤- ١٩٩٦م).

حرب أشد برودة

أما خلاصة الكتاب فهي أن من غايات النهج البوتينيّ الكبرى نزع زمام التحكّم في الاقتصاد العالميّ من يد راعي البقر الأمريكيّ، وأن ثمة حرباً أشدّ برودةً من الحرب الباردة أخذت رحاها تدور بين القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ والقرار الإمبراطوريّ الروسيّ، ومن بين الوسائل الكبرى لتحقيق هذه الغاية إنهاء سياسة ربط عناصر الطاقة بالدولار، المعروفة باسم البترودولار، بوساطة المتاجرة بالطاقة باستخدام عملات أخرى، ولعلّ أول ما يعمد إليه الكتاب في هذا الموضوع هو بيان عناصر عملية انتزاع النهج البوتينيّ زمام موارد

الطاقة على المستوى المحليّ، وتشمل تلك العناصر انتزاع السيطرة على قطاع الغاز، ثم قطاع النفط، ثم قطاع اليورانيوم؛ بُغية تدشين سياسة طاقة روسية وطنية موحّدة، وفيما يتّصل بإنهاء الارتباط بين الدولار والنفط، فإن الكتاب يرى أن تباشير ذلك أخذت تظهر في الأفق، ويسوق لذلك كثيراً من الأمثلة؛ منها سعي كثير من البلدان إلى إجراء تبادل تجاري يعتمد المتاجرة في مجال الطاقة بعملات غير الدولار. وتأكيداً للانفصال بين النفط والدولار بات أمراً حتمياً، فقد خصّص الكتاب الفصل الأخير منه لتناول وضع الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء ظاهرة البترودولار Post Petro- dollar America، وفي الوقت الذي يسوق الكتاب هذه الخلاصة فهو يخالف خلاصةً اتّفق عليها كثير من خبراء المال ممن يستبعد انتهاء ظاهرة ارتباط الدولار بالنفط على الأمد المنظور استبعاداً حاداً.

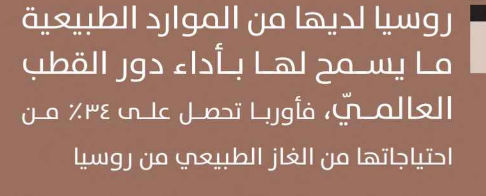
من ناحية أخرى يجذب الكتاب الانتباه إلى أن روسيا لديها من الموارد الطبيعية ما يسمح لها بأداء دور القطب العالميّ بسهولة، ويعزّز الكتاب نظريته بتذكير القارئ بحجم اعتماد الاقتصاد الأوربيّ على الموارد الروسية، ويضرب لذلك مثلاً أن أوربا تحصل على ٣٤٪ من احتياجاتها من الغاز الطبيعي من روسيا، وهو ما يطمح بوتين في أن يزيده، كما أن الاقتصاد الأمريكيّ نفسه يعتمد على الموارد الروسية، ويضرب الكتاب لذلك مثلاً أن واحداً من كل خمسة بيوت أمريكية يعتمد على الطاقة الروسية، وأخيراً يأخذ الكتاب من خطاب بوتين العسكريّ جدية الاستعداد للانخراط في مواجهات عسكرية.

سوء النهج الأوبامي

في سياق تناول المواجهة الأمريكية الروسية تقييم الكتاب أداء النهج الأوبامي سلبيّ جداً، فالكتاب يرى أن النهج الأوباميّ قد عمّق الجرح الاقتصادي الأمريكي؛ بسبب تبنّي إدارة أوباما سياسةً ماليةً سيئةً نتج منها زيادة الدين العام، وزيادة إرهاق المواطن الأمريكيّ البسيط، ويرى الكتاب أن النهج الأوباميّ قد مهّد السبيل للتلاقي الروسيّ الصينيّ، وأن هذا التلاقي يعدّ واحداً من أوجه الاختلاف بين الحرب الأشد برودةً الراهنة والحرب الباردة التي لم تشهد تلاقياً مشابهاً، ويخلص الكتاب إلى النتيجة المثيرة التي مضمونها أن النهج الأوباميّ قدّم بسياسته الخاطئة خدمات إلى النهج البوتينيّ.

صعود بوتين

لعل واحداً من الأسئلة الأساسية التي تتبادر إلى الذهن في أثناء قراءة سطور الكتاب وبعدها هو: هل أعطى الكتاب وزناً نوعياً مبالغاً فيه للعامل الشخصيّ على حساب عوامل أخرى مثل العامل المؤسّسي ضمن سياق الحديث عن صعود بوتين وروسيا في أثناء ربع القرن المنصرم؟ لقد أوغل الكتاب في الحديث عن طموح بوتين، وكيفية انتقاله في مدة وجيزة من عميل مخابرات إلى رئيس وزراء في إدارة يلتسين، ثم إلى قائم بأعمال الرئاسة. ويذكر الكتاب بعض الترتيبات التي مهّدت السبيل لصعود بوتين، التي تشير إلى أن وراء صعوده دوائر في الأجهزة السيادية الروسية، وأن ثمة خطّة مؤسّسية جماعية لنزع مخالب النفوذ المنافس من أحشاء الدبّ الروسيّ. ومن يسعَ إلى وزن العاملين الشخصيّ والجمعيّ يجد أن الكتاب قد انطلق من الافتراض الذي مضمونه


روسيا لديها من الموارد الطبيعية ما يسمح لها بأداء دور القطب العالميّ، فأوربا تحصل على ٣٤٪ من احتياجاتها من الغاز الطبيعي من روسيا




برجنسكي

أن كفّة العامل الشخصيّ راجحة جداً، إضافةً إلى مؤشرات أخرى تجعل المرء يستخلص تأثّر الكتاب بنظرية الرجال العظماء Great man Theory، ويذهب حاملو هذه النظرية إلى القول: إن التاريخ في جوهره صناعة قادة أفراد أفذاذ برّزوا في أثناء حقبه المختلفة، وفرضوا أنفسهم، وأمسكوا زمام قيادة مجتمعاتهم، واختطّوا لها طرائق جديدة، وازداد رواج هذه النظرية في الحقبة الأخيرة من الحداثة، ولا مراء في أن الافتتان بالعامل الشخصيّ كان باعثاً أساسياً من بواعث ظهور هذه النظرية.

وتنبئ سيرة الحداثة خصوصاً في محطاتها الأخيرة بأنه قد ظل مدة طويلة وجود تزاحم بين العاملين الشخصيّ الذي يمثّله القائد الفذّ، والجمعيّ الذي يمثّله الحزب الشموليّ، وشهد التاريخ الروسيّ نفسه صورةً من صور هذا الصراع بين العاملين الشخصيّ والجمعي؛ ففي أثناء العصر اللينينيّ، ثم الستالينيّ كانت الكلمة العليا للعامل الشخصيّ، أما بدءاً من عهد

الكتـاب يـرى أن النهـج الأوباميّ قـد عمّق الجـرح الاقتصـادي الأمريكي؛ بسـبب تبنّي إدارة أوباما سياسةً ماليةً سيئةً نتج منها زيادة الدين العام.

خروشوف، فقد كانت الغلبة للحزب الشموليّ، فهل كان صعود بوتين نتيجة تعاضد العاملين الشخصي والجمعي، أم أن العامل الشخصي هو الذي قاد العامل الجمعيَّ خلفه؟ لا مراء في أن السؤال مهمّ لتفسير ظاهرة صعود بوتين، ومهمّ لاستشراف مستقبل روسيا في أثناء العقد المقبل ومرحلة ما بعد بوتين، وتتّضح أهمية السؤال حول وزن العامل الشخصيّ عندما نستدعي أحد الأسئلة التي أثارت جدلاً محتدماً في الآونة الأخيرة في مراكز الأبحاث بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو السؤال عن استمرار النهج البوتينيّ من عدمه في المرحلة المقبلة. فعلى الضفة الأولى كان الافتراض الذي

آمن به زبينيغيو برجنسكي ودافع عنه أن بوتين والنهج البوتيني ظاهرتان مؤقتتان في روسيا، وأن القسم الأكبر من الشعب الروسيّ متطلّع إلى احتضان الثقافة الغربية، وأنه بمستطاع القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ ضمّ روسيا إلى الغرب في المدى المتوسط، وأعرب الرجل عن إيمانه بهذا الأمر، وساق دفاعه عنه في كتابه الأخير Strategic Vision، ومع تعاقب الليل والنهار ظهر أن منحنى النهج البوتينيّ في صعود، وأن فرص راعي البقر الأمريكيّ في تحقيق غايته الإستراتيجية تزداد انحساراً، ونتج من ذلك ارتفاع صوت الرأي المضادّ، الذي يقول: إنه من المستبعد أن تتحقّق آمال برجنسكي، وأن



التاريخ في جوهره صناعة قادة أفذاذ برّزوا في أثناء حقبه، وفرضوا أنفسهم، وأمسكوا زمام قيادة مجتمعاتهم

حروب أمريكا في المجال الحيوي الروسي

قام القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ بشنّ الحرب على يوغوسلافيا عام ١٩٩٥م، وقام بتغيير نظامها وتفكيكها وتقسيمها، ثم شنّ حرباً على أفغانستان عام ٢٠٠١م، وقام بتغيير نظامها وتفكيكها تفكيكاً لا يزال غير رسميّ، ثم شنّ حرباً على العراق عام ٢٠٠٣م، وقام بتغيير نظامه الحاكم وتفكيكه وتقسيمه قبل أن يتمخّض عن الحرب ما لا يحمد عقباه نتيجة المقاومة العراقية على نحو ألحق الاقتصاد الأمريكيّ خسائر فادحةً، وقام القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ عام ٢٠٠٦م بدفع القرار الإسرائيلي إلى شنّ حرب مفتوحة على لبنان؛ لتعويض هزيمته في العراق، وفي نهاية عام ٢٠٠٨م قام القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ بحفز رئيس جورجيا الحليف ساكاشفيللي إلى غزو أوسيتيا الجنوبية، وفي هذه الحرب لم تجد روسيا بداً من التدخّل العسكريّ، وقد شكل تدخّل روسيا في هذه الحرب أول وقفة روسية حاسمة في وجه مسيرة القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ.

روسيا لن تكون جزءاً من الغرب على الأقلّ في المدى المتوسط، ومن يتابع مشاركات برجنسكي في المحافل الفكرية يرصد بسهولة كيف تحوّل حديثه من التركيز في المستوى الإستراتيجي العام إلى الهجوم الشخصيّ الحادّ على بوتين نفسه، ولعلّ هذا التحوّل يعبّر عن الحنق وفقدان الحيلة اللّذين أخذا يستبدّان بصائغي الفكر الإمبراطوريّ الأمريكيّ فيما يتّصل بالسعي إلى ترويض الدبّ الروسيّ.

كلفة وعقوبات

على صعيد الواقع الراهن يأتي صدور الكتاب في مرحلة شديدة الدقّة من مراحل المواجهة الأمريكية الروسية؛ إذ لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سياسة العقوبات التي أخذ منحناها في الصعود سريعاً، وعبّر عن هذا الصعود على مستوى الخطاب السياسي استخدام الدبلوماسية الأمريكية مصطلح (كلفة) cost في بداية الأمر؛ للإعراب عن التدابير الجزائية ضدّ روسيا، لكن الدبلوماسية الأمريكية لم تلبث أن استخدمت مصطلح (عقوبات) sanctions، ويُظهر هذا التدرّج أن القرار الإستراتيجي الأمريكي ألزم نفسه مبدأ التدرّج الحذر، وهو ما يوحي بإدراكه أن الأمر جلل، وأن ألسنة النيران المشتعلة قد يصعب التحكّم فيها، وقد تتصاعد وتمسك ما لا يرغب الطرفان في أن تمسك به،

وعلى الرغم من ذلك فقد تصاعدت المواجهة؛ إذ قام القرار الأمريكي بشنّ حربين اقتصاديتين على روسيا بوتين وبوتين روسيا هما: حرب العملات، وحرب الأسعار.

ونتج من الأولى هبوط الروبل هبوطاً حاداً، ونتج من الثانية هبوط سعر برميل النفط إلى معدّل أفقد الاقتصاد الروسيّ جزءاً كبيراً من دخله، ليس هذا فحسب بل إن الدبلوماسية الروسية قد أعربت بصراحة غير معهودة عن أنها ترى أن الهدف الذي يتوخّى القرار الإستراتيجي الأمريكي تحقيقه هو تفكيك روسيا، والوصول إلى أسوار الكرملين نفسه، وتبديل النظام. ولا نرى مبالغةً في القراءة التي مضمونها أن الهدف الذي يتوخّى القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ تحقيقه هو تفكيك روسيا، والوصول إلى أسوار الكرملين نفسه، وتبديل النظام لا من حيث المؤشّرات المتّصلة بالمبدأ، ولا من حيث مؤشّرات السلوك.

قرن أمريكي

أما المؤشّرات المتّصلة بالمبدأ، فإن تفكيك روسيا شرط أساسيّ لتحقق غاية تتمثّل في جعل القرن الحادي والعشرين برمّته قرناً أمريكياً خالصاً، وهي الغاية الإستراتيجية الكبرى التي وضع القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ تحقيقها نصب عينيه، ويعلم القرار الأمريكيّ أن روسيا إمبراطورية منذ زمن قديم، ويعلم أنه عندما قامت الشيوعية الجارفة بتنحية القيصرية، فقد استمرّت روسيا تؤدّي دور قلب الإمبراطورية الجديدة أي الاتحاد السوفييتيّ، وأنه على الرغم من تفكيك الاتحاد السوفييتيّ، وإحلال نظام يلتسين المُوالي القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ سنوات، ووصول مخالب النفوذ الأمريكيّ إلى أحشاء الجسد الروسيّ؛ فقد قامت الأجهزة العميقة داخل روسيا بإعادة ترتيب البيت الداخليّ، وعادت روسيا قيصريةً بحكم الواقع، وها هي روسيا تعيد الكرّة، وها هو الإعلام العالميّ يطلق على رئيسها لقب قيصر روسيا الجديد تعبيراً عن تمكّن روسيا من استعادة وضعها العالميّ بوصفها قطباً. ويرى القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ كيف تمكّن نظيره الروسيّ من استعادة كثير من مواقع نفوذه على حساب القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ، ليس هذا فحسب بل إن القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ تجرّع بالفعل مرارة مناوأة القرار الروسيّ إيّاه، ونجاحه في إعاقة مسعاه إلى إنفاذ مخطّطاته (أجندته) الإمبراطورية في عدة بقاع، ومن الطبيعي للقرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ أن تحدّثه نفسه بأن من تسنّى له تفكيك الاتحاد السوفييتيّ على جلالة قدره سيتسنّى له أن يفكّك روسيا التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفييتيّ.

محاولات تفكيك روسيا

أما مؤشرات السلوك الأمريكي منذ تفكيك الاتحاد السوفييتي، فحدّد القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ حزمة أهداف فرعية؛ أبرزها الاستيلاء على البلدان التي ما زال حضور النفوذ الروسيّ قائماً فيها، وتفريغ تلك البلدان من النفوذ الروسيّ تفريغاً متدرجاً سواءً في الأطراف البعيدة من المركز الروسي أم في منطقة نفوذها الحيوي المباشر القريبة منه؛ مثل: العراق، والجزائر، ويوغوسلافيا، وجورجيا، وأوكرانيا، وسورية، والسيطرة على موارد تلك البلدان، وصولاً إلى الزحف إلى موسكو؛ لاستكمال تغيير النظام الروسي كلياً، وانتهاءً بتفكيك روسيا. ففي المدة من عام ١٩٩١ إلى ٢٠٠٦م تبنّى القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ إستراتيجية محدّدة لتحقيق الإستراتيجية المنشودة، وهي إستراتيجية الاقتحام العسكريّ المباشر القائم على شنّ سلسلة حروب مفتوحة على البلدان التي بها نفوذ سوفييتيّ ثم روسيّ، ويقع معظم هذه البلدان في المجال الحيويّ الروسيّ المباشر على حين يقع القليل منها في أوربا (يوغسلافيا)، وآسيا الوسطى (إيران والعراق)، وفي المنطقة العربية (سورية، ولبنان، وليبيا، والجزائر).

تركيا.. حجر الزاوية

وفي سياق مسعى إخضاع روسيا تبنّى القرار

هل كان صعود بوتين نتيجة تعاضد العاملين الشخصي والجمعي، أم أن العامل الشخصي قاد العامل الجمعيّ خلفه؟

إن منحنى النهج البوتينيّ في صعود، وإن فرص راعي البقر الأمريكيّ في تحقيق غايته الإستراتيجية تزداد انحساراً



أن تركيا تمثّل مطاراً متقدّماً جداً لأيّ هجوم أمريكيّ ضد روسيا أو ضدّ حلفائها وصولاً إليها، إضافةً إلى أن تركيا تعدّ مساحةً جغرافيةً شاسعةً لتضييق الخناق على روسيا، كما أنها صاحبة ذراع نفوذ تمسك بأحشاء البلدان الملاصقة لروسيا، وعلى هذا الأساس استند خيار القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ إلى جعل تركيا حجر الزاوية في مسعاها الإمبراطوريّ الحالي والمستشرف سابقةً ذات دلالات، وهي قيام القرار الإمبراطوريّ البريطانيّ في القرن التاسع عشر بالسعي إلى إبقاء السلطنة العثمانية (رجل أوربا المريض) على قيد الحياة طوال قرن كامل؛ لتستفيد من العداوة بين القرار الإمبراطوريّ العثمانيّ والقرار القيصريّ الروسيّ؛ لذلك لم يكن بدعاً من الأمر أن يجعل برجنسكي تركيا حجر زاوية الإستراتيجية الأمريكية المقترحة في القرن الواحد والعشرين برمّته، وفي ذلك يقول برجنسكي: إن تركيا جزء من الغرب قولاً واحداً، وإنه على أوربا أن تعترف بذلك، وإن كون تركيا بلداً مسلماً لا يقدح في صحّة هذه الحقيقة خصوصاً أن كثيراً من بلدان أوربا يضمّ مواطنين مسلمين. ويحسم برجنسكي الأمر في ذلك قائلاً: إن على القرار الأوربيّ أن يقبل هذا التنوّع الدينيّ. ليس هذا فحسب بل إن تركيا في عيون برجنسكي أحد أهم أربعة فاعلين في الناتو هم: ألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وتركيا، إضافةً إلى أن تركيا في نظر برجنسكي تصلح أن تكون نموذجاً لإيران (بعد إتمام ترويضها)، ونموذجاً لروسيا (بعد تخلّصها من البوتينية حسب تعبيره)، ونموذجاً للعالم العربي دفعةً واحدةً، كما أن ثمة توافقاً بين عدّة أطراف فاعلة داخل البيت الأمريكيّ على عدّ النموذج التركيّ هو الأصلح لقيادة العالم الإسلامي والإمساك بزمامه على نحو يخدم مصلحة النفوذ الأمريكيّ الإمبراطوريّ، وهو ما أسال لعاب الأتراك لدرجات غير مسبوقة، فبات مسؤولوها يتحدّثون عن توسيع نطاق سيطرتهم على الإقليم العربيّ مشرقه ومغربه، وأخذ هذا الحديث يترجم إلى سلوك أبرز ملامحه هو رعاية جماعات وظيفية ترويعية واستخدامها في النيل من سيادة البلدان العربية والمسلمة.

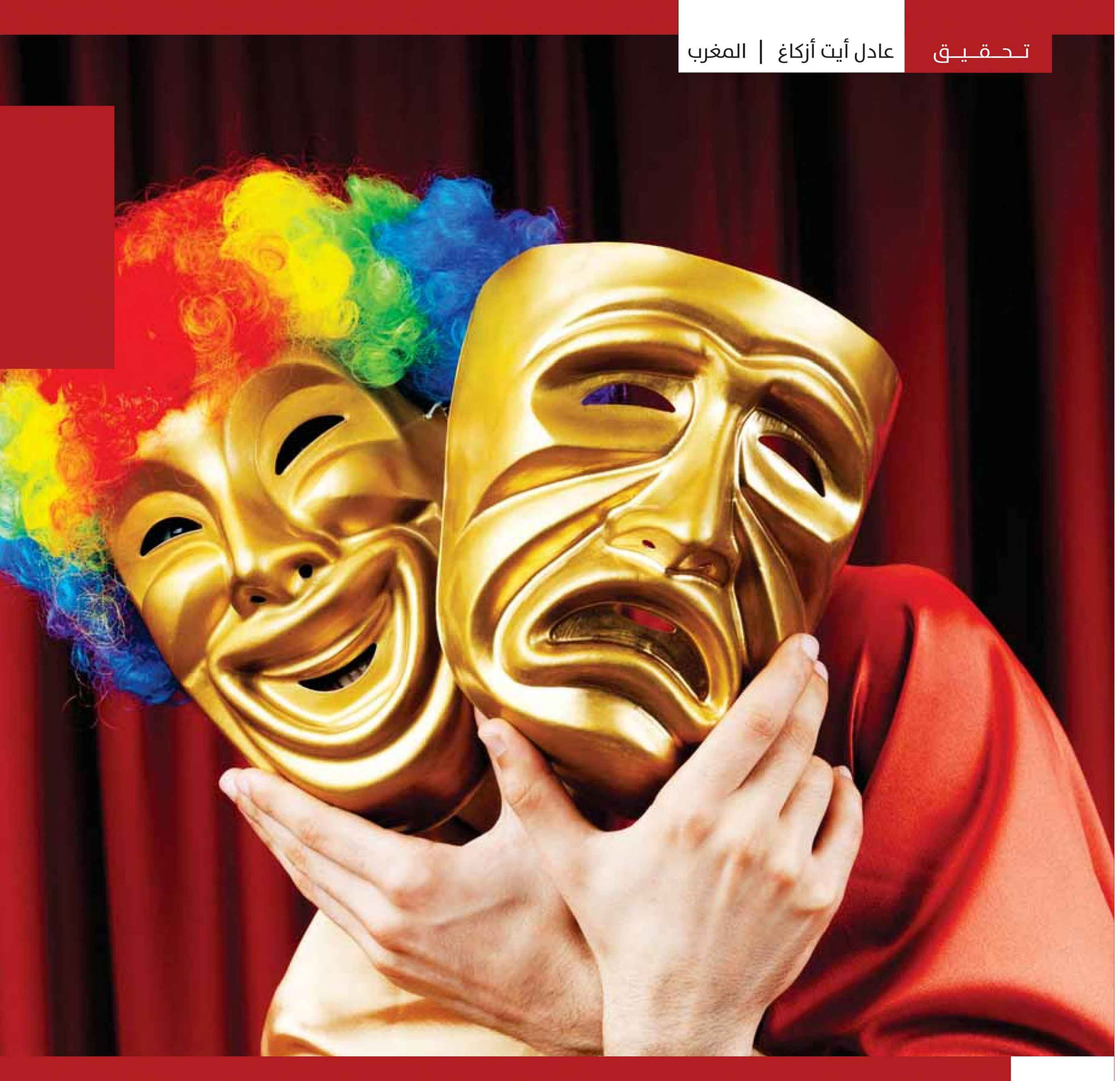


تركيـا تصلح أن تكون نموذجاً لإيران (بعد إتمام ترويضها)، ونموذجاً لروسـيا (بعد تخلّصها من البوتينية)، ونموذجاً للعالم العربي دفعةً واحدةً



الإمبراطوريّ الأمريكيّ الخطوة الإستراتيجية الكبرى التي مضمونها اتخاذ القرار التركيّ حجر الزاوية في مسعاه المواجه روسيا، ومن يمعن النظر في خطاب صائغي الفكر الإمبراطوريّ الأمريكيّ يرصد بسهولة أن ثمة وجهة نظر متبناة مضمونها أن تركيا هي الدولة الصالحة لاختراق المحيط الحيويّ الروسيّ، وفي الوقت نفسه ممارسة دور حائط السد أمام نفوذ روسيا، فقدرات تركيا تؤهّلها لذلك، لا نقول: إن قدرات تركيا تتناسب تناسباً مطلقاً مع القدرات الروسية، لكن نقول: إنها أكثر الأطراف المرشّحة لأداء دور حجر الزاوية.

أما على مستوى الجغرافيا السياسية، فإنه من منظور فعل القرار الإمبراطوريّ الأمريكيّ، نجد

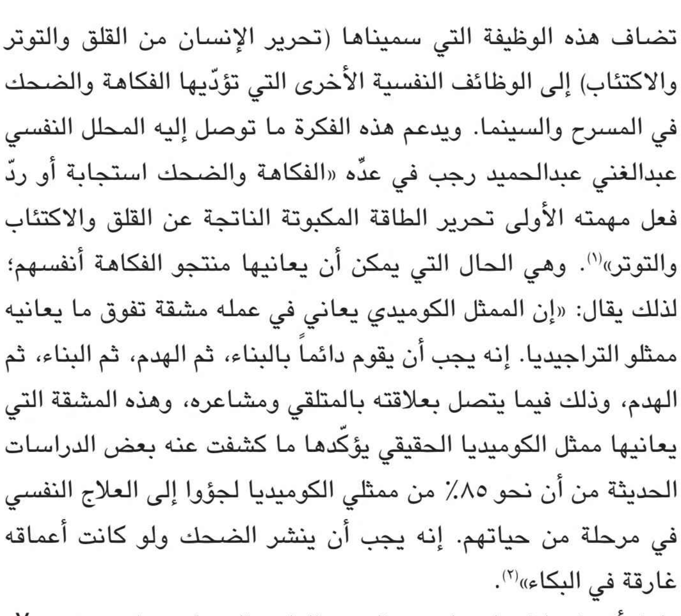


لماذا ينتحر صناع الضحك؟

من بين الأسـئلة التي تطرح نفسـها بإلحاح في هذا المضمار: كيف يمكن للفكاهة أن تكون منجاة للممثل السـاخر (الكوميدي) وعلاجاً نفسـياً له؟ ولماذا يشـعر هذا الممثل بالتوتر والاضطراب النفسي؟ وكيف يستبدّ به القلق ويخيم عليه الاكتئاب، وهو نفسه مصدر للضحك والبهجة والمرح لكثيرين؟.

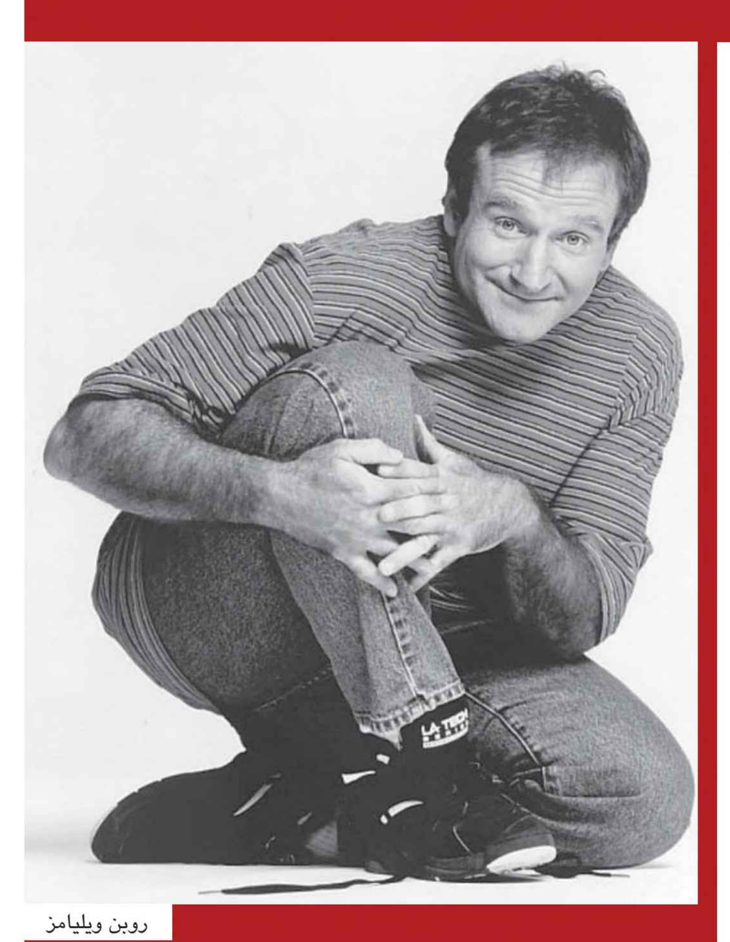
انتحر على الرغم من نجوميته

انتحـر روبـن ويليامز علـى الرغم من حيازته جائزة الأوسـكار مرة عن فلمه (اصطياد النية الحسـنة)، وترشّـحه لنيلهـا أربـع مرات عـن مختلف أعماله السـينمائية وبراعته في تقديـم أدواره التمثيلية فيهـا، ذات الأثر الجميل، والوقـع الإيجابـي الفعال والمقبول لدى نفـوس متلقيه؛ ثم إنه حدث له ذلك رغماً عن أنف نجاحه بوصفه نجمـاً لامعاً، وممثلاً هزلياً مُضحكاً، نال محبّة جمهور جمّ ممتدّ من أقطار العالم. ولك أن تتأمل ما جرى له أيضاً، من دون قطعِ النظر عمّا له من مودّة خاصة كان يحظى معها بشـعبية كبيرة لدى الأمريكيين.



تضاف هذه الوظيفة التي سميناها (تحرير الإنسان من القلق والتوتر والاكتئاب) إلى الوظائف النفسية الأخرى التي تؤدّيها الفكاهة والضحك في المسرح والسينما. ويدعم هذه الفكرة ما توصل إليه المحلل النفسي عبدالغني عبدالحميد رجب في عدّه «الفكاهة والضحك استجابة أو ردّ فعل مهمته الأولى تحرير الطاقة المكبوتة الناتجة عن القلق والاكتئاب والتوتر»[١]. وهي الحال التي يمكن أن يعانيها منتجو الفكاهة أنفسهم؛ لذلك يقال: «إن الممثل الكوميدي يعاني في عمله مشقة تفوق ما يعانيه ممثلو التراجيديا. إنه يجب أن يقوم دائماً بالبناء، ثم الهدم، ثم البناء، ثم الهدم، وذلك فيما يتصل بعلاقته بالمتلقي ومشاعره، وهذه المشقة التي يعانيها ممثل الكوميديا الحقيقي يؤكّدها ما كشفت عنه بعض الدراسات الحديثة من أن نحو ٨٥٪ من ممثلي الكوميديا لجؤوا إلى العلاج النفسي في مرحلة من حياتهم. إنه يجب أن ينشر الضحك ولو كانت أعماقه غارقة في البكاء»[٢].

ولعل أفضل دليل على ذلك هو التقرير العلمي الذي كتبه يانوس Yanus، من أن «نحو ٨٥٪ من الذكور لجؤوا إلى العلاج النفسي في مرحلة من حياتهم»[٣]. وثمة علاقة ممكنة بين الكوميديا والاكتئاب تتمثل في أن هؤلاء الناس «يكونون غير سعداء؛ لأنهم يبدؤون عملهم من دون انجذاب قوي إلى الدور الخاص بالمهرج، فيتحوّلون إلى أشخاص فكهين أو ظرفاء كآلية مناسبة لمواجهة اكتئابهم الخاص، كما أنهم يستخدمون هذه الآلية لجعل الآخرين يضحكون، كتطوير ثانويّ لها»[٤].



روبن ويليامز

دراسـات توضح أن كثيرين من ممثلي الكوميديا كانوا يتسـمون بالاضطـراب والتوتر والحزن والأسـى لأسـباب كثيرة

وهناك حقيقة خاصة تشير إلى أن «كثيراً من ممثلي الكوميديا يعيشون حالة خاصة من الاكتئاب والتعاسة، ويعانون صعوبة واضحة في تكوين علاقات مشبعة»[٥]. لذلك كانت مجهودات علماء النفس منصبّة على نحو خاصّ وملائم من أجل الفحص الدقيق، وبيان إمكانية تحرير الفكاهة الإنسانَ من التوتر والقلق والاكتئاب، وقدرتها على التخفيف من الأزمات النفسية والانفعالية. ونورد في هذا المضمون ما أثبتته عدة دراسات وفق تعبير جلين ويلسون من «أن الفكاهة هي إستراتيجية من إستراتيجيات المواجهة الفعّالة في التعامل مع المحن أو الكرب، كما



ارتبط استخدام الفكاهة بانخفاض الشعور بالوحدة النفسية أو الاكتئاب، وبوجود مستوى مرتفع من الاهتمام بالذات أو احترامها»[٦].

وفي السياق ذاته، أظهر تتبعّنا بعض المحاولات والإشارات الواردة حول مختلف الدراسات المعاصرة، التي أجريت على مبدعي الكوميديا عامة، والممثلين خاصة، والمشهورين منهم بالأخص؛ أمثال: تشارلي شابلن، وريتشارد بريو، وسبايك ميليجان، وودي آلن، وبرنارد شو، وآرت بوتشولد، وفيلدز، وليني بروس، ومارتي فيلدمان، وآخرين غيرهم، من السابقين واللاحقين المشهورين، وممثلين عرب كثيرين، منهم الممثل المصري عادل إمام[٧]؛ أظهر ذلك أن حياة هؤلاء وغيرهم كانت متّسمة بالاضطراب والتوتر والحزن والأسى لأسباب كثيرة، منها ما يرجع إلى اليتم، والطفولة التعيسة، وانحراف الأب، والشعور بقلة الاهتمام، وإدمان الكحول والمخدرات، وغيرها من الظروف والمسببات والدوافع، التي يمكن أن تكون مختارة بإرادة الإنسان، البالغ الواعي، أو أن تفرض نفسها قسراً عليه صغيراً، أو تلازم وجوده وتعاشره بالمصادفة المحض.

الكوميديا وظاهرة انتحار المبدعين.. نماذج وحالات

تعدّ هذه الدوافع مدعاة إلى التفكير والتبصّر والتدبّر العميق؛ لِما تتضمنه من تأثيرات في النفس قد يصير مفعولها إيجابياً على نحو يقوي من عزيمة المبدع الفنان، عندما يتجاوز أزمته ويتفوّق على ذاته، ويرتفع بهمته عالياً لدرجة يصبح معها مثالاً للمتألّق الذي لا تبارح العظمة مقامه. أما حين يؤثّر فيه أحد هذه الدوافع سلباً؛ فإن الوضع سيولّد لديه اهتزازاً في الثقة بالنفس على نحو ملموس ومحسوس، يدفع به إلى الإحساس باليأس، والقنوط، والشعور بالإخفاق، والميل إلى التمرّد والانحراف، ثم الارتماء في أحضان الإخفاق الشنيع، الذي سيغدو قرينه في هذه الحالة فتهوي

أصبح المهرج البريطاني مارسلين مشهوراً في جميع أنحاء لندن؛ ثم نسيه الناس سريعاً، وهكذا بدأ إخفاقه، لينتهي به المطاف إلى الموت منتحراً

شخصيته وتجربته، وتسقطه مِنْ علٍ إلى أسفل، على نحو قد يؤدي به إلى اقتحام بعض المسالك الشاذة في السلوك، واتخاذ مواقف غريبة عن الطبيعة الإنسانية؛ مثل ظاهرة الانتحار، التي يلوذ إليها بعضهم بوصفها حلاً أخيراً، يبدو لهم منجاة من الإحساس بالألم والعذاب في الحياة، أو أسلوباً يرونه أداة ناجعة وفعالة لنسج خطاب ينطق فحوى مدلوله بمعنى العقاب الموجَّه صوب الأنا أو الآخر.

إذاً، الانتحار هو آخر ما يتبقى للإنسان حين يأتيه وَهْم خبر يعده بالانتصار، أو حين يدقّ بابه نذير شؤم يهدّده بالزوال والانمحاء من الوجود، ليحسم مسألة نقد الذات، أو رفض الآخر، أو عدم تقبّل الواقع والوضع الراهن، أو الهروب منها كليةً إلى عالم لا مكان ولا مسؤولية فيه ضاغطة، تغيب فيه تكاليف الالتزام والارتباط بشيء ما، ولا أثر فيه لأعمدة التشهير والترصّد والتربّص والمطاردة الدائمة، رافعاً بذلك رايةً بيضاء لا ترمز إلى السلام هذه المرّة، لكنها خاتمة حرب وضعت أوزارها، وأسدل فيها ستار صراع الإنسان المرير مع الحياة، لتبدو من موقعها تلويحة إعلان استسلامه إلى شبح التحدّي والمجابهة الواقعيين.

وجوه حديثة في حياة شابلن

نجد في سيرة (قصة حياتي) للآخر الضاحك تشارلي شابلن Charlie Chaplin (١٨٨٩- ١٩٧٧م)؛ الذي طبعت المحنة طفولته التعيسة، واستطاع أن يتخطى شقاءها بنجاح مذهل؛ ليبصم فيما بعد اسمه في تاريخ الفكاهة، بوصفه أعظم ممثلي الكوميديا العالمية في حقبة السينما الصامتة في القرن العشرين، بعض الحقائق المثيرة عن ممثلين كوميديين وهزليين مهرجين، كانت نهاية حيواتهم مأساوية بدرجة كبيرة، ونذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر نماذج كانت لشابلن معرفة حقيقية ببعض أسرارها وتجاربها المحزنة التي تخللت حيواتها بشكل واقعي.

نستهلّ في هذا المقام حديثنا عن هؤلاء، بدءاً بالمهرج البريطاني مارسلين الذي سرعان ما أصبح مشهوراً في جميع أنحاء لندن؛ بسبب مهارته في أداء أدوار كوميدية متقنة مملوءة بالفتنة والظرف، واستمر نجاحه ووصل أوجه في ميدان خيل نيويورك، حيث لقي تفوقاً منقطع النظير في تلك الأثناء التي كان فيها برفقة شابلن. لكن حين ألغي ميدان الخيل في حلبة السيرك نسي الناس مارسلين سريعاً، وهكذا بدأ إخفاقه وتوالت إحباطاته، ثم يفاجأ شابلن برؤيته وحيداً، لينتهي به المطاف إلى الموت منتحراً، وقد كان كما وصفه شابلن: «فناناً كبيراً ضائعاً في الجنون المبتذل.. كانت تبدو عليه ملامح الإحباط، غارقاً في ذهول كئيب. بعد عام انتحر في نيويورك، فأعلنت الصحف في بضعة أسطر أن مستأجراً في المبنى ذاته الذي يسكن فيه مارسلين سمع طلقاً نارياً، واكتشفه ممدداً على الأرض، وفي يده مسدس، وأسطوانة لا تزال تدور فيما تصدح موسيقا **Moon light and Roses**»[٨].

بعد سرد حكاية مارسلين، يأتي شابلن بقائمة ضمّت أسماء كثير من الكوميديين البريطانيين المشهورين الذين قضوا نحبهم منتحرين، من أمثال: «ف. إي. دنفيل، وكان كوميدياً مرموقاً، سمع أحدهم يقول ذات

لماذا ينتحر هؤلاء؟

نحتاج إلى الابتعاد قليلاً من تلك اللحظات الموحية بالسعادة؛ لكي نقترب أكثر من ظاهرة الانتحار التي تنبئ بضرب من البؤس مهدّدٍ وقابع في انتشارها الخطير على منوال مربك لكيان الذات، ويتوعّد باختلال التوازن فيها، وهو اختلال مرعب وقاتم، وقائم بين ظهراني الممثلين الكوميديين المشهورين نتيجة إحساس نفرٍ منهم بالألم والمعاناة النفسية والخوف من الإخفاق، والقلق والتوتر والاكتئاب؛ مما يدفع مجدداً إلى طرح أسئلة معلقة تفرض نفسها بإصرار، هي: لماذا يلجأ هؤلاء إلى الانتحار كحلّ أخير لفكّ حصار أزماتهم النفسية؟ ممن ينتقم المنتحِر؛ أَمِنْ نفسه أم من الآخر؟ إلى مَنْ يُصوِّب قذيفته العقابية؛ أَلذاته أم للجماعة؟ ألا يعبّر ذلك عن استسلام ما، يحضن رسالة تبوح بالضعف وتقرّ بالهزيمة؟ هل استنفدت الحلول وغلّق العلم والطب معه عيادتهما أمام عجزهما عن التقدم والتطور في سبيل تقديم الوصفات الطبية واقتراحها، والعثور على طرائق العلاج الضرورية؟

عالم النفس البريطاني وليام مكدوجل انتقد فكرة الربط بين البهجة والضحك حين قال: «وإننا نضحك؛ لأننا تعساء، والضحك يجعلنا نشعر بأننا في حال أفضل»



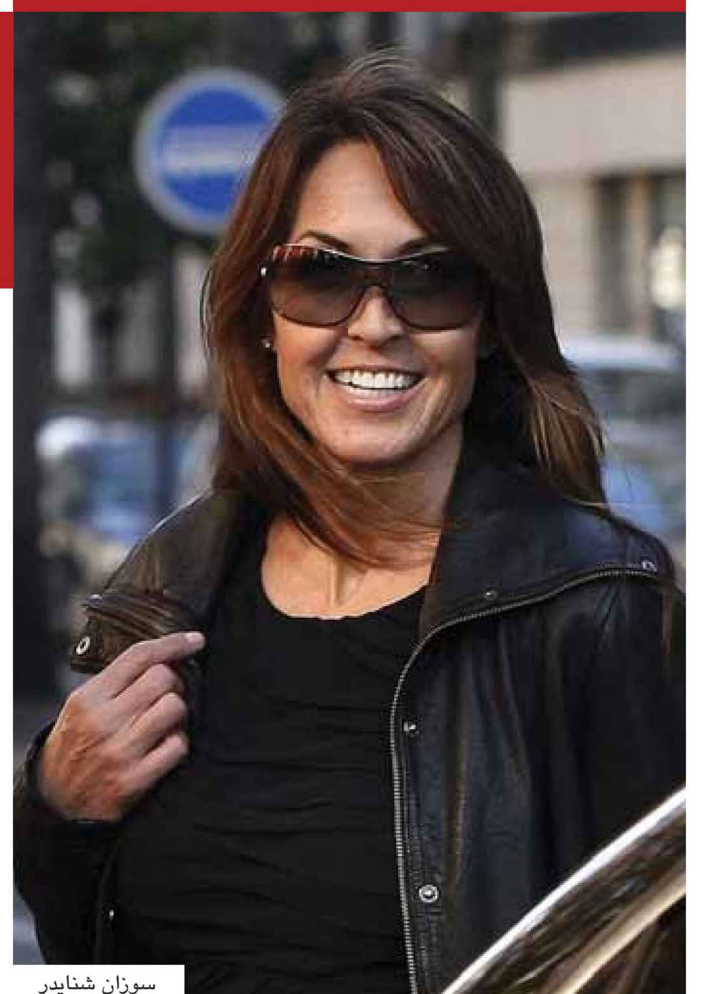


بعد ظهر أحد الأيام شرع فرانك كورين في نزهة مع زوجته في عربتهما الصغيرة التي يجرها حصان ولكن عاد إلى منزله لينتحر في الحمام

يوم فيما هو داخل إحدى الحانات: هذا الشخص انتهى. ولم تمض عدة ساعات حتى أطلق رصاصة في رأسه على ضفة نهر التايمز»[٩]. والشيء ذاته فعله «مارك شيريدان -أحد أشهر الكوميديين الإنجليز- في حديقة عامة في غلاسغاو؛ لأنه لم يلقَ نجاحاً لدى جمهور المدينة»[١٠].

أما فرانك كوين، الذي مثل معه شابلن ورفاقه في برنامج واحد، فقد كان بدوره ضاحكاً بسّاماً، وكوميدياً مرحاً غامراً بالحيوية، أعطته الشهرة أغنية مملوءة بالفرح، نقتطف منها جزءاً في سياق إيرادنا حديث شابلن عن قصته قبل أن يلفظ أنفاسه منتحراً بملء إرادته: «الأغنية هي: لن تروني بعد اليوم ممتطياً حصاناً، فليس هذا هو النوع الذي أمتطيه، الحصان الوحيد الذي أستطيع امتطاءه هو ذلك الذي تجفف سيدة البيت ثيابه. قال عنه شابلن: في المدينة كان ساحراً، ودائم الابتسام، لكن بعد ظهر أحد الأيام شرع في نزهة مع زوجته في عربتهما الصغيرة التي يجرها حصان، فنسي شيئا ما، وطلب منها أن تنتظره حتى يعود، لكن مرت ثلث ساعة ولم يعد بعد، فذهبت لترى ما الذي يؤخره هكذا، فوجدته على بلاط غرفة الحمّام، وسط بركة من الدم، وفي يده موسى حلاقة. كان قد ذبح نفسه، قاطعاً رأسه تقريباً»[١١].

نجومية ويليامز، وحب الجمهور الأمريكي له، لم يتبخرا طوال سيرته المهنية التي دامت أكثر من خمسة وثلاثين عاماً



سوزان شنايدر

معاصرنا الكوميدي روبن ويليامز

نذكر في الإطار عينه، لكن من جهة أخرى، من خلال ربطه بما استجد في مجال الكوميديا خلال الأشهر الأخيرة في عصرنا الحاضر من ظواهر تستحق التأمّل، تلك الواقعة التي نتجه إليها بالملاحقة والنظر، المتمثّلة أساساً فيما أقدم عليه الممثل الكوميدي الأمريكي المشهور روبن ويليامز **Robin Williams** (١٩٥١- ٢٠١٤م)، في حدث موته المأسوي المؤلم، الذي نسعى إلى تلمّس كيفية استقبال الآخرين إياه، وطبيعة ما يكتنف حقيقته من أسرار، وما له من ملامح وأبعاد أخرى على مستوى التلقي؛ فقد أكدت تحريات شرطة مقاطعة مارين كونتي، بناءً على التقرير الختامي لمكتب الطب الشرعي، واعتماداً على ما تناقلته أنباء مختلفة من أخبار حول أسباب وفاته، حسب ما جاء في صحيفة الدايلي ميل **dailymail** البريطانية، التي نشرت عبر موقعها الإلكتروني تقريراً مفصّلاً عن ذلك، أن وليامز أنهى حياته بالانتحار شنقاً، وأنه عُثر عليه في بيته بولاية

كاليفورنيا ميتاً خنقاً بحبل تدلّى على عنقه، بعدما قام بمحاولة انتحار أخرى باءت بالإخفاق؛ بسبب ما كان يعانيه من إحساس شديد بالتوتر والإحباط، وما استبدّ به -وإن كان بشكل خفي- من حزن وكآبة عميقين، تغلغلا إلى نفسيته في مراحل عمره الأخيرة، بدافع تناوله المخدرات، وإدمانه الكحول، اللذين لم يقوَ على التغلب عليهما.

إن نجاحه كان بلا نتيجة حسنة، ولم يُمْسِ له أدنى أثر سار في ذاته، يثبّتُ لديه، إحساساً باطمئنانٍ مُعَيَّنٍ يركن إليه في إحدى مَرابِعها المُخْضَرّة، أو شعوراً طيباً بالتفوق والتحقق والإشباع الكامل لها، من شأنه -مثلاً- أن يكون عاملاً قد يساعده على تخليص روحه من الشعور بالنقص، والشقاء، والألم الداخلي. فهذا الأمر غاب، وانمحت وظيفته في غيابه؛ فقد بات العامل عاطلاً عن العمل بهذا الفقدان المزدوج لممثل كبير مُبهج، ولدور اختفى فجأة في مفعوليةٍ كانا معاً، لعاملٍ لم يكن في واقع الأمر، ولا بَدَا فيه حتى صمام أمان لنفي التعاسة الكئيبة عن الكوميدي، ومنعها من التسلل إلى نفسه، ومنعه من الموت بهذه الطريقة المؤسفة، الباعثة على البكاء والرثاء، منعاً نريده كما يأمل الجميع أن يجنّبه ملاقاة المصير الرّهيب، وإن لم يبد له كذلك حين اختاره بحُرِّ رغبته؛ فإنه يُعدّ رهيباً للإنسان عامة، ولجمهوره ومحبيه خاصةً، وللمتعلّقين به بوجه أخصّ، ممن نزل عليهم الموت صاعقة شاقة، وهم في أشدّ الحاجة إلى وجوده، ويُقدّرون فيه قيمةً يرونها عنه وله، لكن خان الانكشاف ألا تتراءى لهُ عن نفسه.

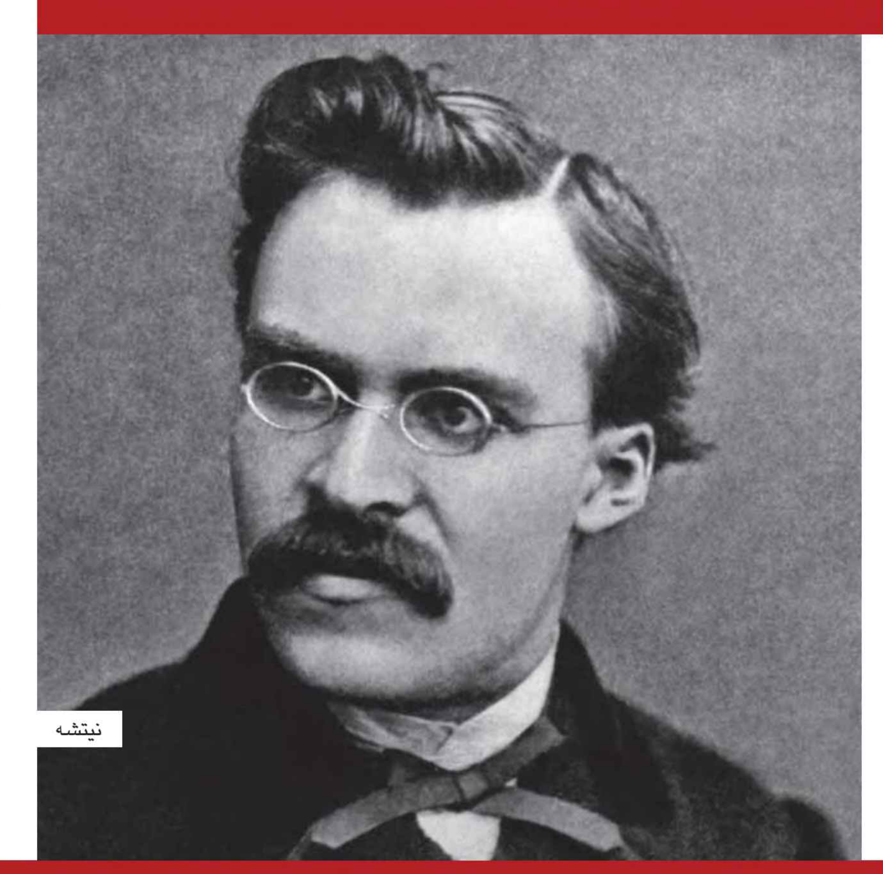
ونورد من هذه الناحية ما ذكرته الصحيفة المذكورة آنفاً فيما يتعلق بخبر موته وأسبابه وملابساته في قراءتنا الإشارات الآتية من موقع الدايلي ميل: ولد الممثل الأمريكي الكبير الراحل روبن ويليامز في مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٩٥١م، وفاز مرة بجائزة الأوسكار، بوصفه كوميدياناً، وسرعان ما أثبت أنه يمكنه أيضاً أن يأسر الولايات المتحدة الأمريكية بمهاراته الارتجالية والدرامية. كما أوردت الصحيفة ذاتها أنه على الرغم من معركة ويليامز مع الاكتئاب وتناوله المخدرات، كان النجم المرشح لجائزة الأوسكار أربع مرات في مرحلة إعادة إحياء سيرته المهنية، وكان من المتوقع أن يظهر ويليامز في دور الرئيس الأمريكي السابق تيدي روزفلت، في الجزء الثالث من فلم (ليلة في المتحف)، وكان من المتوقع إعادة إحياء دوره الشهير في فلم الكوميديا الرائع (السيدة دوبتفاير) في عام ١٩٩٣م، خصوصاً بعد أن وقَّع على عقد جزء ثانٍ من الفلم، وأداء الدور ذاته مجدداً، وأكدت الصحيفة في السياق ذاته أن نجومية ويليامز، وحب الجمهور الأمريكي له، لم يتبخرا طوال سيرته المهنية التي دامت أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، فقد سطع اسمه عام ١٩٧٨م من خلال دوره في الكائن الفضائي الذي أتى إلى الأرض في الكوميديا (مورك وميندي). وبسبب النجاح الكبير الذي حقّقه في المسرحية الهزلية، سارع ويليامز إلى الظهور على الشاشة الكبيرة للمرة الأولى في الفلم الذي أخرجه روبرت ألتمان عام ١٩٨٠م، وجسد فيه الكوميدي بوباي[١٢].

ويليامز وانتحار بلوتشي

وبمتابعة الصحيفة نفسها عن الفنان روبن، نصادف حالة موت غريبة أخرى، حاضرة في صفوف الكوميديين الأمريكيين السابقين لويليامز، ممن كانت لهذا الأخير معرفة بهم، ومنهم النجم الغنائي والكوميديان جون بلوتشي Jhon Beluchi (١٩٤٩- ١٩٨٢م)، صديق ويليامز الذي كان آخر من رآه قبل وفاته بقليل، وكان مثله مدمناً الكحول والمخدرات، ولهما الإحساس المشترك نفسه بالقلق وانعدام الرضا والثقة بالذات. وهكذا شدّدت الصحيفة أيضاً على أن «مشكلات المخدرات والكحول ظهرت في حياة ويليامز للمرة الأولى عندما كان يظهر في (مورك وميندي)، وكان قد اعترف بمشكلات المخدرات والكحول في السبعينيات والثمانينيات. وكان آخر من شاهد الممثل الكوميدي جون بلوتشي قبل ليلة وفاته على إثر جرعة زائدة من المخدرات عام ١٩٨٢م، واعترف بأن هذا هو السبب الذي شجّعه على الإقلاع عن المخدرات والكحول، لكن صراعه مع المخدرات والكحول دام عقوداً[١٣].

وبسبب حساسية هذا النوع من الوقائع، وخصوصيتها لدى بعض الناس، نجد سوزان شنايدر Suzan Schneider -زوجة الراحل روبن ويليامز- تدعونا في لحظة عصيبة عبّرت من خلالها عن شعورها المقلق وموقفها الخاص تجاه واقعة وفاة زوجها، من خلال إلقائها كلمة مؤثرة، لا تغيب عنها

كان ويليامز آخر من شاهد الممثل الكوميدي جون بلوتشي قبل ليلة وفاته على إثر جرعة زائدة من المخدرات عام ١٩٨٢م


نيتشه

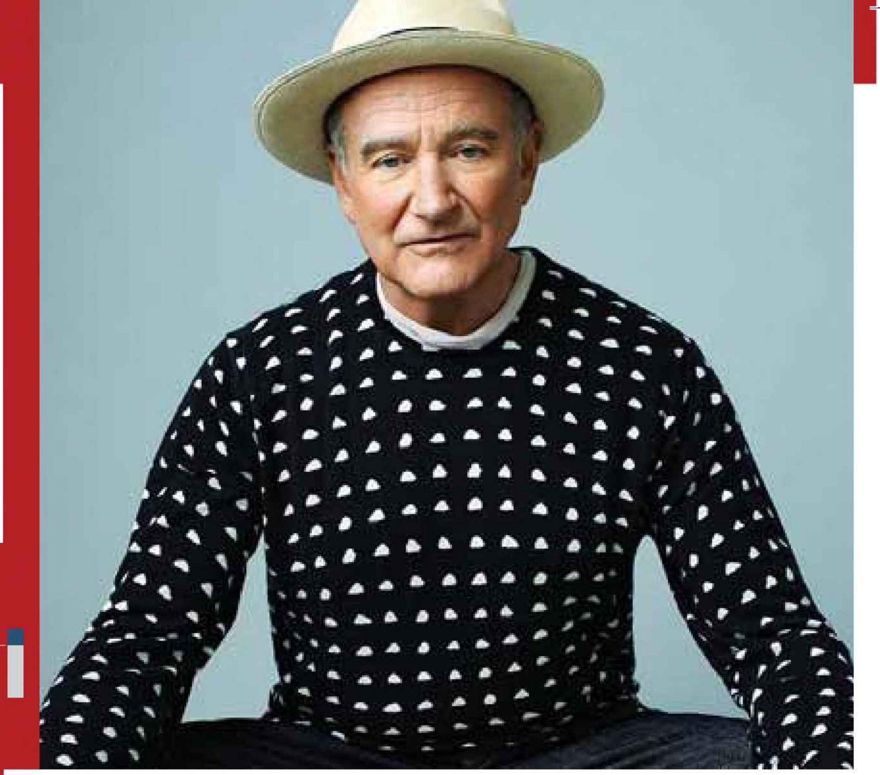
نبرة الحزن والأسف العميقين، في بيان قرأته نيابةً عن أفراد عائلة روبن، توجّه فيه الناس إلى الاهتمام بضحك ويليامز وفكاهته وتسليته جمهوره، كما تدعوهم إلى تصويب العناية نحو الجوانب الإيجابية في حياته، عوضاً عن الانشغال بحيثيات الموت المفجع؛ لتعرب لنا بذلك -وهي على حقّ- عن رسالة تتوخى التنبيه، وتنبئ فيها ملمِّحةً، عن توجّسها وخوفها من مغبة أن يختصر الناس التاريخ الفني ومجد الممثل الكوميدي في سلبيات أموره، التي ليس الجميع معصوماً منها، وهو معنى نلمسه في قولها على نحو صريح ومباشر: «أطالب منحنا قدراً من الخصوصية خلال مرحلة الحزن العميق التي نعيشها، ونأمل أن يكون تذكّر لحظات الضّحك والمُتْعَة التي منحها روبين الملايين هي محور الاهتمام، وليس وفاته»[١٤].

إذاً حريّ بنا استحضار هذه اللحظات الجميلة لمتعة الضحك التي يهبها كبار المُضْحكين الآخرين، الذين يليق بهم أن يحسوا معها بنوع من الدين، من دون وضعها في طي النسيان أو الكتمان؛ لأنها نابعة أصلاً مما يقتطعه أولئك من ذواتهم، من أحزان وآلام، ومن عذاباتٍ ومحنٍ سِرّية دفينة، ومن احتراقهم بوصفهم مبدعين؛ ليضيئوا الظلام الكثيف، التائه في الطبقات العميقة في مناطق نفسية إنسانية سوداء، لووا عنق القلق في أسمالِها، ونزعوا الغصَصَ من حلقها، وقتلوا الحَنَق في صدرها؛ ليرسموا الابتسامة بحبر التعزية والمواساة على وجوه مصفرّة ضاعت ملامحها في قيعان المرارة والنكد، وليبثّوا الفرح في نفوس منكوبة، ولينثروا بذور المحبة والأمل في قلوب متعبة ومهمومة، وليسعدوا الجمهور بتجاربهم التي يستقي منها أغلبهم موادهم الكوميدية وموضوعات فكاهاتهم الإبداعية، التي يحرصون في عمليتها المتعبة، ليس على عدم تخييب أفق تلقّيهم وانتظارهم فقط، بل لكي يستجيبوا في طموح لما يستثير ظنون أذهانهم واعتقاداتهم من أفكار وقضايا وتصورات مرجوّة ما فتئوا يستحضرونها ليتلقّفها الآخرون جمالياً، في محاولات استقرائهم طباع البشر وسلوكياتهم، لعلهم يلامسون بعضاً مِمَّا يعتمل في النفوس، وإدراك ما يمور في الأعماق، وما يصول في الخواطر ويجول فيها من أحلام بلا تردّد يجهد الكوميديون أنفسَهم في الصعود إليها للقبض عليها؛ ليُبلّغوها بنقاءٍ يرتقي إلى مستوى أذواق جمهور المتلقين، ليرفعوا من درجة صفاءِ أمزجتهم عالياً، حتى تتبدّد دمويتها، ويحثونهم على اقتناص أوقات لطيفة لا مردودة، ولذيذة غير مزجاة، من المتعة والتسلية والراحة النفسية، التي هم في مسيسِ الحاجة إليها.

سؤال خاص وحاسم ينطلق من هنا ليستفسر عن طبيعة العلاقة الملتبسة القائمة بين الكوميديا والتراجيديا؟ بمثل ما يحرّض به السؤال ذاته، ملحاً

المضحك الكبير هو غالباً مستودع بشري، أو ينبوع للألم والغضب والانفعال العميق، وإن طفولته غالباً ما تكون عبثية الطابع أو لا معقولة

ماستر بن



بنفسه في البحث عن استشفاف طبيعة هذا الحضور الغريب والمدلهمّ للمأساة في لباب الفكاهة وفي نفوس منتجيها.

أسئلة ستظلُّ مفتوحةً إلى أن تظفر بإجابات كافيةٍ وشافية، عساها أن توجدَ وتصبح كذلك.

وفي ظل البحث عن علاقة الضحك بتعبير الإنسان الخارجي لمعرفة إن كان بالطبع يعبر عن حالات إنسانية غير يائسة، يملأ داخلها رضا تاماً، وسروراً راسخاً، وتوازناً نفسياً قاراً، أم أن باطن حالاتها يخفي حقيقةً تسير على نقيض ما تبدو عليه في الظاهر؛ فقد توصّل بعض الباحثين بعد التمعّن في الدراسات التي أجريت حول مبدعي الكوميديا كذلك إلى خلاصة مضمونها: «إن المضحك الكبير هو غالباً مستودع بشري، أو ينبوع للألم والغضب والانفعال العميق، وإن طفولته غالباً ما تكون عبثية الطابع أو لا معقولة، وإن هناك ميلاً إلى التقمّص المباشر للانفعال والشخصيات يكون موجوداً لديه»[١٥].

من هذه الزاوية، إذاً، يحتمل أن يصح القول بأن طفولة البؤس والشقاء والحرمان قد تكون سبباً في إنتاج إنسان متفكه (كوميدي)، خصوصاً إذا كانت طفولته مصاحبةً الموهبة، وهو ما نلمسه من خلال الإجابة التي نقف عندها، إذ سئل أبوت: ما الذي يجعل الشخص مبدعاً؟ فقال من دون تردد: «طفولة شقية»[١٦].

واللافت للنظر، مما تمّ تقديمه من آراء حول ما أجري من دراسات على الحالات المختلفة لممثلي الكوميديا، هو الشيء الذي يوضّح أن ضحكهم لا يتّصل في أغلب مستوياته ببلوغ قمة السعادة والسرور أو خلو البال. والحجة في ذلك ما ذهب إليه عالم النفس البريطاني وليام مكدوجل الذي انتقد فكرة الربط بين البهجة والضحك حين قال: «إن الضحك ليس تعبيراً عن السرور أبداً، بل هو مولّد له، وإننا نضحك؛ لأننا تعساء، والضحك يجعلنا نشعر بأننا في حال أفضل»[١٧].

وغير بعيد من المعنى نفسه ما يقره الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche في روايته الفلسفية (هكذا تكلم زرادشت): «الإنسان الأعلى هو الذي يتعلّم كيف يضحك»[١٨]، وأكّد أن «الإنسان من أكثر الكائنات تعاسة في العالم وقد ابتكر الضحك»[١٩]. أما الحياة فهي مجرّد حلبة للصراعِ والرهانِ والتحدّي، وما الناس فيها إلا «جلاس مائدة كبرى للسخرية والمقامرة»[٢٠].

الهوامش و المراجع

(١) البقاء للأضحك، عبدالغني عبد الحميد رجب، مجلة العربي، ع٥٥٢، رمضان ١٤٢٥هـ/ نوفمبر٢٠٠٤م، ص١٤٣.

(٢) شاكر عبدالحميد، في تقديمه المعنون بـ(الأنا- الآخر.. أو المسرح بوصفه إبداعاً متجدداً)، لكتاب صالح سعد: الأنا- الآخر.. ازدواجية الفن التمثيلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١م، ص١٨.

(٣) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: شاكر عبدالحميد، مراجعة، محمد عناني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٨٥، يونيو ٢٠٠٠م، ص٢٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٥) المرجع السابق، ص٢٧١.

(٦) المرجع السابق، ص٢٦٣.

(٧) شاكر عبدالحميد، الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، ص٤٢٩- ٤٣٢. وانظر: جلين ويلسون، مرجع سابق، ص٢٧١- ٢٧٤.

(٨) تشارلي شابلن، قصة حياتي، ترجمة وتقديم، كميل داغر، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م. النسخة العربية المعتمدة هي المترجمة عن النص الفرنسي لكتاب تشارلي شابلن، وعنوانه: Histoire de ma vie، قصة حياتي، ص٤٦.

(٩) المرجع السابق، ص٤٦.

(١٠) نفسه.

(١١) نفسه.

(١٢) انظر في هذا الصدد مقال محمد سامح بعنوان: «الدايلي ميل تستعرض رحلة سقوط روبن ويليامز من الشهرة إلى إدمان المخدرات»، صحيفة (البوابة نيوز)، عدد ١٣ أغسطس عام ٢٠١٤م، (بتصرف). كما يمكنك الاطلاع على الموضوع المثبت في مصدره الأصلي (موقع صحيفة الدايلي ميل البريطانية) عبر الرابط:
http://www.dailymail.co.uk/news/article-2722414/Robin-Williams-dead-Robin-Williams-rise-fame-lifelong-battle-drugs-depression.html.

(١٣) المرجع السابق.

(١٤) خبر البيان منشور بهيئة نقل الأخبار البريطانية BBC بالعربية والإنجليزية، في ١٢ أغسطس عام ٢٠١٤م.

(١٥) هذا الكلام لزئيفي، ذكره شاكر عبدالحميد في (الفكاهة والضحك: رؤية جديدة)، مرجع سابق، ص٤٢٩.

(١٦) زئيفي: ترجم عنه شاكر عبدالحميد، المرجع السابق، ص٤٣٠. وأبوت هو الشخص البدين في ثنائي أبوت وكاستيللو الشهير في السينما.

(١٧) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، مرجع سابق، ص٢٥.

(١٨) شاكر عبدالحميد، تقديم: كتاب(الأنا- الآخر.. ازدواجية الفن التمثيلي)، مرجع سابق، ص١٧.

(١٩) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢٠) فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة، فليكس فارس، دار القلم، بيروت- لبنان، من دون ذكر سنة الطبع، ص٣٢٠.

ترجمة: محجوب عباس | السعودية



الروائية إدنا أوبراين:

الكتابة نوع من المشي في أثناء النوم!

حوار: شوشـا جوبي - باريس ريفيو

ولـدت إدنـا أوبراين في قريـة صغيرة تعـدّ نموذجاً للانغـلاق والانعزال الملازميْنِ قرى غرب أيرلندا، وكان الأدب من المحرّمات طوال سـنوات القرن الماضي، وكانت الكتب تعار صفحةً واحدةً لكلّ قارئ أو أسـرة حسـب الظروف؛ بسـبب ندرتها، وكان والد إدنا فلاحاً تجسّـدت فيه بامتياز بسـالة الأيرلنـديّ المبذّر والماجن والسـكّير، وكانت أمّها، التي عملت مدةً خادمةً ببروكلين، مهووسةً دوماً بالعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

التحقت إدنا بكلية الصيدلة بدبلن بعد إكمالها التعليم الثانويّ، وفي عام ١٩٦٠م نزحت مع عائلتها الصغيرة إلى لندن، وبدأت هناك رحلتها الحقيقية نحو الكتابة الروائية من خلال عملها الأول: بنات الريف، ثم توالت الروايات الأخرى؛ مثل: الفتاة الوحيدة، وأغسطس أقسى الشهور، والليل، إضافةً إلى عدّة روايات مسرحية، وسيناريوهات، ومجموعات من القصص القصيرة، وتعرض حالياً مسرحيتها (فيرجينيا) بنيويورك، وتدور أحداثها حول حياة الروائية البريطانية فيرجينيا وولف التي أنهت حياتها منتحرةً؛ بسبب اعتقادها الخطأ ضعف الإقبال على روايتها الأخيرة.

ومن خلال هذا الحوار الصريح نتابع مسيرة الكاتبة من بداياتها الأولى مروراً بتربّعها على عرش الرواية الإنجليزية في حقبة السبعينيات إلى يومنا هذا، ونتعرف في الوقت نفسه على رؤيتها الجمالية والفلسفية في الأدب والأدباء، وكيف تشكّلت من خلال التأثير والتأثر بالروائيين الروس وجويس وبروست وغيرهم.

قُلـتِ ذات مرة: إنك كنـتِ كاتبةً منذ البداية؛ من أيّ نقطة زمنية شرعت في الكتابة؟

عندما أقول منذ البداية أعني أن علامات الكُتّاب الحقيقيين تظهر في سن مبكرة، وهذا ما أسمّيه شغف الكتابة أو هوسها الذي يلازم الكُتّاب العظام من سن مبكرة إلى الكهولة، ومصدر هذا الشغف أو الهوس هو البنى الشُّعورية المتفجّرة التي تجتاح الكُتّاب مبكراً، وهي بنى مغايرة المعتاد والمألوف لدى غيرهم في الحياة اليومية العامة.

شرعتُ في الكتابة منذ سن الثامنة أو التاسعة، لكنني لم أكتب روايةً كاملةً إلا بعد نزوحي إلى لندن في الستينيات، وعندما وصلت إلى لندن أول مرة كان كل شيء مغايراً ما ألفته في أيرلندا، وشعرت أنني غريبة تماماً في فضاء ووترلو وزخم الأعياد والحشود التي لا تنتهي في الشوارع والميادين، وفي لندن بدأت الكتابة الحقيقية، وأولى رواياتي هي: بنات الريف، التي كانت بمنزلة الخلاصة لتجربتي بوصفي أيرلندية، وترنيمة وداع قاطع لأيرلندا.

بعد مدة قصيرة من وصولي إلى لندن طالعت إعلاناً عن محاضرة يلقيها الناقد المعروف آرثر مزنر عن همنجواي وفيتزجرالد، وتعلم أنني كنتُ في ذلك الوقت مجرّد كاتبة نثر غنائيّ رثّ لا يقدّم ولا يؤخّر، وأسيرة شغف بالبلاغة التي تضيع المضمون عوضاً عن إضاءتها، وبدأ السيد مزنر محاضرته بقراءة الفقرة الأولى من رواية (وداعاً للسلاح) لهمنجواي التي صعقتني تماماً؛ لما تتميّز به من نثر سلس غير معقّد وطابع غنائي وحقيقي، إضافةً إلى خلوّه من الصنعة والافتعال إلا النزر القليل.

كانت تلك المحاضرة بمنزلة كشف واستدعاء لي: كشف لأسرار النثر، ودعوة إلى الشروع في الكتابة، ومن هنا جاءت روايتي الأولى: بنات الريف، ويمكن أن أقول من دون تحفّظ أو مبالغة: إن الرواية كتبت نفسها في بضعة أسابيع، وبينما كنت منهمكةً في كتابتها كنت لا أكفّ عن البكاء؛ لأنها شكّلت بداية قطيعتي وانفصالي الحقيقي عن أيرلندا.

لماذا اتّجهتِ إلى دراسـة الكيمياء بالجامعـة مـع أن الأدب هو ميدان اهتمامك الأول؟

السبب المألوف: رغبة العائلة إضافةً إلى أنني كنت فتاةً وديعةً وطيعةً حينذاك، وبعد تخرّجي من الجامعة عملت مدةً في إحدى الصيدليات.

بطلة روايتك بنات الريف كانت تعمل أيضاً في صيدلية؛ هل تمثّل البطلةُ سيرتك الذاتية؟

نعم، الرواية مبنية على سيرتي بوصفي طفلة من غرب أيرلندا، تلقّت تعليمها الأول في أحد الأديرة، وكانت مشحونةً بغضب غامض وبلا ضفاف. وفي رأيي أن أي رواية لا بدّ أن تكون موصولة الرحم بسيرة الكاتب؛ لأن المرآة المصطنعة أو (المفبركة) لا تصنع روائياً،



علامـات الكُتَّاب الحقيقيين تظهر في سـن مبكـرة، وهـذا ما أسـمّيه شـغف الكتابة أو هوسـها الذي يلازم الكُتَّاب العظام من سن مبكرة إلى الكهولة



المـرأة الكاتبـة تعانـي مازوكيّـةً مزدوجـةً: مازوكيـة الأنثـى، ومازوكيـة الفنان، وليس أمامهـا خيارات كثيـرة للهرب من هذه المحنة

كانـت محاضرة آرثر مزنر بمنزلة كشـف واسـتدعاء لي: كشـف لأسـرار النثر، ودعوة إلى الشـروع في الكتابة، ومن هنا جاءت روايتي الأولى: بنات الريف

ومع قليل من المثابرة والمصادفات العجيبة والأسلوب والقدرات السردية طبعاً، ربما نفلح في النهاية في إنتاج جوهرة أو ربما بيضة ما. لكن المستودع الحقيقي للرواية هو ما يحدث داخل العقل والروح من صراعات، وإحساس مخيف بفقدان أشياء غير قابلة للاستعادة، وهو إحساس داخليّ عميق ومأساوي للفنان الحقيقي.

● هذا ما أطلق عليه توماس هاردي عبارة: كمد الأشياء؟

لكنه ليس الكمد الذاتيّ الذي لا يدركه إلا من عاناه وخبره، إنما هو الأسى الموضوعيّ أيضاً، فكلّما قرأت خطابات أو مذكّرات كتاب مثل فلوبير، أمعنت في اكتناه الأسى!

لقد كان فلوبير امرأةً في بعض النواحي، لقد قنع بالبقاء في مدينة روان الصغيرة والمحدودة والموحشة وهو يتحرّق من أجل الالتحاق بباريس وأضوائها وحياتها الصاخبة، ومع ذلك اكتفى بعزلته المجيدة في روان؛ لأنها تتيح له في كل آن إشعال المزيد من الحرائق في أشواقه الدفينة، والحرص على عدم إطفائها مهما كان الثمن، وهكذا فإن مجال الأدب لا يعدو أن يكون جادّة فسيحة للنكد والأسى.

ليس في الأدب ولا في حياة الكاتب ما يدعو للمسرّة؛ لأنه دائماً مبعد أو مستبعد، بخلاف

Edna O'Brien
Mother Ireland
with photographs by Fergus Bourke

الفنان الممثل الذي يظلّ موصولاً بجمهوره، على حين نجد الكاتب لا يعرف جمهوره، وليست له أي صلة بالقارئ، وعندما تصدر له رواية يكون مشغولاً بل مسجوناً بين جدران الرواية التالية، أو في فراغ لا ساحل له، وفي رأيي أن جميع الكتّاب هم ضحايا ضرب من المازوكية؛ لأن الكتابة في حدّ ذاتها تعدّ أعلى أشكال المازوكيّة.

هل المازوكية هي السمة الغالبة فعلاً على الفنان؟

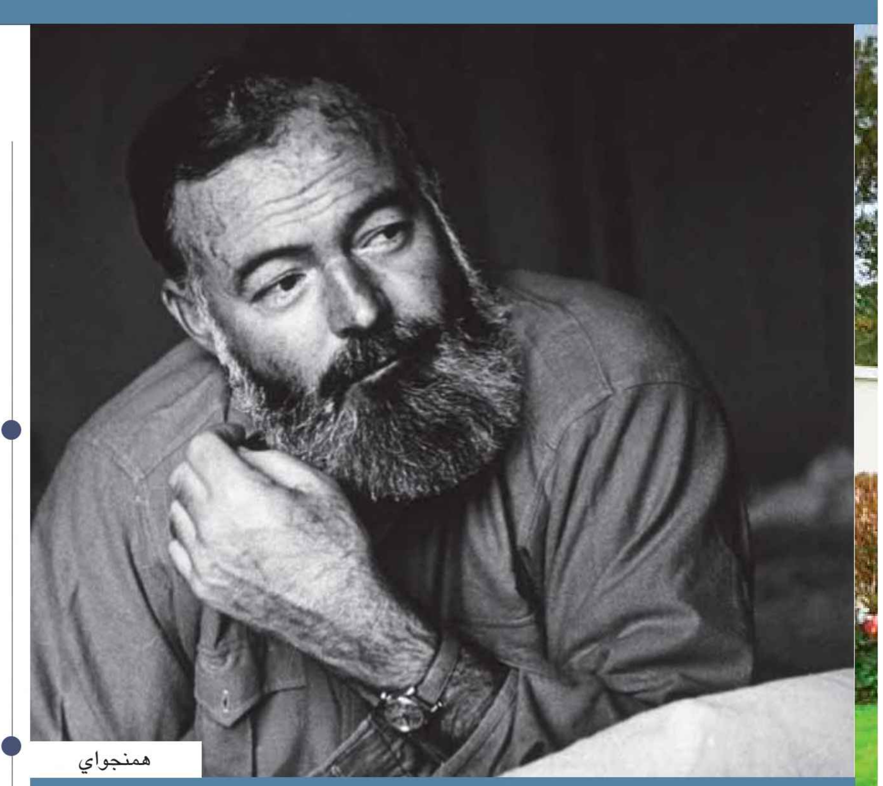
إلى حدّ ما، لقد قرأت مراسلات فان جوخ واندهشت؛ لأنه اكتفى ببتر أذن واحدة فقط، والمرأة الكاتبة تعاني مازوكيّةً مزدوجةً: مازوكية الأنثى، ومازوكية الفنان، وليس أمامها خيارات كثيرة للهرب من هذه المحنة، فمن السهل على الرجل الهروب من نفسه وضميره، لكن المرأة الكاتبة عليها أن تجتاز هذه الأهوال لتجد نفسها في آخر المطاف.

لكن البعض لا يفعل، فهناك حالات انتحار وجنون وإدمان كثيرة في أوساط الكتّاب!

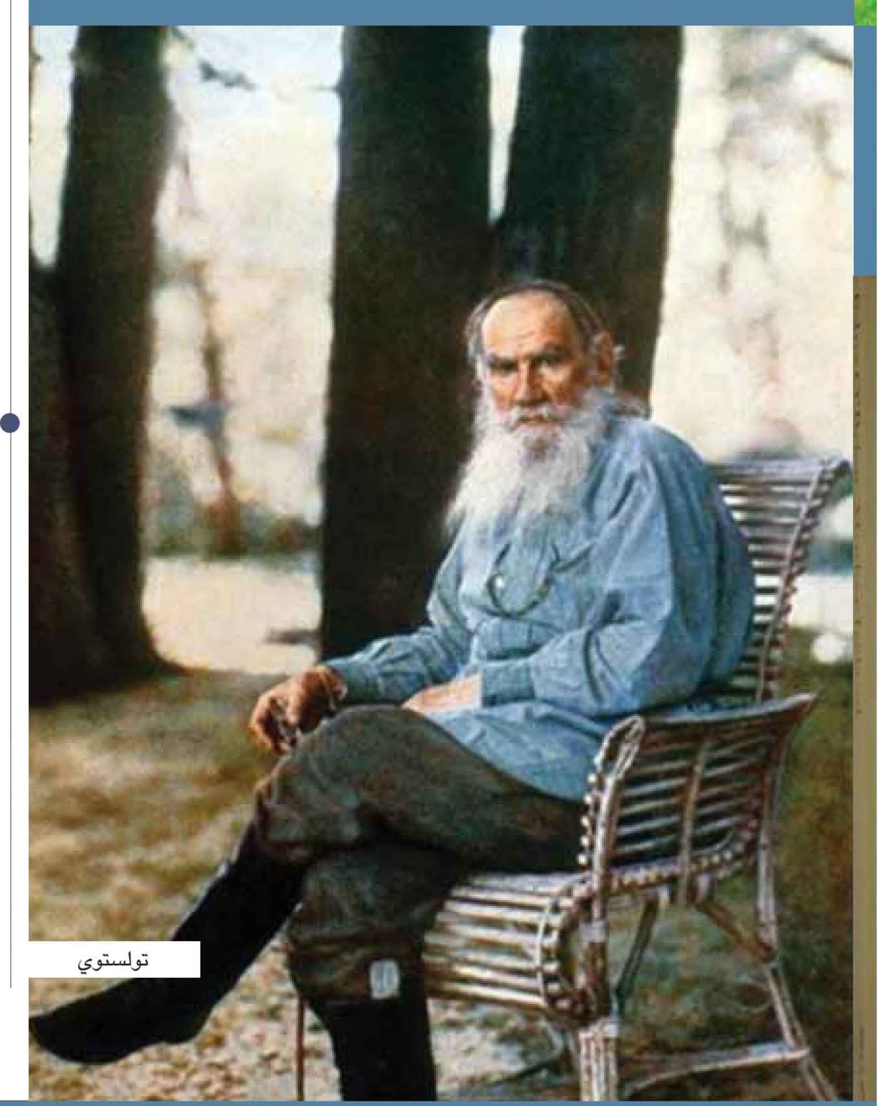
إنها نعمة إلهية، وربما تعبير عن قوّة الإرادة إذا ما تجنبت هذا المصير، وهناك كتّاب رائعون ألّفوا كتابين أو ثلاثة ثم انتحروا؛ مثل: سيلفيا بلاث التي أنهت حياتها، وكان يمكنها أن تقدّم إسهامات أفضل، وفيرجينيا نفسها انتحرت؛ لأنها ظنّت أن روايتها الأخيرة: بين الفصول، لم تحقّق نجاحاً يذكر، فعندما يشعر الفنان أن منابع إبداعه جفّت فإن الهاوية تستهويه، والعامل الآخر الذي يبدّد الموهبة هو الحزن، ويقول يتس: «الحزن الطويل يحيل القلب إلى حجر»، تخيّل لو أن إميلي برونتي عاشت إلى الخمسين من العمر! ما الروايات التي كانت ستهديها إلى العالم؟ وتصوّر حياة شارلوت برونتي الخالية من أشكال المسرّة كلّها! فكانت إميلي في الثلاثين من عمرها عندما كتبت مرتفعات وذرنج، ولا شك في أن معاناتها الحياتية الفائقة وسيول أحزانها بدّدا كلّ مصادر عبقريّتها، وقوّضا أريحية روحها المبدعة.

هل كان الكِتاب منفذاً لك للهروب من الواقع؟ ومن هم الكُتَّاب الذين تأثّرتِ بهم قبل رحيلك من أيرلندا إلى إنجلترا، أو لندن على وجه التحديد؟

أولاً لم تكن القراءة منفذاً لي للهروب، إنما كانت طريقاً إلى النموّ النفسيّ والفكريّ من خلال التعرّف إلى العوالم التي يتحرّك المبدعون داخلها أو في تخومها، فالروايات البوليسية وقصص الجرائم والجواسيس تمثّل الهروب المحض، وأعمال دستوفسكي مثلاً كانت بمنزلة تجديد الدم وكلّ خلايا الجسد. أمّا الكتاب الأكثر تأثيراً فيّ فهو أول كتاب اشتريته بمالي الخاصّ، وكان اسمه: (لمحات عن جيمس جويس)، وكانت المقدّمة بقلم إليوت، واحتوى الكتاب مقتبسات من رواية جويس: (صورة الكاتب في شبابه)، ومن قصص قصيرة، مثل: أهل دبلن، وعندما أنهيت قراءة الصفحة الأخيرة من ذلك الكتاب الصغير أدركت أن الأدب سيكون محور ما تبقّى لي من وقت في هذا الكون الواسع.

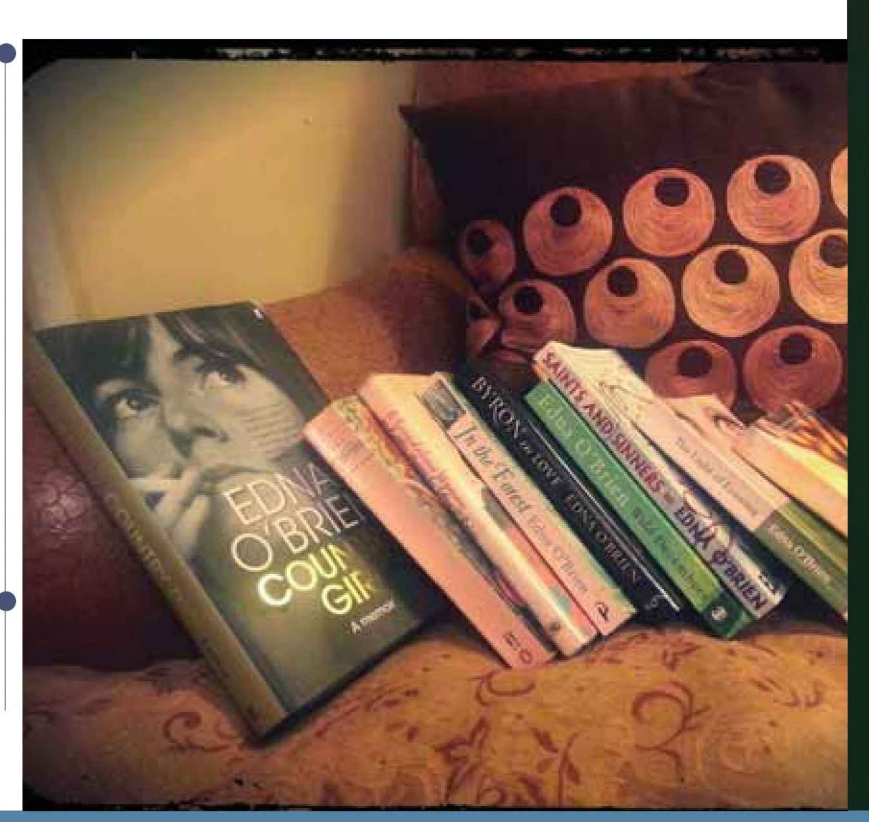

همنجواي

الفنـان الممثل يظلّ موصولاً بجمهـوره، على حين نجد الكاتب لا يعرف جمهوره، وليست له أي صلة بالقارئ، وعندما تصدر له رواية يكون مشغولاً بل مسجوناً بين جدران الرواية التالية


تولستوي



أعمالي حتـى الآن تدور حـول الفقد، وحول ما لا يمكن استعادته، وحول الحبّ أيضاً، فالإحساس بالفقد هو الذي يلازم الإنسان



ما خلاصة تجربتك مع جويس؟

قرأت رواية (يولسيس) في سنّ مبكرة، وفكّرت في الكتابة عن جويس، واستقرّ لديّ قناعة بأن أفضل ما يمكن أن تقرأه عن جويس هو أعماله نفسها، فصرفت النظر عن ذلك، وفي اعتقادي أن جويس أكبر من كلّ تقييم نقدي أو غيره، وقد حدث تحوّل كبير لجويس خلال العشرينيات والستينيات من عمره، وأعتقد أنه أصيب بنوع من الجنون الذي يسمّى جنون العبقرية.

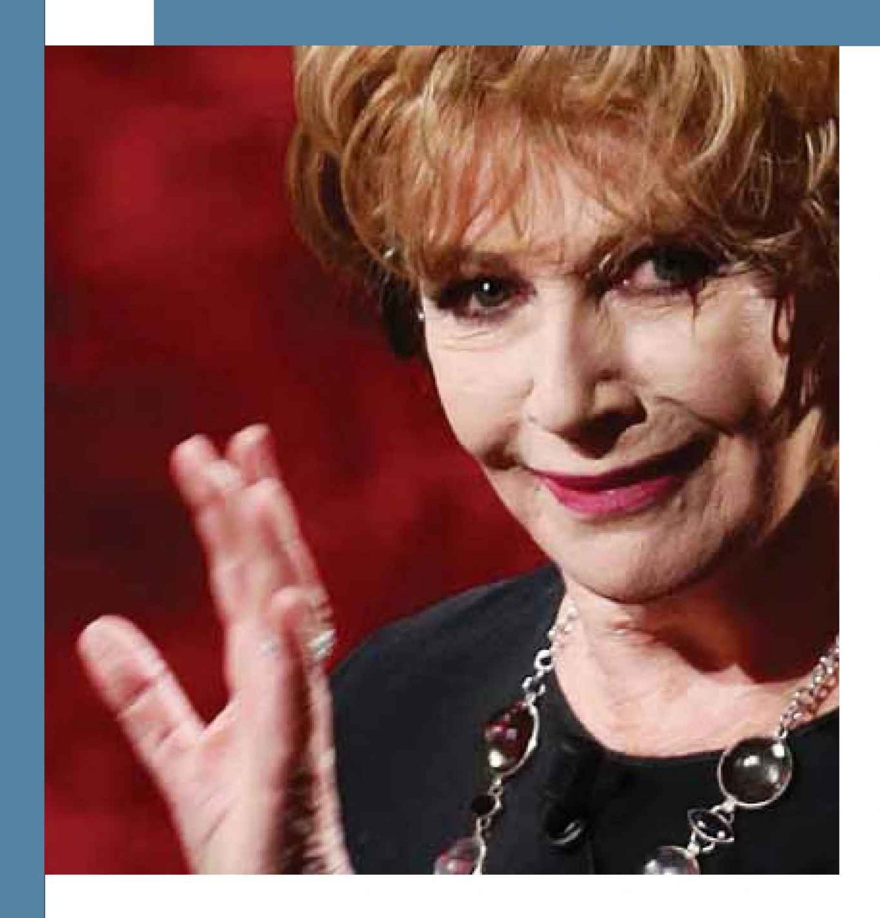
قال هـ. ج. ويلز عن رواية (يقظة فينيجان): إنها لغز محيّر، ربما لم يستوعبها إلا بعض المحظوظين ؛ مثل: ريتشارد أولمان، فقد قتل جويس نفسه عندما حاول القفز إلى ما قبل اللغة، أو ربما إلى ما بعدها، ولا أعرف إذا كانت هذه الرواية محسوبةً في ميزان خسائرنا أم مكاسبنا.

ماذا عن النساء الروائيات؛ لمن قرأتِ؟ وبمن تأثّرتِ؟

ما من كاتبة أو روائية بريئة من التأثّر بالأخوات برونتي ومرتفعات وذيرنج وجين إير، وتأثرت بأشعار إميلي دكنسون، وكتابات جين أوستن

علاقتـي بوطني معقّدة جداً، ولم أسـتطع العيش فـي مناخ الخرافة والتعصّب الدينـيّ الذي لا يعترف بأي حدود أو خصوصية للنساء أو للرجال

أعتقد أن مواطنيْنِ أو ثلاثة مواطنينَ اشـتروا رواية بنـات الريـف، وعندما رجعـوا طالبهم قسّـيس القرية بتسـليم نسخهم وأحرقها، ومع ذلك فقد قرأها كثير من الناس



لمن قرأتِ بعد ذلك؟

قرأت لثاكري، وتولستوي، وفيتزجيرالد، وتشيخوف، وتأثّرت بالروس؛ لأنهم يمثّلون كتلةً لا يمكن تجاوزها، وكذلك بجويس الذي انقلب كلياً على الموروث الأوربيّ على مستويات اللغة والسرد والبنية وغيرها، وقدّم أعمالاً جديدة جداً ومذهلةً، وفيما يتّصل بأعماق النفس البشرية لا أحد يبزّ الروس، فتشيخوف مثلاً لا يكتب المسرحية إنما ينفث الحياة في جنباتها، بل إنه ينفث الحياة خارج تلك الجنبات. وسيظلّ تشيخوف أستاذي الأول والأعظم خصوصاً في مجال القصص القصيرة.

كيف تفسّرين عظمة الأعمال الكلاسيكيّة الروسيّة؟

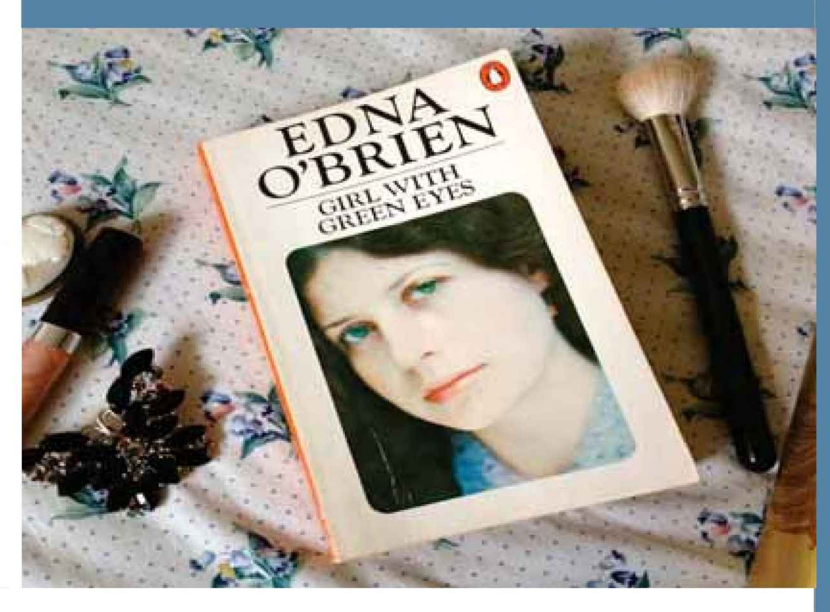
إن ترامي أطراف البلد، وتعدّد الأصول، وتنوع الجذور والثقافات، وقسوة الطقس والمجتمع على مرّ التاريخ؛ أدّى إلى تأجيج العنفوان الروائيّ والفكريّ والشعوريّ لدى الكتّاب الروس، ويقال: كلّما اشتدّ عليك الخناق كانت صرختك أعلى وأعمق، وهذا ما فعله باسترناك عندما خلّد الألم والشقاء والمعاناة في د. زيفاجو.

التي تعرّفتُ إليها في وقت متأخِّر، وتأثّرت بأشعار آنا أخماتوفا الروسية.

● دعينـا نتحدث قليلاً عن السـمات الأساسـية لرواياتك، وأعمالك الأخرى التي تعرّضت للنقد بحجّة إيغالها في الرومانسـية؛ أما زلـتِ مقتنعةً بأن الحـبّ -مثلما يقول أراجون- هو آخر ملاذ للكائن الاجتماعي؟

الجميع يقول ذلك حتى البيتلز في أغنياتهم، فإميلي دكنسون لها بيت شعر فصيح وقويّ، وهو: «هل هناك شيء أهم من الموت والحب؟ فما هو اسم ذلك الشيء؟» وعموماً فأعمالي حتى الآن تدور حول الفقد، وحول ما لا يمكن استعادته، وحول الحبّ أيضاً، فالإحساس بالفقد هو الذي يلازم الإنسان عندما يفقد أمّه مثلاً، وكلّ الكتّاب في رأيي محض أطفال يندبون ما فقدوا أو خسروا: الحبّ, أو الإيمان، أو ضياع الذات، وربما كان للبيئة والظروف اللتين نشأت فيهما دور في ذلك، فقد نشأت في غياب الوالد الحقيقيّ، فوالدي كان مقامراً وسكّيراً وغير مؤهّل تماماً ليكون زوجاً أو أباً، فكان لديّ منذ صغري إحساس عميق وتطلُّع دائم إلى الحبّ ودفء العلاقات الإنسانية التي كنتُ أفتقدها في البيت.

ترامـي أطراف البلد، وتعدّد الأصول، وتنوع الجـذور والثقافـات؛ أدّى إلـى تأجيـج العنفـوان الروائيّ والفكريّ والشعوريّ لدى الكتّاب الروس



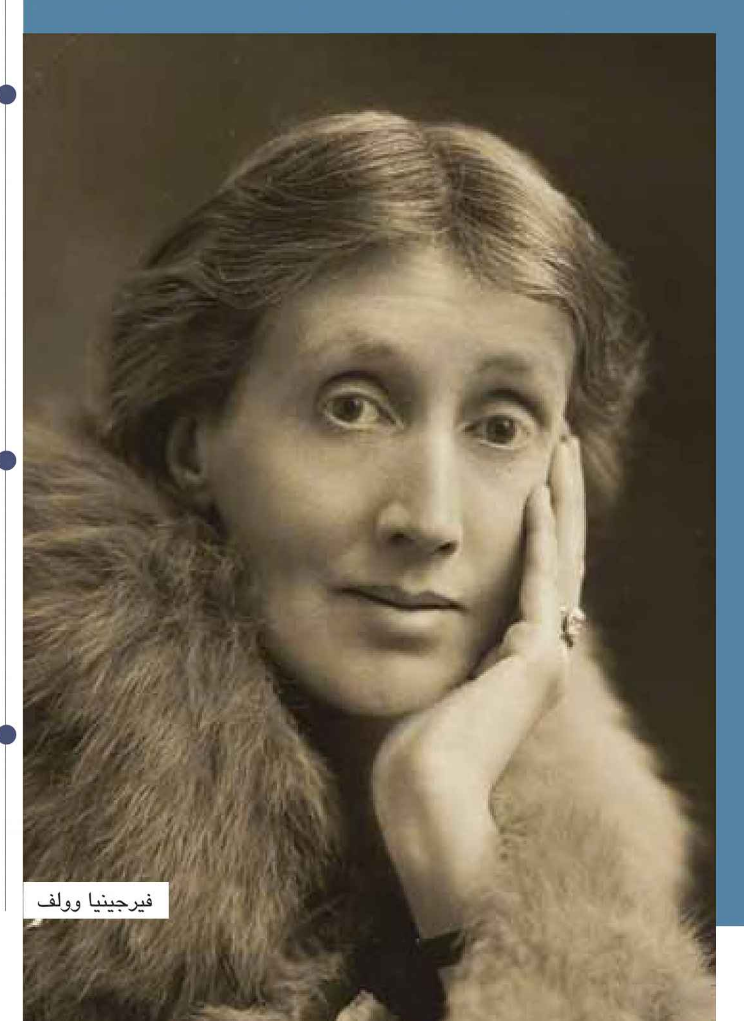
يبدو أن هذا هو مناط السمة الأساسية لأعمالك: المرأة التي تسعى إلى بناء علاقة متوازنة وبسيطة مع الرجل لكنها تخفق في ذلك؟

نعم، فقد كانت تجربتي في هذا الصدد موغلةً في المرارة وخيبة الأمل، ولا أستطيع تصوّر أي إمكانية لإقامة علاقة متناغمة أو حتى مجرّد ودّ بين الرجال والنساء، فربما أحتاج إلى أن أولد من جديد كي أومن بهذه الأمور.

السمة الأخرى المسيطرة على أعمالك هي الوطن؛ أي أيرلندا، ويبدو أن هذه السمة تعوم وسط تناقضات لا يمكن حلّها، فهناك نبرة حنين طاغٍ من جهة، وكراهية لا حدود لها للوطن من جهة أخرى، يصاحبها إصرارٌ لا يلين على عدم العودة؟!

علاقتي بوطني معقّدة جداً، ولم أستطع العيش في مناخ الخرافة والتعصّب الدينيّ الذي لا يعترف بأي حدود أو خصوصية للنساء أو للرجال، فكانت هناك أجواء تعادي العلم والمعرفة والأدب، وكل الكتّاب الكبار؛ مثل:

> جويس أكبر من كلّ تقييم نقدي أو غيره، وقد حدث تحوّل كبير لجويس خلال العشرينيات والستينيات من عمره، وأعتقد أنه أصيب بنوع من الجنون الذي يسمّى جنون العبقرية.


فيرجينيا وولف

> الكتابة نوع من المشي في أثناء النوم، لا أعرف بالضبط إلى أين أسير، لكني أصل في نهاية المطاف.

جويس، وأوكيزي، وبيكيت، ووايلد هجروا الوطن؛ لأنه كما قال جويس: «أيرلندا تأكل كتّابها كما يأكل الخنزير صغاره»، إضافةً إلى هذه الصورة المؤلمة فهناك صورة أخرى ضدّها، وهي: جمال الطبيعة، والشِّعر، والقصص، والموروثات الشعبيّة، لكن كثيرين يرون أنني ركَزت في كلّ ما هو دميم بأيرلندا.

لنعد إلى فيرجينيا وولف؛ لماذا هذا التعلّق الكبير والشغف الظاهر بها مع أنكما تنتميان إلى تيارات متباينة؟

أولاً أنا قرأت كتاباتها في النقد، وأيقنتُ أنها عاشقة الأدب، ولا تكتفي بتوظيفه فقط مثلما يفعل النقاد، وعندما طُلب مني كتابة مسرحية عنها قرأت كلّ أعمالها ورسائلها ومذكراتها خصوصاً روايتَيْ: إلى المنارة، ومسز دالاوي التي أحبّها كثيراً, وتيقّنت أنها من ذلك الطراز البشريّ الذي لا يتردّد في الإفصاح عن كلّ ما يعنّ له من دون خوف أو وجل، وتبدو فيرجينيا لبعض الناس إنسانةً متعاليةً أو معزولةً وانطوائيةً، لكنني أعتقد أن ضدّ ذلك هو الصحيح باستثناء أنها مثل كل كاتب أو مبدع عظيم كانت تعاني قلق التأثير، والخوف من الفشل، وانحسار الاهتمام بها وبأعمالها.

كيف كان استقبال رواياتك في أيرلندا وفي مسقط رأسك؟ وهل عدت إليها بعد رحيلك منها؟

أعتقد أن مواطنَيْنِ أو ثلاثة مواطنينَ اشتروا رواية بنات الريف، وعندما رجعوا طالبهم قسّيس القرية بتسليم نسخهم وأحرقها، ومع ذلك فقد قرأها كثير من الناس، أما أمي فقد أصدرت على الفور حكماً قاسياً، وأعلنت أنني عار على العائلة وأهل القرية. نعم زرت القرية مرةً، وكان الناس ظاهرياً مهذّبين جداً، لكنهم كانوا يغتابونني من وراء ظهري.

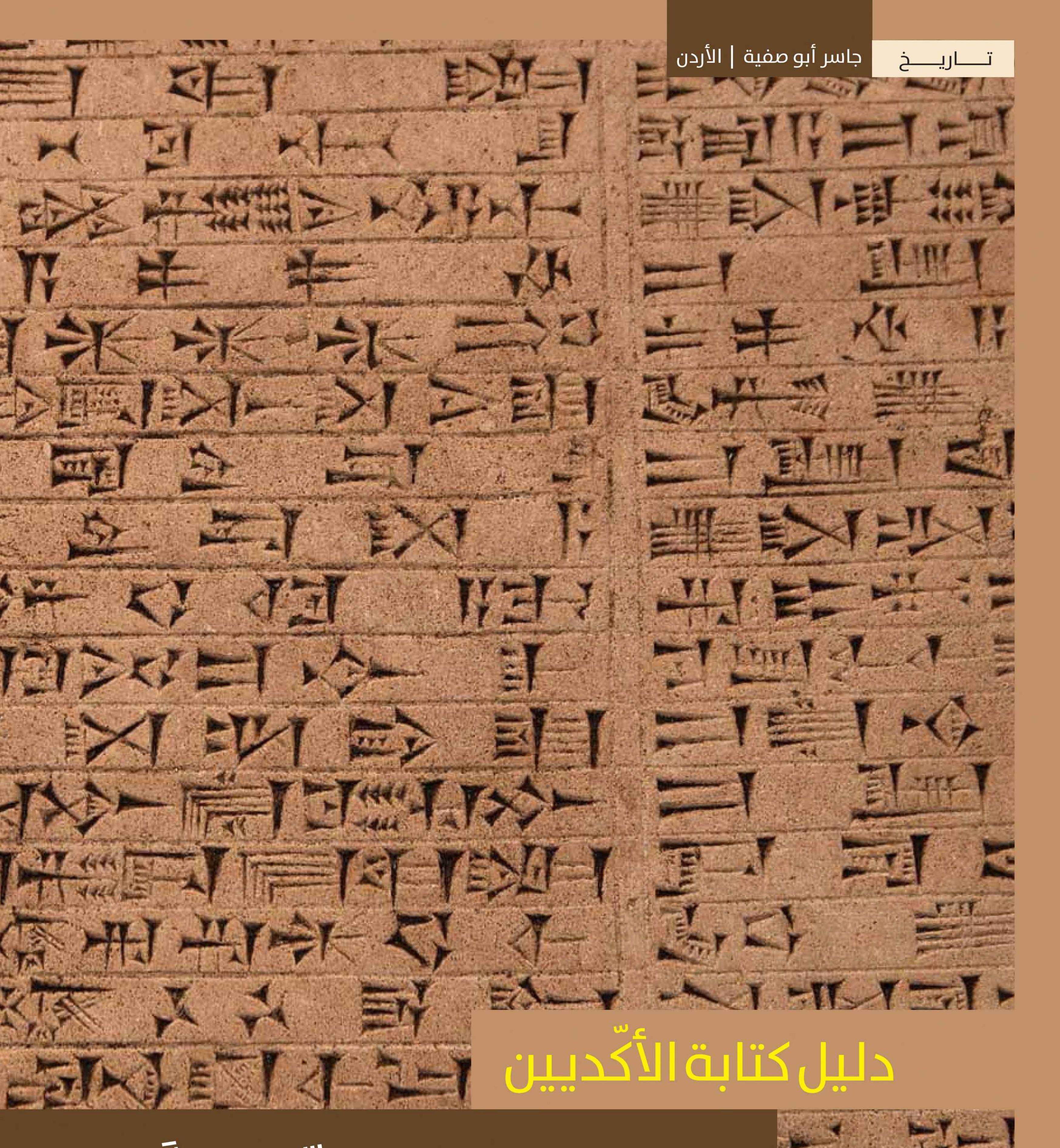
كيف يأتيك الإلهام؟ أهي فكرة جملة أم حكاية أم قصة قصيرة؟

دائماً تكون لدي جملة افتتاحية في ذهني، لكن الكتابة نفسها هي نوع من المشي أثناء النوم، لا أعرف بالضبط إلى أين أسير، لكني أصل في نهاية المطاف.

هل تكتبين من أجل العائد الماديّ؟

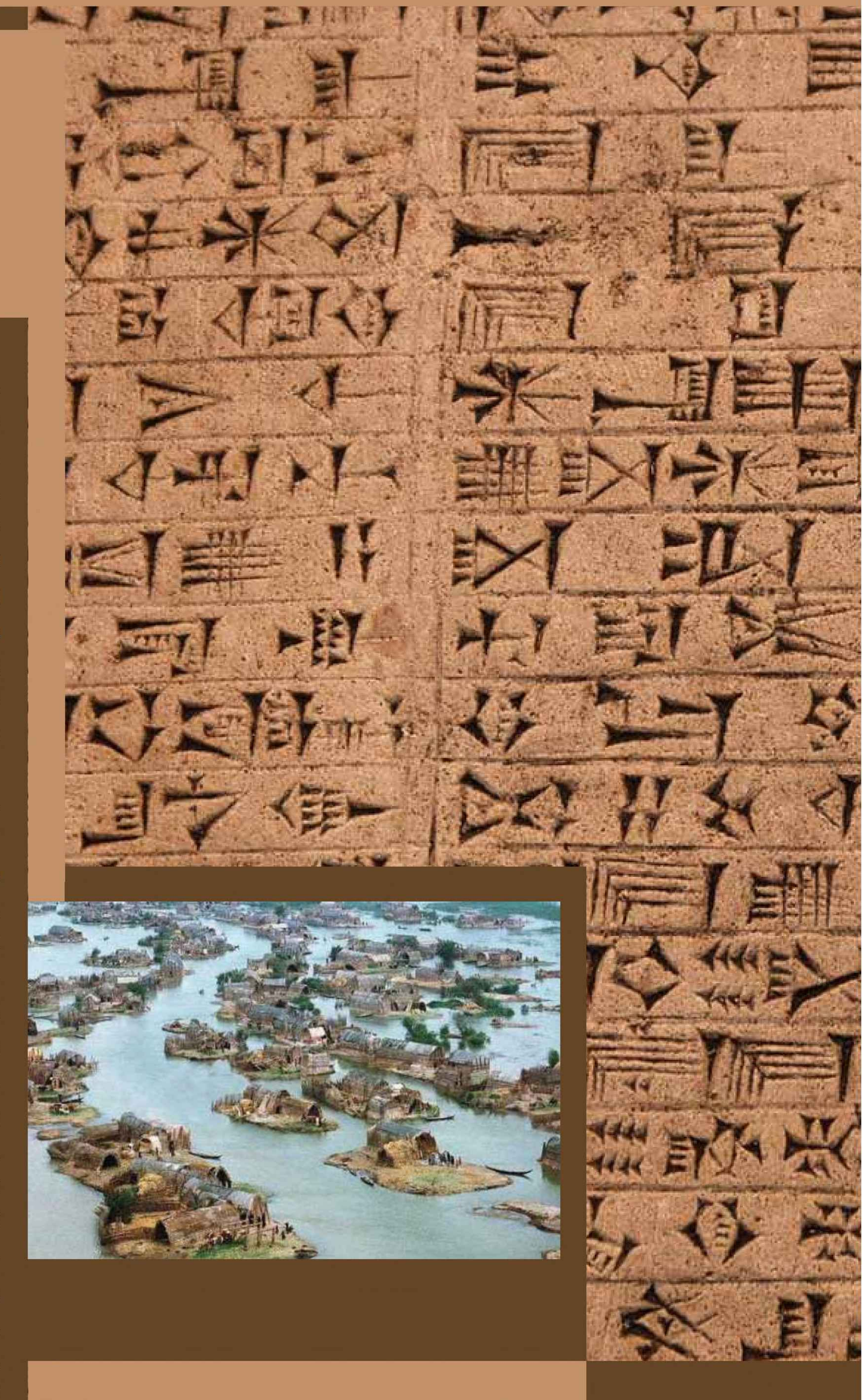
لا أفكّر أبداً في العائد الماديّ، لكن لا بد من التوفيق بين مطلبين هما: حاجتي إلى كسب وسيلة للعيش، والحاجة إلى الكتابة. ولو فتحت لي أبواب الثراء فجأة أعرف أنني سأظلّ أكتب خصوصاً أنني مبذّرة بكل المقاييس.

جاسر أبو صفية | الأردن



دليل كتابة الأكّديين

في ورق البرديّ والرَّق



شاع في الدّراسات الأشوريّة أن الأكديّين اقتصروا في كتابة تراثهم الأدبي والدّيني والاقتصادي والعلمي على الرُّقم الطينية، وهو حكم لم يُبْن على أساس ثابت. وأوّل من تنبّه لخطأ هذا الحكم العالم البريطانيُّ سايس Sayce؛ إذ كتب مقالة عام ١٨٧٢م بعنوان: **The Use of Papyrus as a Writing Material Among the Accadians**، وأشار في مقالته إلى وجود سجلات عقود مثلثة الشكل مكتوبة في ورق البردي عند الذين اخترعوا الكتابة المسماريّة[1].

وبعد سنتين كتب تالبوت **Talbot** مقالة بعنوان: **Assyrian Notes-No.1** في مجلة **Transaction of Biblical Archaeology**, vol.3,pp.٤٣٠-٤٥، أكّد فيها ما جاء في مقالة سايس، وقدّم أدلّة متعدّدة على أنّ الأكديين كتبوا في ورق البردي؛ فمن أدلّته:

- وجود كلمة (نِجِن) التي تعني مجلّداً من البرديّ، وهو المعنى الموجود في المعجم الكلدانيّ.
- ورود جملة (كتابة في جلد نباتيّ) في النصوص المسمارية؛ أي: نبات البرديّ، وهو ما يفهم من قول الملك أشور بانيبال الذي ذكر أنه نسخ ألواحه من ألواح قديمة وبرديات من أشور وأكّد.
- استدلّ بوجود أسماء كتب أشوريّة مختلفة؛ إذ ورد في أحد النصوص المسمارية أنّهم عالجوا مريضاً حسَب وصفة مذكورة في كتاب جيّد. ومن أسماء الكتب التي ذكرها تالبوت: أسرار الدّين البابليّ، والذهاب إلى الجحيم، وهو شبيه في مضمونه بكتاب (الموتى عند المصريّين)، وكتاب الصلاة أو العبادة، وكتاب التفسير، وكتاب الوحي.

يرى ريموند دورتي أنّ الكتاب الأكديّين لم يرغبوا في كتابة تراثهم في مواد قابلة للتلف بفعل الرطوبة التي تمنع من حفظ البردي المدفون في خرائب المدن



الأدلة على كتابة الأكديين في ورق البردي: كثرة نبات البــردي بأنواعه المختلفة فـي أهوار العـراق، وفي قصور الملوك الأكّديين، وكثرة المصنوعات التي كانت تعمل من البرديّ في بلاد الرافدين

- استدلّ بوجود مصطلح مسؤول الكُتُب، أو رئيس المكتبيّين.

ثمّ كتب ريموند دورتي **Daugherty** مقالة مطوّلة عام ١٩٢٨م بعنوان:**Writing Upon Parchment among the Babylonians and Assyrians**، مهّد فيها بالقول: إنّ الكتاب الأكديّين لم يرغبوا في كتابة تراثهم في مواد قابلة للتلف بفعل الرطوبة التي تمنع من حفظ البردي المدفون في خرائب المدن. ثمّ ذكر بعض الأدلة على كتابتهم في البردي والرّق؛ منها مصطلح (كُشَرُّ) الذي يدلّ على الكاتب الذي يكتب في الجلد أو الرّق. ويقابله مصطلح (دُفْشَرُّ) أو (طُفْشَرُّ)؛ أي: الكاتب الذي يكتب في ألواح الطين. ويرى أنّ البردي لم يكن مجهولاً عند الأكّديّين؛ لأنّه كان موجوداً في سورية التي كانت ضمن المملكة الأكّديّة[٢]. ومن أدلّته: ورود لفظة (سافر)؛ أي: كاتب، ولفظة (نِئَارُ) أو (نِيارُ) في عدّة نصوص من عهد سرجون الثاني وغيره من الملوك الأكّديّين[٣]. ومن أدلّته أيضاً: النّقوش الأشورية المصوّرة في قصور الملوك الأشوريّين، ومنها صور نافرة لكاتبين: أحدهما يكتب في لوح طينيّ، والآخر يكتب في مادة مرنة[٤]. وحقيقة الأمر أن الكاتب الأوّل لم يكن يحمل في يده لوحاً طينياً، كما سيتّضح في سياق أدلّتي.

ويرجّح Pinches أنّ كثيراً من الألواح الطّينيّة قد كُتبت أوّلاً في ورق البرديّ. وبعد أن أُرسِلت إلى الملك ونسخها كُتّاب القصر الملكيّ في ألواح طينيّة، وأُودعت في المكتبة الملكية في نينوى. وممّا يؤكّد ذلك وجود حاشية لأحد الألواح. ويفهم من هذا أنّ الطّين والحجارة لم تكن مادّة الكتابة الوحيدة عند الأكّديّين[٥].

الأدلة على كتابة الأكديين في ورق البردي

أدلّتي على أنّ الأكّديّين كتبوا في ورق البرديّ: استخلصتها من عدّة مصادر في أثناء تقميشي مادّة المعجم الأكّديّ - العدنانيّ الذي أعكف على إعداده. وفيما يأتي بيان هذه الأدلّة:

- كثرة نبات البرديّ بأنواعه المختلفة في أهوار العراق: أهمها نوعان: أحدهما ورقه عريض، والآخر ورقه دقيق، ويستعملان في بناء البيوت(٦). وذكرت نوال نصر الله في كتابها In my Iraqi Kitchen أنّها استخلصت من البرديّ الذي ينبت في أهوار العراق الجنوبيّة، واسمه (الخِرّيط)، لوناً

من ألوان الطعام العراقيّ. ويعرف في العدنانية باسم (الخُراط والخُرّاط والخُرَيطيّ والخُراطَى)، وهو شحمة تتمصّخ عن أصل البرديّ، واحدته: خُراطة.

– صور زخارف وجداريّات وحليّ فيها نبات البرديّ في قصور الملوك الأكّديّين: وتأتي بأسلوب كنعانيّ أو مصريّ، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب Ivories from Nimrud بأجزائه السبعة، وكتاب Nimrud and its Remains بجزأيه؛ فمن ذلك مثلاً: حلية مزخرفة بنبات البرديّ والرّمان، ولبؤة تفترس نوبياً في حقل من البرديّ واللوتس، وإطار مستطيل الشكل فيه أربعة صفوف من أزهار البرديّ وخمسة براعم، وشابّان يجذبان نبات البرديّ إلى خاصرتيهما.

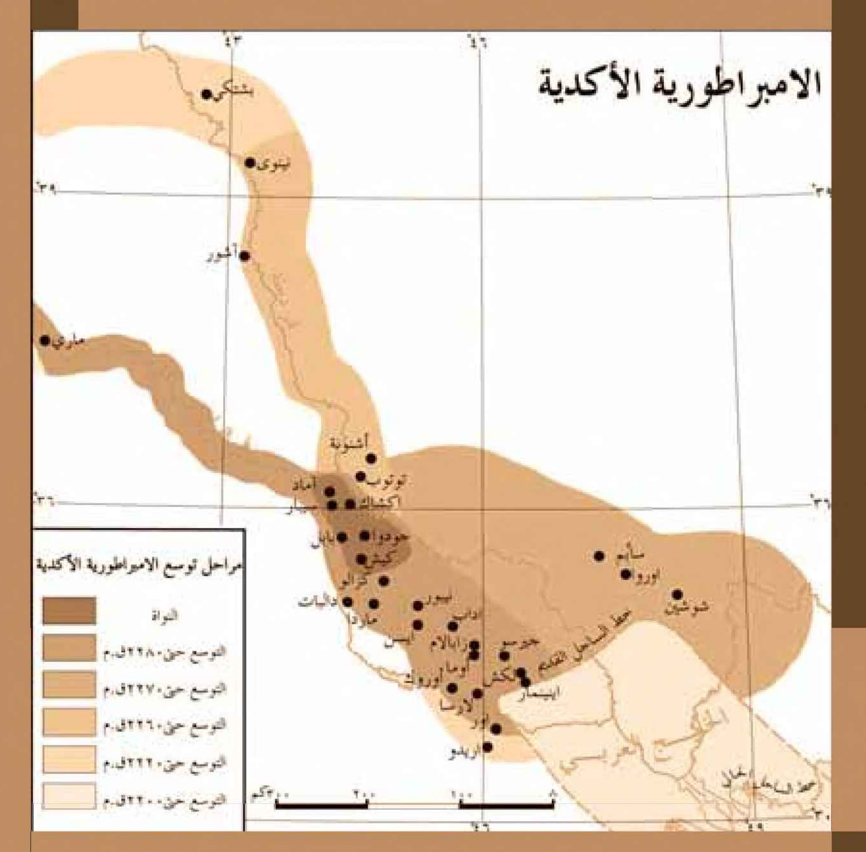
– كثرة المصنوعات التي كانت تعمل من البرديّ في بلاد الرّافدين: من ذلك: استعماله في صناعة السِّلال، واستعماله في صناعة الزوارق، واستعماله في عمل الأكواخ، ويطلق على الكوخ المصنوع من البردي (خُصّ). وتذكر الروايات أنّ الخليل بن أحمد الفُرهوديّ كان يعيش في خُصّ لتقشفه. ولا يزال كثير من أهل العراق يعيشون في هذه الأكواخ المنتشرة في الأهوار الجنوبية، وتسمّى (صرائف)، ومفردها: صريفة،

تشـتمل الأكديّة على ألفـاظ كثيرة لأسـماء البرديّ بأنواعه المختلفة ممّا لا نجده في اللهجة العروبية المصرية التي اشتهرت بورق البرديّ، ولا في العدنانيّة

وبالأكديّة (كِكّش).

ومن المصنوعات التي كانت تصنع من البردي في بلاد الأكديين صناعة الحُصر التي تعرف في الأكّديّة بـ(بُرُ)، وفي العدنانية (بارية). وللأب مرمرجي بحث طريف في الرّدّ على مَن زعم أنّ البارية أعجمية، وفيه نصّ رسالة أكّديّة نَشَرَ ترجمتَها الفرنسيّة فرانسوا مارتن، وفي الرسالة يشرح مُرسِل الرسالة للمرسَل إليه طريقةَ صُنع البواري[٧]. ولحُصر البردي استعمالات متعدّدة عند الأكّديّين؛ منها: مادّة عازلة للحرارة توضع بين طبقات الجدران وأرض الغرف والممرات، كما تستعمل في تعبيد الطرق. وكذلك تُلفّ بها الألواح الكتابية لئلّا تتلف أثناء شحنها من مكان إلى آخر، كما تلفُ بها جثث الموتى في القبور؛ لاعتقادهم أن البرديّ يؤمّن الحماية للميّت أو يضفي عليه قوّة سحريّة. وكانت احتفالات السحر تمارس في أكواخ من قصب البرديّ. كما تُغلّف التماثيل الصغيرة التي توضع مع الميّت بحصر البرديّ. وتوضع الحُصر المطليّة بالقار فوق الشّرائح الخشبيّة الموضوعة على الأسطُح؛ لمنع تسرّب الماء. ومن استخدامات البردي في بلاد الرافدين استخدامه في علاج المرضى؛ إذ يضرب الكاهنُ

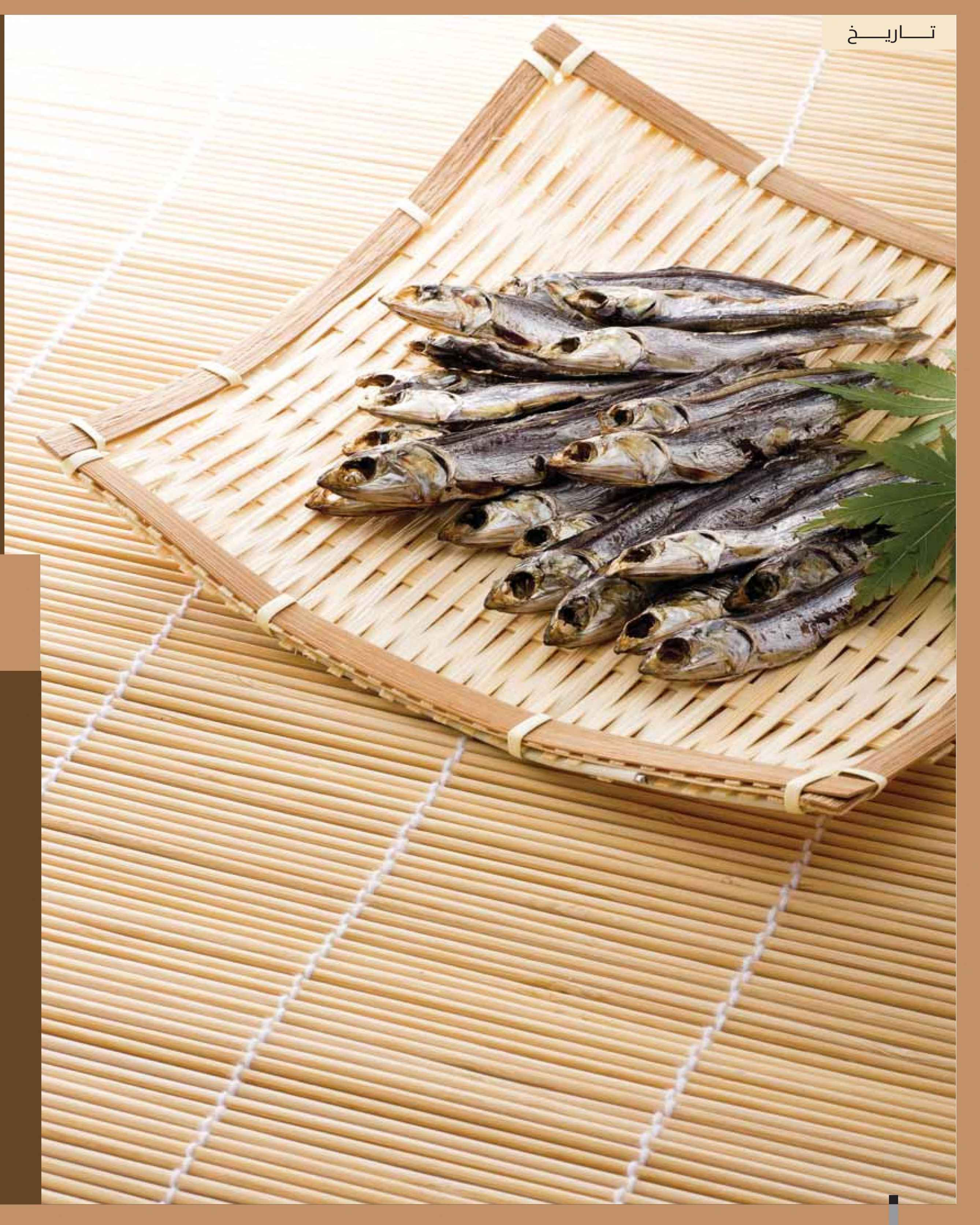
تشـتمل الأكديّة على ألفـاظ كثيرة لأسـماء البرديّ بأنواعه المختلفة ممّا لا نجده في اللهجة العروبية المصرية التي اشتهرت بورق البرديّ، ولا في العدنانيّة



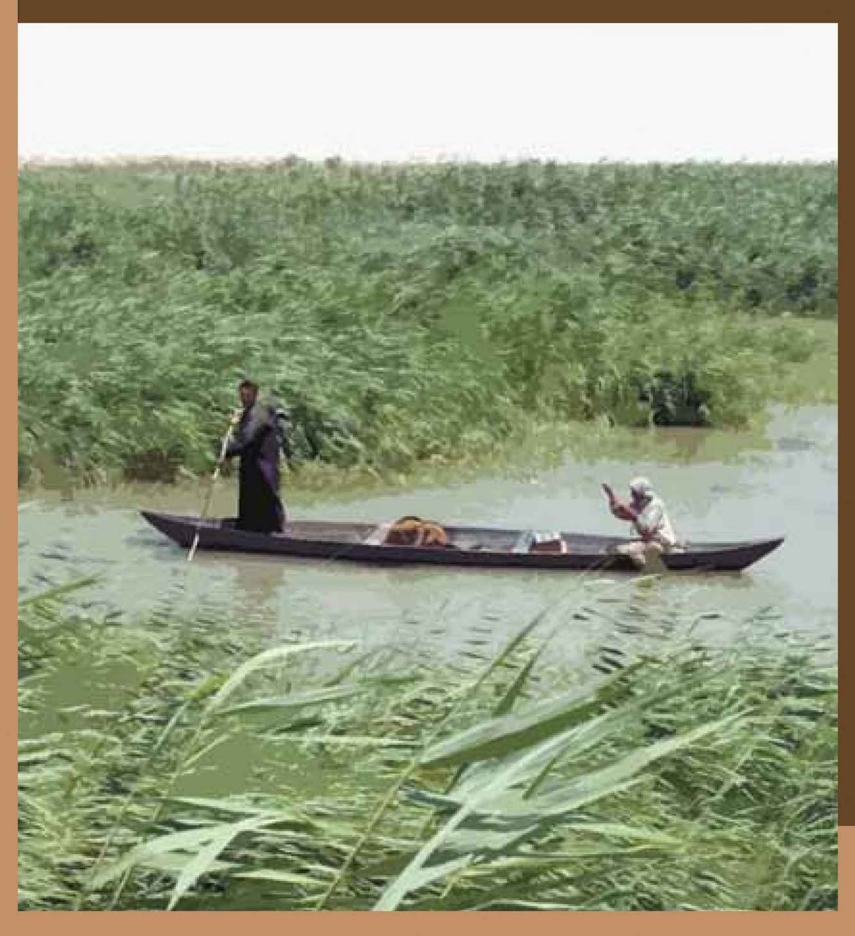
١٣٠ صورة رسالة بردية

• **ثمّتَ وثائق كثيرة يرد فيها لفظ البرديّ، تشـتمل على أسـماء مدن، وإرسـال جيوش لقتال الأعداء، واستشـارات الإله شـمس في الخطط العسـكرية المكتوبة**، وأسـئلة طبّيّة، واستشـارته في الرجال المسـؤولين، وأسـماء الثّائريـن، وأسـئلة عن عبـادة مـردوك، وكثيـر غيرها في الآرشيف الأشوريّ SAA.

• وجـدتُ فـي كتـاب: Discoveries among the Ruins of Nineveh and Babylon (ص ١٣٠)، صـورة رسـالة برديّـة تالفـة بفعـل الحريق الذي لحق المبنى، أو بفعل العَفَن، ومعها خاتَم طينيّ.



الرجلَ المريض سبع ضربات بعصا من البرديّ وكذلك استعماله في عمل السّهام والمشاعل وفي الوقود، وفي عمل أنواع متعدّدة من الأواني والأدوات؛ منها: الدّلاء، والغرابيل، والمناخل، وأنابيب الشرب، وعمل الأسيجة، والأبواب، والسُّرُر، والكراسيّ. ولا يزال هذا الأمر شائعاً في بعض البلاد العربيّة. كما يستعمل البرديّ في صناعة ملابس اللعن للأعداء، كما سيتّضح من الوثيقة التي سأذكرها في الحديث عن الأدلّة من الوثائق. ويستعمل في عمل أقلام الكتابة وورق الكتابة، وعمل الحبال والعصيّ ومذابح المعابد، وعمل مقاييس الأطوال، ومصطلح ذلك (قَنُ)، وتستعمل الأجزاء الغضة منه علفاً للماشية.



- الدّليل اللغويّ:

تشتمل الأكديّة على ألفاظ كثيرة لأسماء البرديّ بأنواعه المختلفة ممّا لا نجده في اللهجة العروبية المصرية التي اشتهرت بورق البرديّ، ولا في العدنانيّة؛ ومن هذه الألفاظ:

- أباءُ: ومكافئها العدنانيّ أباءة، وهي أَجَمة القصب، وجمعها أباء. والأباءة: البرديّة.

ريموند دورتي: إنّ الكتاب الأكديّين لم يرغبوا في كتابة تراثهم في مواد قابلة للتلف بفعل الرطوبة التي تمنع من حفظ البردي المدفون في خرائب المدن

- أفشُ: الهمزة منقلبة عن الحاء، والشين مبدلة من الهمزة؛ فهي حَفَأ؛ أي: برديّ. وقد تكون حَفْشاً؛ أي: جريان السيل إلى مستنقع واحد، وإذا كانت تدل على أَجَمة القصب فهي حَلَف وحلفاء، وهما من أسماء البردي الذي يكون في المستنقعات.
- إلْفِتُ: الهمزة منقلبة عن الحاء، فهي حِلِفْتُ؛ أي: حلفاء.
- أربانُ وأرْبَتُ: قصب البردي ووثيقة البرديّ.
- أَفُ: الحلفاء، وهو البردي.
- صِئْفُ: من الجذر صحف، أي صحيفة، وتدلّ في الأكديّة على الكتاب أيضاً.
- قِطُّ: وثيقة، كتاب. وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان المكذّبين بالرُّسل: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (ص: ١٦)
- نِجَارُ: نِيَارُ (بقلب الجيم ياء): وهو نبات النّهر؛ أي: البرديّ، وتدلّ على وثيقة البرديّ.
- قانو - قَنُو: قصب البرديّ. وأبان قنُ: قلم القصب.
- مَجَلَّتُ: مجموعة صحف، وهي المجلّة في العدنانية.
- إصيرُ: عهد، صكّ. وفي العدنانية: وِصْر، وهو الصّك الذي يُكتب فيه السجلّات.
- سَفانُ: دَوَن، وهو خاص بالألواح الطينيّة، ومنه أُخِذ قلم الإسفين الذي

تفضيل الأكدية المسماوية على الإرمية

كان ملوك الأكّديّين يفضّلون أن يكتب لهم عمّالهم على الولايات بالأكّديّة المسمارية لا بالإرميّة التي كانت سائدة آنذاك؛ ففي رسالة من سرجون الثاني إلى أحد عمّاله: «لِمَ لا تكتب إليَّ في لوح طينيّ بالأكّديّة؟»؛ لأنّه كتب إليه بالإرميّة في ورقة برديّ. وعقّب باربولا على ذلك بقوله: «من الواضح أنّ سرجون كان لا يقبل أن يُكتب إليه بالإرمية. ولعلّ ذلك يعود إلى الفخر بلهجته الأكّديّة، والحفاظ على أسرار الدّولة، ولا سيّما أنّ الإرميّة يمكن قراءتها من قبل كثيرين»[1].

(1) Parpola, the Correspondence of Sargon II, part 1, pp. xv -xvi.

تكتب به المسماريّة.

- خِلْتُ: نوع من القصب.
- كورُ: قطعة ثخينة من القصب.
- أقارُ: الهمزة منقلبة عن العين؛ أيّ: عقّار، وهو مستنقع البرديّ.
- شِشْنُ - شِشَنُّ: السُّمَّار، وهو الأسَل: من أنواع البرديّ.
- جُورُ: أوراق نبات البرديّ.
- كِرْكُ: أدراج من البرديّ.
- مَشْطَرُ: مسطورة؛ أي: وثيقة مكتوبة، من الجذر سَطَرَ؛ أي: كتب. شَطارُ: كتبَ.
- مُشَطْرُ: خطّ اليد، وهو التوقيع.
- سَنْجِرُ: نبات مستنقع، وهو البرديّ.
- فَشَاطُ: طمس الكتابة، ولا يكون هذا في اللوح الطينيّ، وإنّما في ورق البرديّ أو الرَّقّ.
- أَشْلُ: الأسَل نوع من البرديّ تُتّخذ منه الغرابيل في العراق.
- خُصّ: الخصّ، تقدّم بيانها.
- قُفُّ: قُفّة من البردي.
- ليؤُ: كتاب، ومنه كتاب الحياة، وتعني أيضاً لوح الكتابة. وقد وردت لوح بمعنى كتاب في قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢٢)، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرّعد: ٣٩).
- ليؤُ آكِلُ: دودة الكتب، وهي الأرَضة، وتأكل الكتب المصنوعة من ورق البرديّ، أو الألواح الخشبيّة، ولا تأكل الألواح الطينيّة.

وذكر سايس لفظة أخرى هي (فِشنُّ)، وقال: إنّها ما يخرج من النّهر؛ أي: البرديّ لكنّي أرى أنّها (البشنين) باللهجة المصرية؛ أي: اللوتس، وكلاهما نبات نهريّ، ويستعمل البشنين في صناعة ورق البرديّ. كما تشتمل الأكّديّة على كثير من أسماء الأواني والأدوات التي تُعمَل من البرديّ مبثوثة في تضاعيف معجم شيكاغو الأشوريّ CAD ممّا لا مجال لذكره هنا.

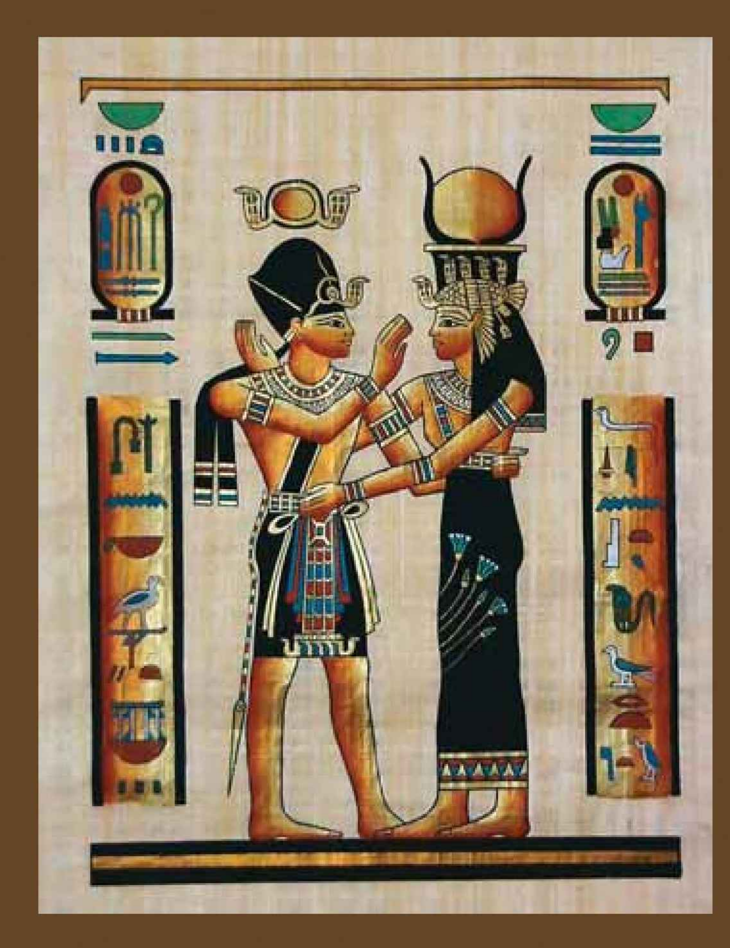
- الدّليل من الوثائق:

ترد لفظة البرديّ في كثير من الوثائق الأكديّة من عهد سنحاريب وسرجون الثاني وغيرهما من ملوك الأكّديّين، وقد وجدت في آرشيف الدولة الأشوريّة (SAA) ستاً وثمانين وثيقة برديّة؛ فمن أمثلتها:

- رسالة من الأمير سنحاريب يطلب فيها إرسال دُرجين من البرديّ

تـرد لفظـة البـرديّ في كثير مـن الوثائـق الأكديّة من عهد سـنحاريب وسـرجون الثاني وغيرهما من ملـوك الأكّديّيـن، وقد وجـدت في آرشـيف الدولة الأشـوريّة (SAA) ستاً وثمانين وثيقة برديّة





لكاتب القصر[٨].

- معاهدات من القرنين التّاسع والثّامن قبل الميلاد، فيها ما يفعله الملك بأعدائه: «ليكن طعامهم التراب، وشربهم بول الحمير، وملابسهم من البرديّ»[٩].
- وثيقة تقول: «أَميلُ شَ شُمْشُ إِنَ نِيارِ أَنَ شَطْرُم»؛ أي: الرّجل المسطور اسمه في هذه البرديّة[١٠].
- وثيقة فيها قول شَلْمَنْصَّر عن أعدائه الذين هربوا: «وهرب بقيّة الأعداء في زوارق من البرديّ، وتبعتُهم في زوارق سريعة من الجلد المنفوخ، وغَصَبتُهم»[١١].

- الكتب:

تقدّمت الإشارة إلى استدلال تالبوت على الكتابة في ورق البرديّ بوجود كتب في التراث الأكّديّ، لكنّه لم يبيّن صفة هذه الكتب. كما أُشير إلى ما كتبه دورتي عن الكاتِبَيْن، وأنّ أحدهما يكتب في لوح طينيّ، والآخر يكتب في مادّة مرنة. وحقيقة الأمر أنّ أحد الكاتبين يكتب في رقّ أو برديّ، والآخر يكتب في لوح عاجيّ مغطّى بالشمع، وله مفاصل كي يسهل طيّه. وشاع هذا النّوع من الألواح كثيراً في بلاد الرّافدين، وكانت تكتب فيها الأمور الدّينيّة، والشعائر، والأخبار الملكيّة، والمراسلات، والمسائل الإدارية والأمور الفلكيّة. ويعمل من هذه الألواح نُسخ لمكتبة نينوى. وتستعمل في كتابة النسخ الجيّدة من الكتب، ولا سيّما التي تنسخ لقصر سرجون الثّاني.

ويصنع اللوح الشّمعيّ بمزج شمع العسل مع الكبريت الأصفر الذي يعرف بالرَّهَج؛ ليكوّن طبقة قويّة صفراء يسهل الكتابة فيها. ويُعمل من الألواح الشمعيّة ذات المفاصل كتاب يتألّف من عدّة صفحات أقلّها خمس، وأكثرها ستَّ عشرةَ صفحة. ويسهل تجديد هذه الألواح، وإعادة استعمالها، لكن يسهل تزويرها. أمّا الألواح الطّينيّة فيصعب تزويرها لكنّها تكسر؛ لذا يُدْرَج مع اللوح الشمعيّ أو الوثيقة البرديّة خاتَم منعاً للتزوير. وثمّت إشارات في النصوص المسمارية إلى ألواح مصنوعة من الحجر اللّازورديّ أو الذهب أو الفضّة، لكنّ أغلبها كان يصنع من العاج أو الخشب.

ويُكتب في الألواح الشّمعية بقلم خاصّ من العاج أو العظم، بالحروف المسماريّة. ويُكتب بقلم القصب في الجلود والرّقّ والبرديّ والخشب. وفي هذه الحال استخدم الكُتّاب الحرف الكنعانيّ الذي كتب به الإرميّون. وثَمّتَ نوعان من قطّة قلم القصب؛ إحداهما إلى اليمين لمن يكتب بيمينه، والأخرى إلى اليسار لمن يكتب بشماله؛ ففي إحدى الوثائق طلب كاتب القصر أربعةَ عشرَ قلماً من القصب، سبعةٌ منها قَطّتها إلى اليمين، وسبعة قَطّتها إلى اليسار[١٢].

هذه أدلّة تلقي بعض الضّوء على كتابة الأكّديّين في ورق البرديّ والرّقّ تنتظر دراسات أخرى تكشف عن أدلّة جديدة تعزّز ما قُدّم هنا؛ إذْ إنه على كثرة الدّراسات والبحوث الغربيّة في حضارة وادي الرّافدين لا تزال هذه الحضارة زاخرة بكنوز مخبّأة، تنتظر من ينبشها ويسلّط الضّوء عليها.

المراجع

(1) Sayce, The Use of Papyrus as a Writing Material among the Accadians, in: Transaction of Biblical Archaeology, vol. 1, pp.343 – 345.

(2) Raymond Daugherty, Writing upon Parchment and Papyrus among the Babylonians and the Assyrians, pp. 110 – 114.

(3) Ibid, pp. 113, 131.

(4) Ibid, pp. 129 – 130.

(5) Pinches, Assyrian Reports Tablets, in: Records of the past, vol. xi, pp. 73 – 74.

(6) Mufid Samarai, Sustainable Housing Utilizing Indigenous Materials in the Marshes, Pp. 55 – 62.

(٧) الأب مرمرجيّ الدّومنكيّ، المعجمية العربيّة على ضوء الثّنائيّة والألسنيّة الساميّة، ص ٩ – ١٧.

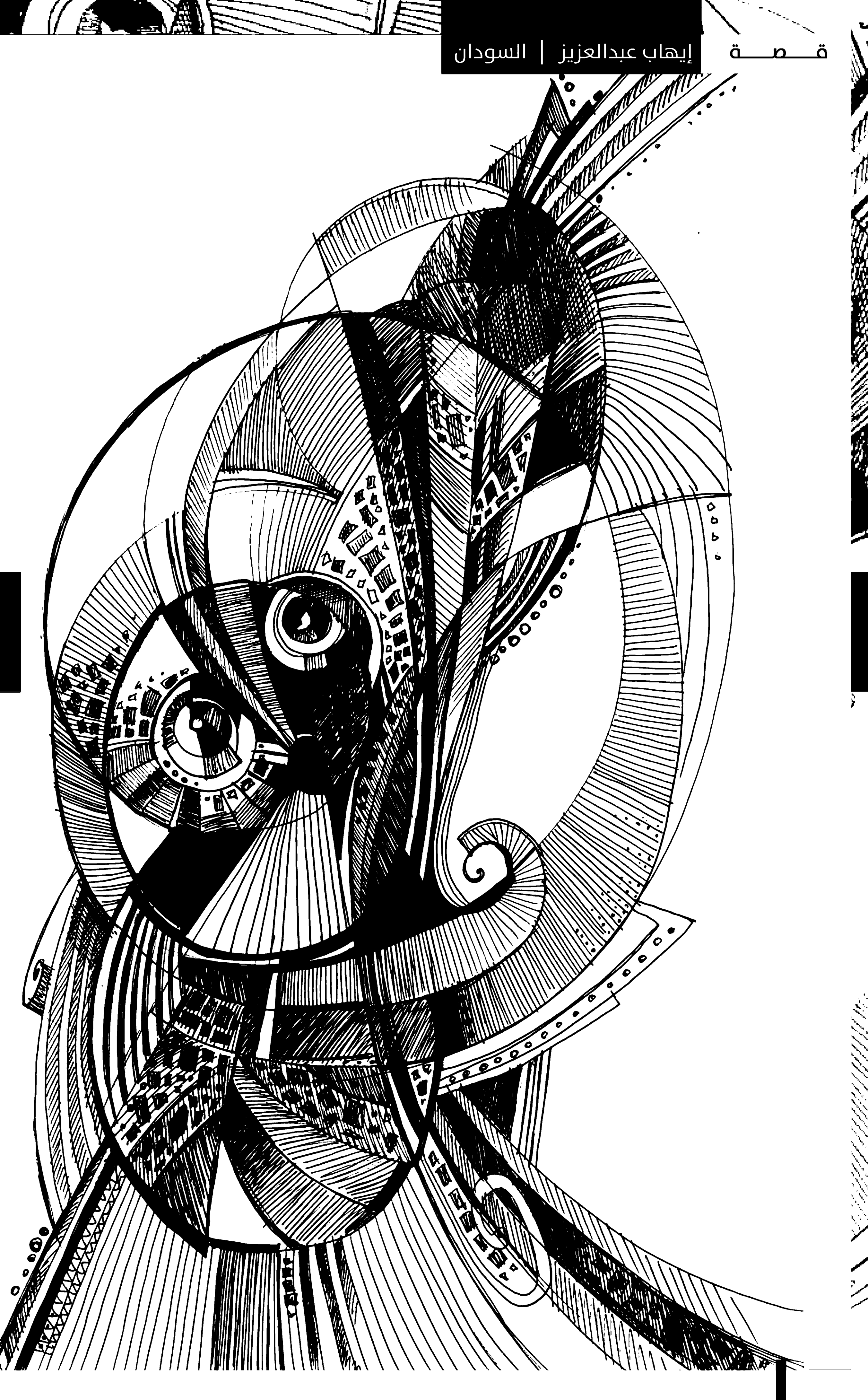
(8) SAA, 1, Ch. 2 ; CAD, T, p. 291.

(9) SAA, 02, 002.

(10) CAD, , p. 291.

(11) Grayson, Assyrian Rulers of the Early First Millennium B.C., vol. 3 ,pp. 36, 45.

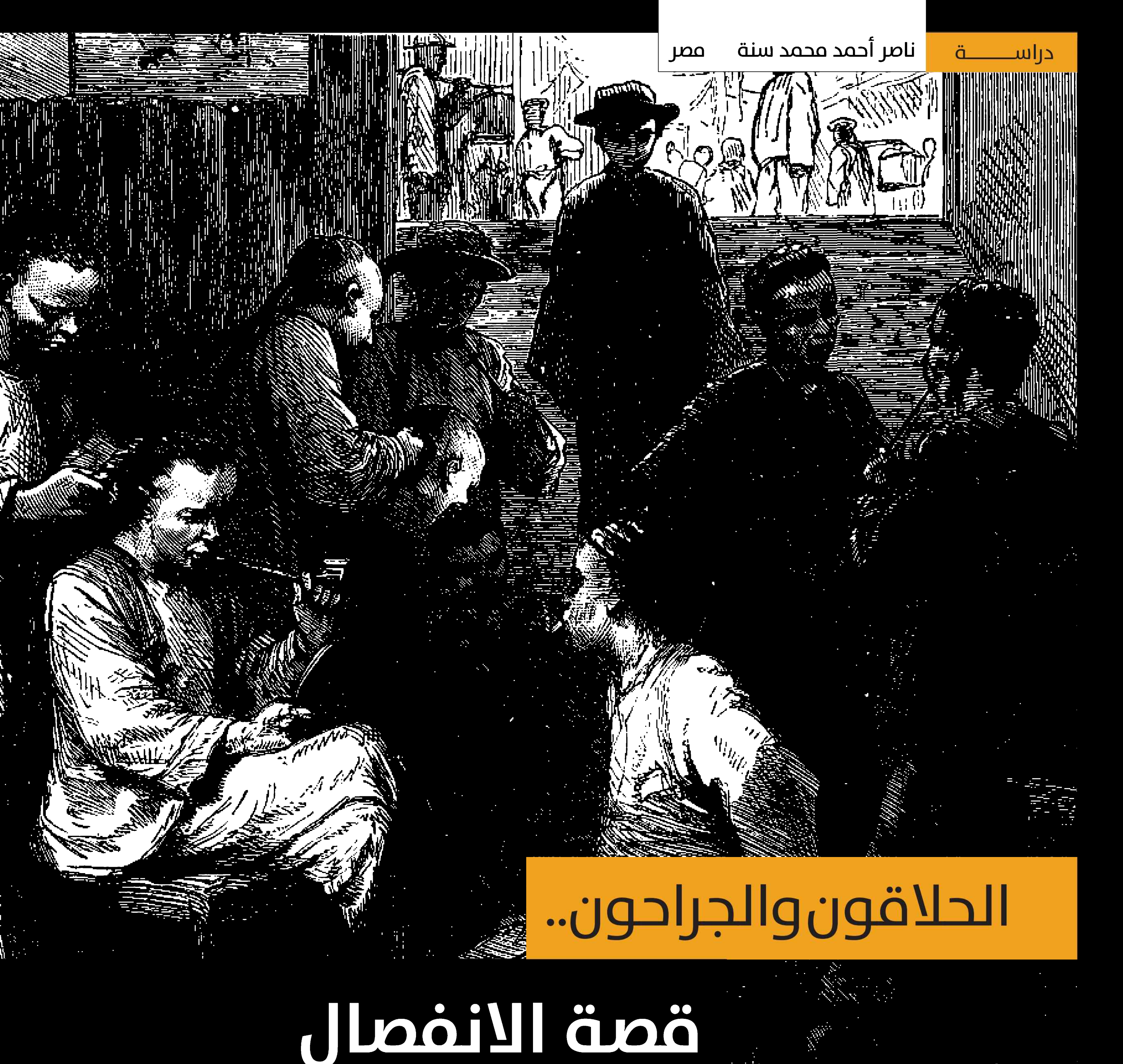
(12) If a man builds a Joyful House: Assyriological Studies in Honor of Erle Verdun leichty, Edited by Ann K. Guinan and others, p. 178.



أودية الضوء

على الرغم من عدم اتفاقنا فإننا تجهّزنا للرحلة، طويلة ومتعبة تحت شمس ساخنة ملتهبة من ذلك الصيف، قنانيّ المياه المعدنية والغازية كانت أهم الأغراض، مكوّمةً مبعثرةً فوق قطع الثلج المجروش في الحافظة البلاستيكية بمؤخرة السيارة، أحلاماً تائهة لكنها رطبة مثل قطع من البَرَد.
دار ثمة جدل كبير بيننا، نوع من التوجّس المخلوط بحبّ المغامرة، خافتاً كشمعة في ليلة شتويّة حزينة، لكن الحافزات كانت ملهمةً، ربما غامضةً بدرجة كبيرة، احتسينا القهوة سوياً في المقهى المطلّ على النهر الجاري بأنشودة قدريّة مزعجة.
– على أتمّ الاستعداد؟
يتردّد لوقت، دخان السيجارة ينفث أنفاسه المقطّعة، ينظر حوله بعين مفرّغة مفكّكة.
– رغم الممانعة، نعم.
يحدق بالنهر لحظات، يشعل سيجارته بيد مرتعشة عَرِقة، الدخان يتجمع بينكما مشكلاً سديماً غازياً مصغراً، تطوف فيه كواكب ناتئة وشموس متفجّرة.
الطريق يزمجرّ بالحصى، معبّدٌ نوعاً ما لأن المكان لم يقصده أحد منذ سنوات طويلة حسب ما يتداوله سكان المدينة، يرتفع الغبار حول السيارة كرائحة تنّين ضخم من بلاد شرقية خلف سور حجري عتيق ومملوء بالنباتات المتسلّقة، الأحاديث بينكما تتحوّل إلى رموز مغرقة في الصمت.
– لكن لماذا؟
– كيف نترك كل هذه الحياة؟
يجيب بزيادة سرعة السيارة باندفاع جنونيّ، في عينيه نشوة أقرب لأمير مسحور، أو ملاك حزين منكسر الجناح، يجرع من علبة المياه الغازية، يضغط معدنها الخفيف لتستحيل إلى كتلة معدنية من الضجر، يقذفها من النافذة بهيئة نيزك ملتهب من النيكل يصدم كوكباً، يتحدّث بأحزان كثيرة.
الوادي يلوح من بعيد نوعاً ما بعد رحلة استغرقت ساعات من العاصمة، أشجار شوكية وبعض فروع اللانتانا والوانيكا مبعثرة في مساحات البرايا الممتدّة، تقلّص في المعدة، وعَرَق ينهمر مع اقتراب بوابة المغامرة الكبرى.
ترخي الشمس شعاعها مع المغيب، تنكسر حدّة اللهب لتهتف أحاديث أخرى مزقزقة بالبراءة، تتوقف السيارة عند حافة الجرف، يقف خارجها مالئاً رئتيه من هواء الأودية المحيطة، تهبّ رياح الغروب محرّكة حشائش الأرض الجافّة، يصبّ من قناني المياه الباردة فوق رأسه تاركاً لك بقية، يرميك بمشاعر نهائية، يتقدّم خطوات نحو حافة الجرف، تنزلق أحجار صغيرة مهشّمة إلى العمق غير المرئيّ، صفير الرياح يحيط المكان بنغمة خالدة.
ليس هنالك الكثير من الوقت، تقف على الحافة صاباً المياه الباردة على رأسك، تتبعه قاذفاً نفسك من أعلى الجرف الصخريّ، في عمق الوادي ثمة أصوات مبهرة، وألوان متردّدة مشعّة.

ناصر أحمد محمد سنة مصر



الحلاقون والجراحون..

قصة الانفصال

من حلاقين إلى جراحين.. قصة تحوّل فارق في تاريخ الإنسانية عامةً، ومهنة الطب والجراحة خاصةً. بدأت بوصفها نتاجاً طبيعياً لتبادل المعارف، وتراكم الخبرات، وإبداع الاكتشافات، وإثراء الإنجازات بين الحضارات، خصوصاً العربية والغربية. وظهرت نتاجاً لنشأة الطب الدنيويّ، وحلوله محل طب الرهبان في أوربا. قصة استغرقت فصولها قروناً من الزمان، نحتاج إلى الوقوف على أبرز سماتها، وتطوراتها، وأدبياتها، وجمالياتها. الحلاقة والجراحة مهنتان عريقتان منذ القدم، ولعل الأُولى بدأت مع اهتمام الإنسان بشعر رأسه، أما الثانية فإرهاصات ممارستها تعود إلى العصر الحجري؛ إذ وجدت هياكل عظمية تظهر عليها دلائل على ثقب جماجمها.

الحلاقون في مطوية التاريخ

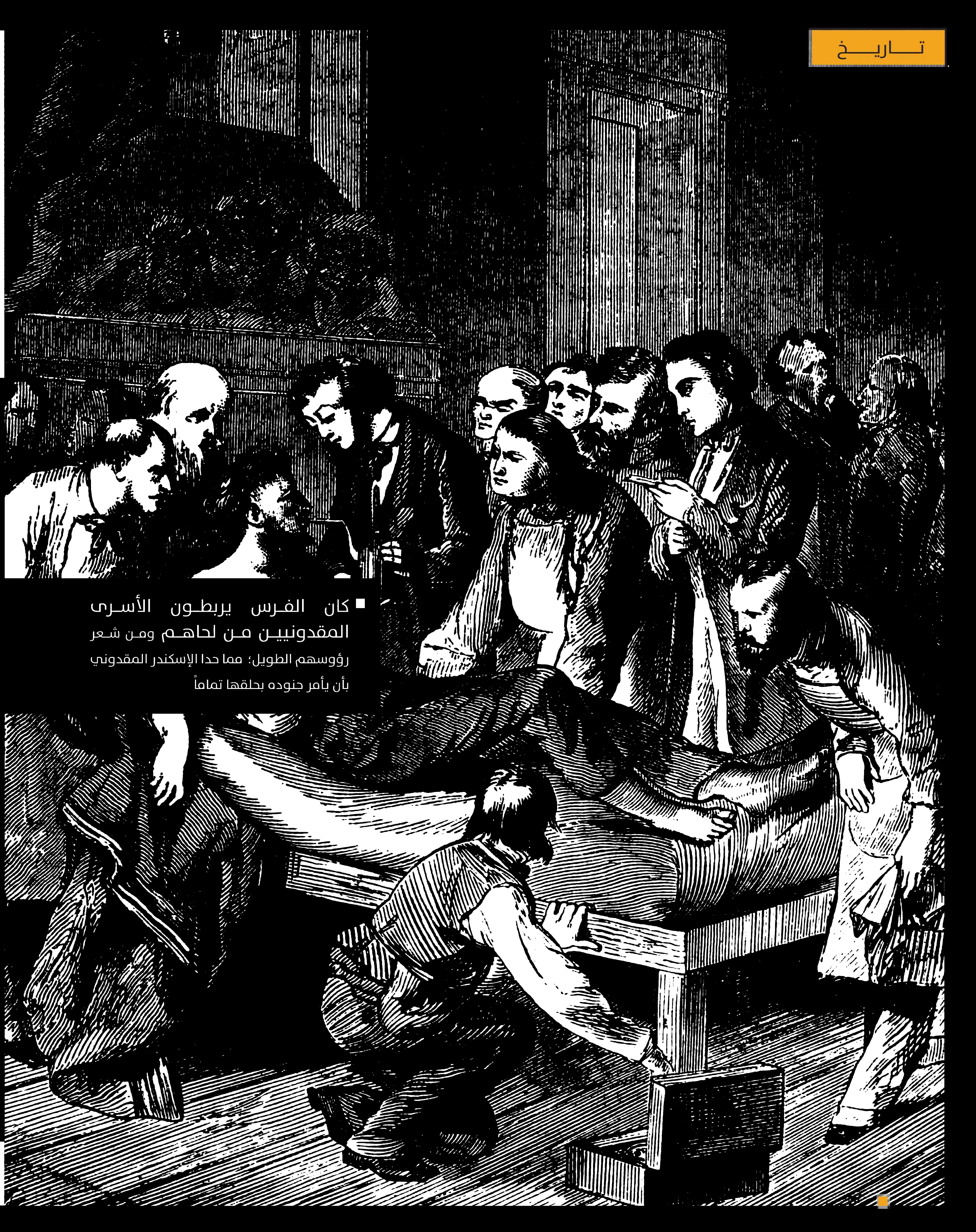
في البدايات كان الحلاق أقرب ما يكون إلى الكاهن، فكانت مهنة الحلاقة في كثير من التجمّعات البشريّة القديمة تختصّ بتنقية النفْس، والتطهّر من الأرواح الشريرة من خلال قصّ الشعر.

وهو ما رسّخ للحلاق دوراً أقرب إلى الطبيب الجراح، إضافة إلى مهنته الأساسية. ولعل أقدم توثيق لدور الحلّاق يعود إلى عصر المصريين القدماء؛ إذ كان المصريون القدماء يحلقون شعر رؤوسهم وذقونهم. أما حلق شعر الفرعون فيُعدّ جزءاً أساسياً من مراسيم تنصيبه. ويتولى كبير الكهنة وحده هذه المهمّة بوصفه صاحب الحقّ في لمس شعر الفرعون. وأما الحلاق المصري القديم، الذي يتولّى حلق شعر العامّة، فكان متجولاً في الشوارع، يحمل أدواته، وأهمها الموسى في سلّة مفتوحة من القشّ.

وفي اليونان القديمة ظهرت محلّات الحلاقة الثابتة، وشهدت ازدهاراً في القرن الخامس قبل الميلاد؛ فقد اعتنى حكماء أثينا وشيوخها بمظهر ذقونهم ولحاهم؛ كي تكون في أحسن هيئة ممكنة. وفي القرن الثالث قبل الميلاد كان الفرس يربطون الأسرى المقدونيين من لحاهم



■ لعل أقدم توثيق لدور الحلّاق يعود إلى عصر المصريين القدماء؛ إذ كان المصريون القدماء يحلقون شعر رؤوسهم وذقونهم



■ كان الفرس يربطون الأسرى المقدونيين من لحاهم ومن شعر رؤوسهم الطويل؛ مما حدا الإسكندر المقدوني بأن يأمر جنوده بحلقها تماماً

ومن شعر رؤوسهم الطويل إلى الخيل؛ لتسحلهم في الطرقات؛ مما حدا الإسكندر المقدوني بأن يأمر جنوده بحلق شعر رؤوسهم ولحاهم تماماً. ويشار إلى أن الرومان أضافوا آنذاك إلى هذه المهنة أعمالاً أخرى؛ مثل: التصفيف، وتقليم الأظافر، وطليها.

اليونان واحتقار العمل اليدوي

نشأ الطب الإغريقي في أحضان الفلسفة، وتمثّل الجهد الأساسيّ لأبوقراط (٣٧٧- ٤٥٠ ق.م.) -مؤسِّس الطبّ الغربيّ- في فصله عن الفلسفة، وإبعاده من التجريد، وتمجيد الملاحظة الإكلينيكية. والقَسم الشهير المنسوب إلى أبوقراط لم يكتبه هو نفسه، وفيه: «أقسم بأبوللون طبيباً، وبأسكولاب، وهايجي، وباناسيه، وبكلّ الآلهة وكل الإلهات المستشهد بهم أن أفي قدر جهدي وطاقتي بالقسم والتعهّد التاليين: أن أضع معلِّمي في الطبّ في منزلة والدي، وأن أشاركه علمي، إذا أقتضي الأمر، وأن ألبّي احتياجاته، متّخذاً من أبنائه إخوةً لي، وإذا رغبوا في تعلّم الطبّ أن أعلمه إياهم من دون مقابل أو رهن، وأن أشارك في التعليم وفي الدروس الأخلاقية، وأن أفيض بعلمي على أبنائي، وأبناء معلمي، وعلى التلاميذ الذين أتعهّدهم، قسم يتبع قانون الطب، وليس أي شيء آخر، وأن أوجه العلاج لمصلحة المرضى قدر طاقتي وتقديري، وأن أمتنع عن كل شرّ، وعن كلّ ظلم، وألّا أضع السمّ لأحد إذا طلب مني ذلك، أو أقترح شيئاً مماثلاً، وبالمثل لن أساعد أي امرأة على الإجهاض، وأن أقضي حياتي ممارساً لمهنتي بكل نقاء وطهارة، وألّا أمارس العمليات الجراحية، تاركاً إيّاها للمختصين فيها. وإذا دخلت بيتاً أدخله من أجل نفع المريض، ممتنعاً عن كل شرّ مُفسد، وبخاصة غواية النساء والأطفال، أحراراً كانوا أو عبيداً. ومهما رأيت أو سمعت في المجتمع من خلال ممارستي، أو حتى خارج أوقات ممارستي مهنتي، أن أخفي ما ليس في إفشائه حاجة، حافظاً الأسرار في مثل هذه الحالات. فإذا وفيت بهذا القسم من دون نكث أكون قد حظيت نعمة التمتّع بالحياة وبمهنتي مكرماً إلى أقصى حدّ بين الناس، وأما إذا نقضت عهدي ونكثت يميني فإنني أجازى بالعكس»[١].

إذاً طب أبوقراط والإغريق شيء، والجراحة شيء آخر، ويبدو أن أبوقراط قد تأثّر بالفيثاغورثيين الذين يعتقدون أن الروح مستقرّها الدم؛ لذلك يجب عدم إسالة الدماء، وليس ثمّة جراحة من دون إسالة دماء. وعلى الرغم مما ينسب إلى أبوقراط من كتابات في تصنيف كسور الجمجمة وعلاجها، وما يقال عن براعته في تثبيت الكسور، وعمل الدعامات اللازمة لها، فيبدو أن هذا لم يكن يـُعدّ عملاً جراحياً!. أما الفعل الجراحي (الفصد، وعلاج الجروح، وغيرهما من عمليات جراحية بسيطة)، فكان وقفاً على من يقوم بها من العبيد، ولم يكن هؤلاء من الأطباء المعتمدين، بل كانوا يمارسون الأعمال اليدوية المتواضعة، وكانت مهمّتهم الأساسية رعاية المصارعين الذين يتقاتلون حتى الموت من أجل تسلية السادة المفكرين.

وفي المرحلة الثانية من العلم اليوناني (المرحلة

■ الفعل الجراحي كان وقفاً على من يقوم بها مـن العبيد، ولم يكن هؤلاء مـن الأطبـاء المعتمدين، بـل كانوا يمارسـون الأعمال اليدوية المتواضعة

■ لم يتطوّر الطـب الروماني إلا بعد وصـول كثير من الأطبـاء الذيـن تلقّوا تعليمهم في الإسكندرية

من الزهراوي إلى باريه

ظل كتـاب الزهراوي (التصريـف لمن عجز عن التأليف) المصـدر الرئيس الذي اعتمده جرّاحو العصور الوسـطى في أوربا وعلى رأسهم جي دوشولياك، وأمبرواز باريه، وكان الجرّاحون قد اختلفوا في كيفية علاج أنواع من الجروح الجديدة التي تختلف عن الإصابات بالسيوف القديمة إلى أن ظهر الجراح الفرنسي أمبرواز باريه (١٥١٠-١٥٩٠م)، الذي ابتكر وسيلةً جديدةً لعلاج هذه الجروح بعيداً من الكيّ بالنار أو الزيت المغليّ. وتحول باريه من جراح حلاق إلى جراح حرب يصف طرقاً مبتكرةً لعلاج الجرحى في ميادين القتال، وطرقاً جديدة للبتر، فأصبح جراحاً خاصاً لأربعة من ملوك فرنسا. ومثلما طرحت الجروح الناتجة من المقذوفات النارية أشكالاً جديدة من الجروح في ميادين القتال، فقد ساعدت الجرّاحين على إثبات كفاءتهم.



الجراحون يتفوقون على الأطباء

في عام ١٧٩٤م أصبحت المستشـفيات الفرنسـية ملـكاً للدولة، ومع بداية القرن التاسـع عشـر كان عدد الأسـرَّة في مستشـفيات باريـس وحدها ٣٧ ألـف سـرير، وأصبـح للجرّاحين فـي كليـات الطب الجديـدة دور جديـد تمثَّـل في عدد مقاعـد الأسـاتذة التي شـغلوها؛ فمن بين ٢٢ مقعداً للأسـاتذة شـغل الجرّاحون ١٢ مقعداً، وتضمّنت الدراسة فـي كليـة الطب في السـنوات الثلاث الأولى تدريـب الطلاب على أعمـال قيل :إنها لم تكن تناسـب سـوى الجرّاحين فقط، وشـملت هـذه المناهج كيفيـة تضميد الجروح، وكتابـة التقارير اليومية عن المرضى، وجمع عيّنات التشريح، وإجراء عمليات بتر بسيطة، وأصبح شـعار كلية الطب (اقرأ قليلاً، ولاحظ كثيراً، وافعل أكثر)، وهو شعار الجرّاحيـن إلى اليوم، وقد حقَّق هذا المدخـل الجديد نجاحاً فورياً، دلّـت عليـه الإحصـاءات؛ إذ كان معدَّل شـفاء المرضى مـن الحمى على أيدي الأطباء أقلَّ كثيراً من معدل الشفاء بين المرضى الذين عالجهم الجرّاحون!.

الهيلينستية)، التي امتزج فيها بعلم الشرق في الإسكندرية، وتشكَّلت مرحلة جادّة لإحياء العلم، نجد أن تطوّر علم التشريح ووظائف الأعضاء في هذه الحقبة سقط أيضاً في خضم الصراعات بين المذاهب الفلسفية المختلفة. ولم يستفد الأطباء أو الجراحون من هذه التطورات العلمية، واستمرّ العلم محصوراً في فئة بعينها، لا تفتّش عن بديل لسواعد العبيد، فعزل العلم عن جذره الاجتماعي، وفصل عن عالم التطبيق. وفي الدولة الرومانية كان الأطباء، بشكل عام، من العبيد الإغريق، الذين أعتقوا فيما بعد. ولم يتطوّر الطب الروماني إلا بعد وصول كثير من الأطباء الذين تلقَّوا تعليمهم في الإسكندرية. ويُعدّ جالينوس من أكثر الأسماء الطبية أهميةً وشهرةً؛ إذ تلقَّى التعليم أولاً في مسقط رأسه في برجام بآسيا الصغرى، ثم في الإسكندرية التي انطلق منها إلى روما، فبدأ حياته جرّاح مصارعين، ويرى بعض الباحثين أنه مؤسِّس الطب الرياضي!. لكن عندما أصبح جالينوس اسماً مهماً في عالم الطب لم يتوانَ عن إبداء كثير من الاحتقار للجراحة التي لم يتعرَّفها إلا من خلال رعاية المصارعين في سيرك برجام وروما، والعبيد ضحايا إصابات العمل[٢]!.

وفصلت الحضارة الإغريقية - الرومانية فصلاً حاداً بين الطب بوصفه عملاً عقلياً خالصاً والجراحة بوصفها عملاً يدوياً متواضعاً أو وضيعاً؛ لذلك فالطبيب بالإنجليزية (Physician) ، المشتقة من (physics)؛ أي: الفيزياء في إشارة واضحة إلى الربط بينهما؛ فكلمة الجراحة في اللغات الأوربية مستمدّة من الأصل اللاتيني: **Chirurgia**، وهي مكونة من مقطعين Cherios: وتعني (يد)، و **Ergon** وتعني (عمل)؛ أي أن الجراحة: صنعة اليد أو عمل اليد، والجرّاح :(**Surgeon**) مَن يعمل بيديه. ولعل أول من استخدم كلمة جراحة عوضاً عن صناعة اليد هو الطبيب والجرّاح العربي ابن القف الكركي (١٢٣٣- ١٢٨٦م) في كتابه (العمدة في الجراحة).

في العصور الوسطى

لم تكن بيزنطة مؤهلةً كثيراً للقيام بمسؤولية تطوير العلوم القديمة، وعاش العالم زمناً طويلاً في حال من الفراغ العلميّ والسياسيّ استمرت ما يقرب من الألف عام؛ تمتدّ من القرن الخامس الميلادي إلى العصور الوسطى، وأصبح العالم

مهيأً لاستقبال نقلة علمية وحضارية جديدة، فظهرت الحضارة العربية الإسلامية التي تمكّنت من بسط أنوارها على معظم أرجاء العالم آنذاك، خصوصاً بحر الروم (البحر المتوسط) وجزره، وقاعدته المشرقة، ومركز الإشعاع العلمي إلى أوربا: الأندلس، فقد امتلكت الحضارة العربية الإسلامية ما يؤهّلها لوراثة العلوم القديمة، وهضمها، وتطويرها، والإضافة إليها، وحينها ولعدة قرون تحدّث العلم بلغة عربية.

من العلامات البارزة في الطب والجراحة في تلك الحقبة الطويلة كتاب بول ديوجين (ت: ٦٩٠م) تلخيص الطب؛ إذ أبدع ديوجين في تصنيف الأمراض الجراحية: الأمراض التي تصيب الأنسجة الرخوة، والأمراض التي تصيب العظام، ووصف بعض العمليات الجراحية؛ مثل: شقّ القصبة الهوائية، واستئصال الأورام السطحية، وعلاج تمدّد الأوعية الدموية، وشفط البطن واستسقاؤه، وكيس الصَّفَن، وأصبح هذا الكتاب من الأسس الذي قامت عليها الجراحة العربية فيما بعد. وعلى الرغم من التقدّم الرائع الذي أحرزه الطب العربيّ على يد كثير من الأسماء اللامعة، فإن العرب ورثوا من اليونان التقليل من شأن الجراحة واحتقارها؛ لذلك يقول الشيخ الرئيس ابن سينا (ت: ١٠٣٧م) عن الجراحة: إنها من الصناعات اليدوية، ولا تستحقّ أن ترفع إلى مقام الطب. في الوقت نفسه كان أبو القاسم الزهراوي في الأندلس (٣٢٥- ٤٠٤هـ/ ٩٣٦- ١٠١٣م) يؤسِّس الجراحة الحديثة مستلهماً جهود بول ديوجين، ومبتكراً في كثير من الجوانب.

ويعدّ الزهراوي -الطبيب والجراح الأندلسي الكبير، المولود بمدينة الزهراء القريبة من قرطبة بالأندلس، ويعرفه الأوربيون بأسماء أخرى أشهرها أبو الكاسس ABULCASIS تحريفاً لأبي القاسم- هو أول من أسَّس علم الجراحة العامة في العالَم ومارَسه، وطوَّر فروعاً من الجراحات الخاصّة؛ يقول الزهراوي: العمل باليد معدوم في زماننا حتى إنه يكاد يندثر أثره، إنما بقيت منه رسوم يسيرة في كتب الأوائل قد صحَّفته الأيدي، ووقع فيه الخطأ والتشويش حتى استغلقت معانيه وبعدت فائدته... لقد صار هذا الفنّ معدوماً، فلم ألقَ فيه محسناً البتة... ويرجع السبب في ذلك إلى أن صناعة الطب تستغرق وقتاً طويلاً، وينبغي أن يرتاضها صاحبها قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعه جالينوس. ويؤكّد الزهراوي للمرة الأولى أنه لا يوجد فاصل حقيقي بين الطب والجراحة؛ لأن الجرّاح الجيّد يجب أن يكون على دراية بالتخصصين، وهو الشيء الذي ظل منسياً زمناً طويلاً.

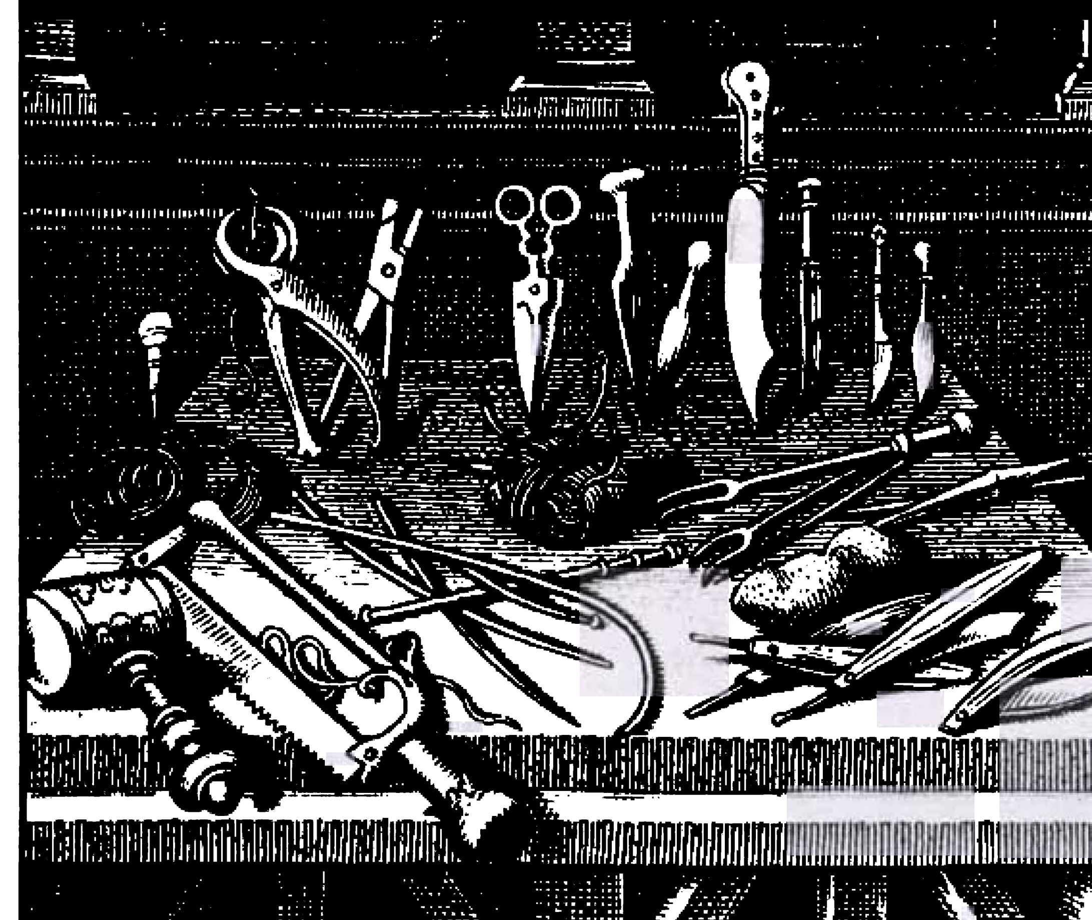
وتوالى ظهور طبعات -ابتداءً من عام ١٤٩٧ إلى ١٧٧٨م- من الترجمة اللاتينية للمقالة الثلاثين (في العمل باليد من الكيّ، والشقّ، والجبر، والخلع) الخاتمة لموسوعة الزهراوي الطبية والجراحية العظيمة (التصريف لمن عجز عن التأليف)، فصدرت الطبعة الأخيرة من هذا الكتاب عام ١٧٧٨م باللغة العربية في أكسفورد مع الترجمة اللاتينية للنصّ العربي، وقد أشرف عليها جون تشاننج، وترجم إلى اللغة الفرنسية عام ١٨٦١م، لكن الترجمة الإنجليزية مع النصّ العربي صدرت عام ١٩٧٣م، واشترك فيها عالم لغات مع طبيب متخصّص في علم الأمراض هما: سبنك ولويس.

وفي الوقت الذي بلغ العلم العربي ذروته في القرن الحادي عشر الميلادي، كانت الكنيسة في أوربا تصدر مرسوماً يمنع الرهبان إطلاق اللحى عام ١٠٩٢م، فظهر الحلّاقون (بالإنجليزية **Barber**، وهي مشتقة من كلمة لحية باللاتينية Beard، والمعنى الكامل لـ **Barber** هو: Beard cutter؛ أي: الذي يقوم بحلاقة اللحى).

كما أدّى الاحتكاك بين الأوربيين والعرب في

■ فصلت الحضارة الإغريقية - الرومانية فصلاً حاداً بين الطب بوصفه عملاً عقلياً خالصاً والجراحة بوصفها عملاً يدوياً متواضعاً أو وضيعاً

■ من العلامات البارزة في الطب والجراحة كتاب بول ديوجين تلخيص الطب؛ إذ أبدع في تصنيف الأمراض ووصف بعض العمليات الجراحية



أثناء الحروب الصليبية، التي بدأت عام ١٠٩٦م، واستمرت نحو قرنين من الزمن، إلى اهتمام الأوربيين بدراسة الطب، وكان ممارسو الطب والجراحة في أوربا مع نهايات الألف الميلادية الأولى قد بدؤوا في فصم عرى العلاقة الوثيقة التي ربطتهم بالكنيسة، وكان نزع الصفة الكنسية عن تعلّم القراءة والكتابة خطوةً رئيسةً على طريق تحرّر المهن الأخرى جميعها من الإسار الكنسيّ، وكان من البديهيّ نزع الصفات الكنسية عن الجسم البشريّ ووظائفه وأمراضه. وقد بلغ الأمر ذروته بصدور القرار البابويّ عام ١١٦٣م بمنع رجال الكنيسة من الرهبان والقساوسة إجراءَ أيّ جراحات، أو إسالة الدماء في أثناء علاجهم المرضى، والتركيز في خلاص الأرواح عوضاً عن علاج الأجساد؛ وبهذا نفضت الكنيسة يديها من الجراحة، وتحرّر الطب كلُّه، وليست الجراحة وحدها من الإسار الكنسيّ، وأوكلت ممارسة الجراحة إلى الحلّاقين الذين كانت تربطهم علاقة وثيقة بالرهبان، فقد كان يتعيّن على الرهبان أن يكونوا حليقي الرؤوس دائماً، وكان الحلاقون قبل صدور الأمر البابويّ يساعدون الرهبان على إجراء الجراحات، أو يجرونها تحت إشرافهم؛ لذا تكوَّنت في أنحاء متفرّقة بإنجلترا وفرنسا مجموعات من الحلاقين (لهم نقابة الحلاقين) الذين تحوّلوا إلى جرّاحين. وبدأ الطلاب في الالتحاق بجامعات منفصلة عن الكنيسة، وأخذوا في تعلّم أصول الطب الإغريقيّ والرومانيّ والعربيّ، وفي القرن الثاني عشر (١١٤٠م) ظهر في أوربا أول مرة الأطباء الذين يحملون تصريحاً لمزاولة المهنة. أما الجرّاحون فكانوا مثل غيرهم من أصحاب الحرف ينتظمون في جمعيات نقابية، وكانت تجمعهم والحلاقين نقابة تعرف بـ(Barber-surgeon guilds)، ولم يكن الجرّاحون في هذه المرحلة يتلقّون تعليماً جامعياً أو مدرسياً لكن كانوا يتدرّبون على يد جراح نقابي قديم، ثم يصبحون أعضاءً في النقابة ويمارسون مهنتهم.

لهم شعار.. لعله الأقدم مهنياً

يعتمد فصد الدم على عمل ثقب في أحد أوردة الذراع وتركه ينزف، ولكي يجعل الجرّاحُ الحلاقُ الوريدَ أكثر بروزاً ليسهل عمل الثقب المطلوب، كان يعطي المريض عصا يقبض عليها بقوة، فتبرز أوردة ذراعه، ثم يستخدم وعاء لجمع الدم النزيف، وكثيراً ما كان يصاب المريض بالإغماء من مشهد الدم الذي يلوّن العصا، فتفتق ذهنهم عن تلوينها باللون الأحمر؛ هكذا أخذت العصا ألوانها الأحمر، والأبيض لون الضماد الذي يلفّ به الذراع في نهاية عملية الفصد، والأزرق في المنتصف هو لون الوريد. أما الكرة الصغيرة التي توجد في أعلاها فرمز إلى الوعاء الذي يجمع فيه الدم. وعندما انفصل الجرّاحون عن الحلاقين في القرن السابع عشر تنازل الجرّاحون للحلّاقين عن هذه العصا، فصارت لهم شعاراً إلى الآن.

وكان الحلّاقون الجرّاحون يقومون بتعليق شريطين حمراوين من قماش أمام محالّهم؛ الأول يلفّ حول موضع الجراحة، والثاني لتضميد الجرح، وكان تعليقهما بمنزلة إعلان أن هذا المحلَّ محلّ حلاقة، واستبدل الحلّاقون -فيما بعد- بالشريطين رسماً يمثلهما، ويوضع بشكل ثابت على الباب أو فوقه، وشعار محالّ الحلاقة الذي نراه اليوم والمؤلّف من خطَّين أحدهما أحمر، والآخر أزرق يلتفّان بعضهما حول بعض هو الشعار القديم نفسه، وهو على الأرجح أقدم شعار مهني في العالم.

من عصا الحلاق إلى النهضة

مع اكتشاف الميكروسكوب اتخذ مفهوم المرض معنًى آخر، وبالطبع أصبح الجرّاحون الذين يعملون بأيديهم أكثر قدرة على ممارسة

الزهراوي الطبيب والجراح الأندلسي الكبير، هو أول من أسَّس علم الجراحة العامة في العالَم ومارَسه

بلغ العلم العربي ذروته في القرن الحادي عشر الميلادي، على حين كانت الكنيسة في أوربا تصدر مرسوماً يمنع الرهبان إطلاق اللحى



النقابية القديمة صلاحيتها، ولم تعد شهادتها كافيةً لكي يعدّ الشخص جراحاً، وأصبح لزاماً على الجرّاحين أن يتلقَّوا تعليماً أكاديمياً مثل الأطباء، وبدأت كلية سان كوم بباريس في تدريس الجراحة مع نهاية القرن السابع عشر. وعانى الجرّاحون الحرمان الأكاديمي والتعليم الجامعي مدةً طويلةً، وعندما بدأ نجمهم في الصعود لم يتردّد الأطباء في إعلان الحرب عليهم، ولم يتردّدوا في التحالف مع الحلّاقين ضد شركائهم السابقين، ودارت حرب المنشورات بين الفريقين، وجرت بين الفريقين خصومات هزلية وصلت إلى أروقة المحاكم، وفي الوقت نفسه أدرك الجرّاحون ضرورة صياغة نظرية منهجية تخصّ الأمراض الظاهرية تنقل الجراحة من وضعية الحرفة اليدوية إلى مرتبة العلم، ومع ظهور القواعد الأساسية للمنهج العلميّ التجريبيّ، وتطوّر الفيزياء، وشيوع النظرة المادّية الميكانيكية في أوربا، أصبح الجرّاحون -وهم أكثر خشونة من الأطباء- أقرب إلى قواعد الملاحظة والتجربة؛ لتمتّعهم بكفاءة يدويّة لم تكن متاحةً للأطباء، ولم يكن في ذلك الوقت من الأطباء من يتهوّر ليجسّ جسد المريض بيديه، ولم يكن المسماع قد ظهر بعدُ، في الوقت الذي كان فيه الجرّاحون يفحصون الأورام بأيديهم، ويقدّرون أحجامها وحركاتها وعلاقاتها بما حولها من الأعضاء، إضافةً إلى باقي أنواع الفحوصات المطلوبة يدوياً. وليس مدهشاً أن يعتقد الأطباء في ذلك الوقت أن طريقة الفحص هذه طريقة فظّة لا تليق بالطبيب المتعلّم؛ لما تتضمنه من سوقية وعدم احتشام لمن يعمل بيديه فعلاً!.



اختصاصات جراحية للحلاقين

لـم يتـردَّد الحلّاقون الذيـن يحلقون اللحى ويمارسـون الكـيّ والفصد (اختـص الحلّاق بعملية فَصْـد الدم؛ لأن الجـرّاح كان يعتقد أنها تحطّ من قدره كثيرًا) في شقّ الدمامل وتجبير الكسور، ثم تخصَّص بعض منهم في علاج مشـاكل محـدّدة، فظهر من بينهم مـن تخصص في اسـتخراج الحصى مـن المثانة، ومنهم مـن تخصّـص في علاج الفتق الإربي، ومنهم من تخصّص في خلع الأسـنان، ومنهم من قصر نشـاطه على الجراحة من دون الحلاقة، ثم بدؤوا في تشـكيل مجموعـات جديدة: الحلاقون المجردون من كل معرفة إلا مهنتهم، ثم الجراحون الحلاقون من أصحاب المعاطف القصيرة الذين اكتسبوا درجةً ما من التدريب، ثم الجرّاحون من أصحاب المعاطف الطويلة على شاكلة الأطبـاء الذيـن تلقَّـوا تدريباً على يـد جراح خبيـر، وقُبلوا في هـذه الجماعـة الاحترافية بعد حصولهم على شهادة من معلّمهم، إضافةً إلى خضوعهم لاختبار عمليّ.

التشريح من الأطباء أصحاب الياقات المرتفعة، وارتفعت مكانة الجرّاحين، ففي عام ١٦٧٢م سمح للجرّاح الفرنسي بيير ديونيس بإلقاء محاضرات في الجراحة والتشريح بحديقة الملك، وفي عام ١٦٨٧م نجح الجرّاح الفرنسي شارل فرانسوا فليكس في علاج الملك لويس الرابع عشر من ناسور شرجي؛ مما رفع من مكانة الجرّاحين وزادهم حظوةً، ومع بداية القرن الثامن عشر كانت تعقد محاضرات في الجراحة بكلية طب باريس، وفي عام ١٧٣١م صدر قرار ملكيّ بإنشاء الأكاديمية الملكية الفرنسية للجراحة، وبعد هذا التاريخ بقليل أصدر لويس الخامس عشر عام ١٧٤٣م مرسوماً ملكياً بالفصل نهائياً بين الجرّاحين والحلاقين، وقد حدث الانفصال في لندن عام ١٧٤٥م، وفي عام ١٧٦٨م فقدت الجمعيات

الثورة الفرنسية تشجّع الجرّاحين

باسم الحرية والمساواة عطّلت الجمعية الوطنية التأسيسية كليات الطب القديمة، وألغت الجمعيات العلمية وألقابها وشهاداتها، وأعطت إشارة البدء في إصلاح النظام الطبي كاملاً، وأعيد إنشاء ثلاث مدارس طبية في باريس ومونبلييه وستراسبورج، وكلّف عدد من الأساتذة -تدفع لهم الدولة أجورهم- بالعمل في هذه المدارس، ووُحّدت مناهج التعليم، وخضع جميع طلاب



كان الحلاقـون قبل صدور الأمـر البابويّ بمنـع الرهبـان والقساوسـة إجـراء أي جراحات، يسـاعدون الرهبان على إجـراء الجراحات، أو يجرونها تحت إشرافهم

الطب لمنهج تعليمي موحّد، بغض النظر عن تخصّص كلّ منهم فيما بعد، وأصبحوا جميعاً يحصلون على شهادة واحدة تطبّق شكلاً موحّداً من التأهيل الذي يربط بين حجرة الدرس النظري والتعليم التطبيقي في قاعات التشريح وأجنحة المستشفيات، وأصبح طب الملاحظة -كما كان يطلق عليه في ذلك الوقت- هو القاعدة.

وتأسّست الأكاديمية الطبية الفرنسية التي تجمع الأطبّاء والجرّاحين في عصبة واحدة. لكن الجدير بالذكر أن الأطباء الفرنسيين كانوا يمثّلون مجموعةً من مجموعات الصفوة في المجتمع القديم، التي تعمل على خدمة الأرستقراطية، فكان طبيعياً أن يعانوا اللجان الثورية الفرنسية، التي مالت في الوقت نفسه إلى تشجيع الجرّاحين على حساب الأطباء؛ لما كان يتمتّع به الجرّاحون من روح عملية، ولحاجة جيوش الجمهورية إلى الجرّاحين في ميادين القتال، ولم يخذل الجرّاحون الثورة، وانطلقوا كقطارات نارية يعلّمون الطلاب، ويفرضون عليهم دروساً إكلينيكية، وكتابة تقارير يومية عن المرضى، وظهر كثير من الجرّاحين الذين لمعت أسماؤهم في هذه الحقبة ولم يضيّعوا فرصة السيطرة على المستشفيات. وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي اكتُشف التخدير الجراحي والتعقيم، فحسمت المعركة نهائياً لصالح الجراحة (العمل اليدوي)، وتحدّد التاريخ الذي يبدأ منه ما يعرف الآن بالجراحة الحديثة.

وسُمح للجرّاحين قبل الثورة الفرنسية بالحصول على الدراسات العليا، ومُنحوا لقب دكتور، واعترض الأطباء بشدّة على هذه الخطوة، وقصروا

فرص عمل الجرّاحين داخل المستشفيات على الفقراء من المرضى، وتفضّلت عليهم كلية الطب بنصيحة صريحة: «لتكن المستشفيات مكتبةً لكم، والجثث كتبكم». وفهم الجرّاحون النصيحة، وانطلقوا في القرى الفقيرة البعيدة من متناول أطباء المدن؛ لذلك فاق عددهم وقت قيام الثورة عدد الأطباء، ولم تكن الزيادة العددية وحدها العنصر الحاسم في مكانتهم الجديدة، بل كفاءتهم وقت الحرب، وقدرتهم على الاستفادة من المعطيات الجديدة التي تفرضها ميادين القتال.

ضبط أمور المهنة في إنجلترا

وفي أول عام من حكم الملك إدوارد الثاني الإنجليزي (حكم من عام ١٣٠٧ إلى ١٣٢٧م) صدر قانون من بلدية لندن يحرّم على الحلاقين أن يعلنوا أنشطتهم الجراحية بطريقة سوقية، وفي العام التالي عُيِّن ريشارد الحلاق مشرفاً أو رئيساً للحلاقين، وكانت مهمّته السيطرة على ممارسات أصحاب المهنة وأنشطتها، والتثبّت من أنهم لم ينغمسوا في ممارسات غير لائقة، وصدرت لوائح عديدة تنصّ على فضّ المنازعات بالحسنى، ودعم المؤسسات الخيرية، وأمور أخرى تخصّ أفراد المهنة وأعضاء النقابة[٣].

وفي الوقت الذي توقّف فيه علاج الأمراض الباطنية (الطب) عن التطوّر ألف سنة، فإن علاج الأمراض الظاهرية (الجراحة) لم يتوقف خلال المدة نفسها؛ إذ قام الجرّاحون بتطوير تعاليم بول ديوجين التي أثراها الزهراوي، فقاموا باستئصال الأورام السطحية، وعالجوا الفتق جراحياً من دون استئصال الخصية، وكحتوا النواسير، واستخرجوا الأجسام الغريبة والشظايا مثلما استخرجوا رؤوس السهام وحصى المثانة، وعملوا على إيقاف النزيف بربط الأوعية الدموية النازفة، إضافةً إلى بتر الأطراف المغرينة، وعلاج المياه البيضاء جراحياً، وعملوا على تطوير آلات الأسنان وغيرها من الآلات الجراحية، وتعلّموا كيف يخفّفون من آلام المريض بعد الجراحة باستنشاق البخار من قطعة إسفنج مبلّلة بعصارة الخشخاش. ومع ازدياد تمرّس الحلاقين جراحياً بات منطقياً تأسيس نقابة حرفية خاصة بهم أسَّسها الجرّاحون الإنجليز الخارجون من حرب المئة عام (١٣٣٧-١٤٣٥م) بين إنجلترا وفرنسا، وشملت النقابة المعلمين والمتدربين، وتعيَّن على من يودّ تعلم الجراحة -حيث لم يوجد مقرّر لها بجامعات أوربا- أن يتدرّب على يد حلّاق جرّاح متمرّس في الجراحة، وكان متوسط مدة التدريب سبع سنوات، وبعدها يعقد له اختبار؛ فإن اجتازه بنجاح يسمح له بمزاولة المهنة، وحرصت النقابة على استبعاد الدجالين والمشعوذين من بين صفوفها، وكان المعلّمون يرتدون شارات خاصة بهم تدلّ على مناصبهم.

وفي القرن الرابع عشر صار لنقابة الجرّاحين ومهنتها هوى في نفوس الشعوب، وأصبح الحلّاقون الجرّاحون أقربَ كثيراً إلى قلوب الناس من زملائهم الأطباء الباطنيين، فكان الحلاقون يقصُّون شعور زبائنهم، ويصنعون لهم الشعور المستعارة، ويجرون فصد الدم دورياً؛ ليبقوا بصحة جيدة، وأصبحوا هم الناصحون للأسر في أمور التجميل والنظافة الشخصية، وفي فرنسا أصبحوا يعرفون بلقب السادة ذوي الأَردية (الأرواب) القصيرة تمييزاً من أقرانهم الجرّاحين ذوي الخلفية الأكاديمية الجامعية، وهم السادة ذوو الأَردية (الأرواب) الطويلة. وفي عام ١٣٧٦م أصرّت بلدية لندن على أن يُقسِم الجرّاحون الإنجليز قَسَماً سنوياً أمام عمدتها، ويتعهدون فيه بممارسة الجراحة بكل أمانة وإخلاص، وأن يراقبوا بعضهم

▪ الجرّاحون كانوا مثل غيرهم من أصحاب الحرف ينتظمون في جمعيات نقابية، وكانت تجمعهم والحلاقين نقابة تعرف بـ(Barber-surgeon guilds)

▪ شعار محالّ الحلاقة المؤلّف من خطّين أحدهما أحمر، والآخر أزرق يلتفّان بعضهما حول بعض هو الشعار القديم نفسه



بعضاً في ممارستهم المهنة، وأن يبلّغوا المسؤولين عن أي مخالفات يرونها، لكن دار جدل كبير حول هذا التدخل وتلك الرقابة من قبل بلدية لندن.

وظلّ أعداد الجرّاحين الإنجليز الذين يمارسون الجراحة فقط قليلةً، ووصل عددهم عام ١٤٩١م إلى ثمانية جرّاحين في أنحاء لندن، وتمكّن هؤلاء من إبرام اتفاق بمراقبة الحلاقين الجرّاحين، لكن لم يحدث اندماج بين الطائفتين؛ فقد ظل الجرّاحون لا يمارسون الحلاقة مقابل تعهّد الحلاقين الجرّاحين بعدم ممارسة الجراحة سوى خلع الأسنان، وبدأ منح شهادات تخوّل لصاحبها حقّ ممارسة الجراحة، وأقدم ما عثر عليه من تلك الشهادات يعود تاريخه إلى عام ١٤٩٧م.

نقابة جموع حلاقي لندن وجراحيها

مضى نحو قرن من المنازعات بين الجرّاحين والحلّاقين الجرّاحين، والباطنيين وأدعياء الطب، وكان عام ١٥٤٠م عاماً فاصلاً في تاريخ الجراحة في إنجلترا، وبناءً على التقدّم الذي أحرزه أصحاب الحرفة فقد أُعلن -بتدبير من توماس فيكاري كبير الجرّاحين العسكريين- تأسيس نقابة جموع حلّاقي وجرّاحي لندن، وقد خلّد الرسام الشهير هولبين ذلك الحدثَ في الصورة المعلّقة على جدران كلية الجرّاحين الملكية بلندن، وصدر مرسوم من البرلمان الإنجليزي عام ١٥٤٠م يعترف بجمعية الجرّاحين الحلّاقين، ويفرّق في الوقت ذاته بينهما بقصر ممارسة الجراحة على الجرّاحين، ومنع الجرّاحين من ممارسة الحلاقة.

وبصدور قانون عام ١٥٤٠م أُعطي الأطباء المتخرّجون من الجامعات الحقّ في إجراء تشريح لأجسام البشر، وإلقاء محاضرات فيها، فبدأ جون كايوس John Caius زميل نقابة الحلاقين الجرّاحين، الذى عمل مع فيزاليوس في بادوا بإلقاء محاضرات في التشريح مدة عشرين عاماً متّصلةً، وسجّلت نجاحاً باهراً؛ لذلك فهو يعدّ (أبو التشريح في إنجلترا)، وظلّ الأمر متأرجحاً؛ إذ صارت الجراحة في أسوأ حالاتها في القرن السابع عشر على الرغم من محاولات تنظيمها، وتردّت الممارسة إلى أدنى مستوياتها، وانتشر الدجّالون والمحتالون الذين يفصدون الدم لعلاج تصلّب عضلات الرقبة، ويزيلون الماء الأبيض (الكتاركت) من عيون المرضى، ويجرون العمليات للشفة الأرنبية، لكن مع حلول القرن الثامن عشر



نجح الجرّاح الفرنسي شارل فرانسوا فليكس في علاج الملك لويس الرابع عشر من ناسور شرجي؛ مما رفع من مكانة الجرّاحين وزادهم حظوةً



ارتفعت مكانة الجرّاحين مرة أخرى، واختفت طائفة الحلاقين الجرّاحين من الساحة الطبية، ومع اهتمام الجرّاحين بوظائف الأعضاء والفيزياء والكيمياء، ضاقت الهوّة بين الأطباء الباطنيين والجرّاحين، ثم اختفت تماماً، وكان ذلك وقت انفصال الجرّاحين عن الحلاقين عام ١٧٤٥م، وتشكيلهم نقابتهم الخاصة (نقابة الجرّاحين)، وأعيد إنشاء المستشفيات بعد توقّف دام قرنين من الزمان.

كلية الجرّاحين الملكية

لم تتحسّن أحوال نقابة الجرّاحين الإنجليز بالرغم من تعيين أساتذة في التشريح عام ١٧٦٦م، وفي الجراحة عام ١٧٩٠م، وعندما انتخب جننج **Gunning** الجرّاح بمستشفى سانت جورج بلندن رئيساً للنقابة عام ١٧٨٩م، انتقد أحوالها وعملها ومكتبتها، فحُلَّت وأُوقف نشاطها عام ١٧٩٧م، وتقدم بعض الجرّاحين إلى البرلمان بالتماس إنشاء كلية للجراحين، فرُفض الطلب في مجلس اللوردات؛ إذ صرَّح أحدهم بقوله: إن الجراحة ليس بها من العلم أكثر مما في الجزارة، فردّ عليه جننج بقوله: يجدر بك أن تترك جزاراً يصلح ساقك المكسورة وحينئذ ستعرف الفارق. وبعد محاولات حثيثة وافق الملك جورج عام ١٨٠٠م على إنشاء الكلية المكلية للجرّاحين.

حاشية

كانت مهنة الحلاقة وشخصيات الحلاقين قد تسرّبت منذ قرون إلى الأدب والموسيقا والسينما، ففي القرن الثامن عشر وضع المؤلّف المسرحي الفرنسي الشهير بو مارشيه (١٧٣٢-١٧٩٩م) ثلاث مسرحيات عن شخصية فيجارو حلّاق من مدينة إشبيلية الإسبانية الأندلسية، وحوّل الموسيقار الشهير موزار واحدة منها إلى أوبرا بعنوان زواج فيجارو. أما الأوبرا التي لحّنها بعد ذلك الموسيقار الإيطالي الشهير روسيني فكانت بعنوان حلاق إشبيلية، وأما الحلّاق الأشهر في السينما فهو تشارلي شابلن عن دوره في فلم الدكتاتور؛ إذ أدّى دوراً مزدوجاً: حلاقاً ودكتاتوراً جائراً يشبه هتلر، وأبدع شابلن هذا العمل في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م.

خلاصة القصة

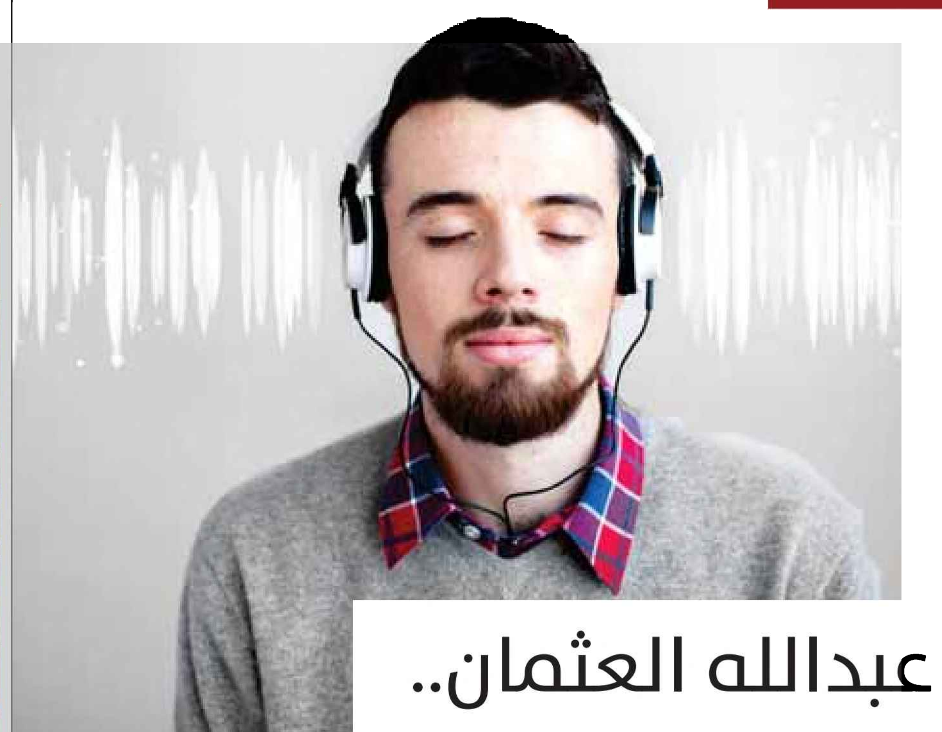
بدأت رحلة الجراحة بالحلاقين، فكانوا يقصّون الشوارب، ويبضعون الخراجات على حدّ سواء، وها هي الجراحة اليوم تقفز إلى ذرى المجد؛ فزرعت الأعضاء؛ مثل: القلب والكلى والكبد والرئة، وثبِّتت الكسور بوساطة صفائح ومسامير من حديد، واستبدلت بالشرايين أنابيب صناعية، وفتّت الحصيات الكلوية بوساطة أمواج غير مرئية، وتنامت أبحاث الخلايا الجذعية، ورسمت خريطة الأمراض الوراثية، وأجرت التشخيصات باستخدام الأشعة السينية والمقطعية والموجات فوق الصوتية، واختصر التدخّل الجراحي من خلال ثقوب، واستعانت بميكروسكوبات ومناظير تشخيصية وجراحية، وقد لا يدخل الجرّاح مطلقاً قاعة العمليات؛ حيث يقوم بالعمل عوضاً عنه إنسان آليّ (روبوت) ينجز العملية بدقة أفضل، ووقت أقصر، ويد لا تعرف الاهتزاز، ومعنى هذا أن الطب يتقدم نحو التخلّص من الجرّاحين سواء أكانوا حلّاقين أم اختصاصيين مُحدثين.

المراجع

(١) أعدّ هذه الترجمة إميل ليتريه؛ راجع: تاريخ الطب، جان شارل سورنيا، ترجمة: إبراهيم البجلاتي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨١، مايو ٢٠٠٢م، ص٤٩-٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) للمزيد راجع: تاريخ الجراحة منذ أقدم العصور، أيمن توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ص٣٠٢، وما بعدها.



عبدالله العثمان..

فنان سعوديّ اختبر فكرة التعذيب بالمغامرة

في صالة عرض (ذو ماين آرت) بدبي، لم يشعر الفنان السعودي عبدالله العثمان بالجمهور الحاضر، فبدأ عرض تجربته الأدائية (التعذيب من غير لمس)، قبل دقائق من دخول الجمهور، وانتهى بعدما غادروا، ولم يستطع التحدّث إلى أحد، أو على وجه التحديد تجنّب الحديث إليهم.

يهدف العمل الأدائي (التعذيب من غير لمس) إلى الوقوف مع الإنسان والموسيقا، في تجربة عدّها المتابعون تجربةً مهمةً وفريدةً من نوعها في الخليج العربي، وتستحقّ التأمّل بعمق؛ إذ استمع العثمان إلى ٢١ أغنيةً في ثلاث ساعات داخل غرفة زجاجية شفافة ومعزولة، وكان يراقب نفسه مراراً في مواجهة الألم بصورة لا تحتمل.

وعن التجربة تحدّث العثمان إلى صحيفة العرب قائلاً: «ثلاث ساعات داخل غرفة مربعة زجاجية في صالة عرض (جاليري)، لقد كنت حاضراً بالغرفة الزجاجية الشفافة فيزيائياً، وغير حاضر بمصير الهشاشة وانسحاب الصوت، تركت نفسي تصارع الموقف والموسيقا في مساحة ضيّقة».

ويستمرّ في توضيح التجربة: «كان الدخول إلى الغرفة يتطلب مجهوداً بدنياً، بحيث تنزل إلى الأرض، وبعد ذلك تدفع نفسك في فتحة صغيرة حتى تصل إلى كرسيّ... أخذتُ الكرسيّ ووضعته في منتصف المكان الذي يتكوّن من طابقين، وبدأتُ الرحلة مع ٢١ أغنيةً، استُخدِمت في تعذيب الإنسان بسجن أبو غريب وغوانتانامو، وكانت واحدة من هذه القائمة موسيقا عربية اسمها الذكرى، لملحّن مصريّ».

ويتابع العثمان: «لقد تسرّبت قائمة الأغاني من ملف السي آي إيه، وتم تناولها على صعيد دوليّ، كانت أغاني مختارةً بدقّة، حيث يتنوّع الإيقاع، حتى تكون كلماتها مؤذية ومستمرة، حيث ينتزع الإحساس، وتتركك هشاً، وتحيلك إلى كائن هزيل جداً. وبعد مرور الوقت بالاستماع للموسيقا شعرت بذلك بالفعل، كنت أمدّ حضوري بالصوت الذي يخرج بأنفاس مندفعة وسريعة مع الموسيقا والألم، وأنا ثابت على الكرسيّ».

شعر عثمان أنه عمود فقريّ محض يجلس على كرسيّ، وسائر كيانه في صراع مع التجربة، لم يلتفت إلى تقنية الأداء، أو إلى الحضور، كان ذاهباً وحيداً ليكتشف أقصى ما يمكن أن يذهب معه وإليه من ذلك النوع الذي يُستخدَم في التعذيب بالسجون. وبكلّ تأكيد ليقف -أيضاً- مع الإنسان في صرخة مضمونها النضال من أجل منع الموسيقا في التعذيب.

مطعم يتحوّل إلى

متحف للفنّ المعاصر بموسكو



يتحول جناح المواسم السابق للحديقة المركزية للعاصمة الروسية، الذي كان مطعماً في ستينيات القرن الماضي، إلى متحف (كراج) للفنّ المعاصر بعد تدشينه في ١٩ يونيو ٢٠١٥م، وظلّ هذا الجناح مهملاً السنوات الـ٢٠ الماضية، وقامت شركة OMA بترميمه؛ لتعيد تألّقه بوصفه نموذجاً للفنّ المعماريّ السوفييتيّ الحديث.

ويعرض المتحف الذي تبلغ مساحته ٥٤٠٠ متر مربع لوحات لرسامين من ألمانيا واليابان والأرجنتين، ويضمّ المتحف خمس قاعات لعرض اللوحات الفنية، والصور الفوتوغرافية، والمنحوتات، والتحف الفنيّة، ومكتباً للتصميم، وقاعة محاضرات، وغرفة لرعاية الأطفال، ومكتبة، ومقهى، وسيقوم المتحف بتنظيم دروس نموذجية، وإلقاء المحاضرات عن كنوزه.

مهرجان تشيخوف المسرحي الثاني عشر

شهدت موسكو في شهر مايو ٢٠١٥م أعمال مهرجان تشيخوف المسرحيّ الدوليّ، الذي يعدُّ أكثر المهرجانات الروسية تمثيلاً، وذلك في نسخته الثانية عشرة، وتستغرق فعالياته شهرين، ويبلغ تعداد المسرحيات المشاركة ١٩ مسرحيةً من ١٢ بلداً، وتشارك جمهورية جنوب إفريقية أول مرة في المهرجان بمسرحية (إينالا).

وتعرض فرقتان مسرحيتان أرجنتينيتان بهذه المناسبة مسرحية (التانجو والليل) من إخراج بيلار ألفاريس وكلاوديو هوفنان، ومسرحية (العالم العجيب للحيوانات) من إخراج الفنان الأرجنتينيّ البارز دانئيل فيرونوزي، إضافةً إلى أن روسيا تستضيف العام الجاري مهرجان (عام الثقافة الأرجنتينية).

وكان افتتاح البرنامج بعرض مسرحية (لو برجوا) التي يقدمها مسرح (بوف دو نور) من باريس، أما المسرح الروسيّ فكانت مشاركته بمسرحية (الحرب) المستوحاة من رواية (موت البطل) للكاتب أولدنغتون، وملحمة (الإلياذة) لهوميروس، و(مذكرات الفارس) للشاعر الروسيّ غوميليوف، وذلك في موضوع الحرب العالمية الأولى.

وعبّر السفير الفرنسيّ لدى روسيا جان موريس ريبير في مؤتمر صحفيّ بمناسبة افتتاح المهرجان عن رأيه بأنه الحدث الأكبر في العالم المسرحيّ، وأن المشاركة فيه هي شرف عظيم لأي مسرحية.

وبلغ تعداد المسرحيات الفرنسية المشاركة في البرنامج الرئيس للمهرجان أكثر من غيرها، وهو ما فسّره المدير العام للمهرجان فاليري شادرين بأنه يرجع إلى العلاقات الدافئة الطويلة مع الشركاء الفرنسيين، وقال: إن مهرجان تشيخوف سيفتتح ويختتم بمسرحيات فرنسية.

يذكر أن المهرجان بدعم من الحكومة الروسية وعدة دول أجنبية، وأقيمت عروض المهرجان في موسكو، وبطرسبورغ، ويكاتيرينبورغ، ونيجني نوفغورود، وتوبولسك، وغيرها من المدن الروسية.



حنظلة من ألمانيا يخفّف معاناة المرضى الفلسطينيين

نجحت جهود جمعية ألمانية خيرية تعنى بتطوير القطاع الصحيّ بفلسطين في إصدار طابع بريديّ ألمانيّ يحمل صورة شخصية حنظلة التي ابتكرها الفنان الفلسطينيّ الراحل ناجي العلي، وذلك بالتنسيق مع مؤسسة البريد الألماني.

وقالت غيرترود نيلز رئيسة جمعية (ميديكال سنتر - بيت ساحور): إن الفكرة تحققت ضمن اتفاقية بين الجمعية الألمانية ومؤسسة البريد الألماني، وقضت هذه الاتفاقية بإصدار مؤسسة البريد طابعاً بريدياً لفئة الرسائل العادية -وهي من الفئات الأكثر استخداماً في ألمانيا- يحمل صورة حنظلة واسم الجمعية.

وأوضحت نيلز - حسب إذاعة صوت ألمانيا (دويتشه فيلله)- أن الجمعية اشترت جميع الطوابع التي أُصدِرت، وسيعاد بيعها إلى كل من يرغب في التبرع بمبلغ من المال للجمعية؛ من أجل المساهمة في مساعدة مستشفى بيت ساحور بفلسطين، وأضافت أن الفكرة جاءتها في أثناء زيارة المستشفى القريب من مدينة بيت لحم؛ إذ رأت معاناة المرضى في الأرض المقدسة؛ بسبب قدم الأجهزة بالمستشفى، وحاجة المبنى إلى التجديد والتوسيع للتمكّن من خدمة مرضاه بصورة لائقة، وفي أثناء تفقّدها المبنى مع إدارة المستشفى لمحت على مدخله شعار حنظلة بالقرب من اسم المستشفى، ولعلمها أهمية هذا الشعار الذي أصبح رمزاً إلى المعاناة الفلسطينية، رأت نيلز أن هذا الشعار هو أفضل ما يمكن استخدامه لإبراز المعاناة الفلسطينية للمواطن الألمانيّ. وبعد مناقشة الموضوع في الجمعية اتُّصِل بإدارة البريد؛ للاتفاق على إصدار الطوابع، وطلبت مؤسسة البريد التعريف بهذه الشخصية بشكل كتابيّ مفصّل؛ للتصديق عليها رسمياً.



قريباً...
أعضاء حيوانية داخل جسم الإنسان

يُتوفَّى كثير من البشر في العالم كلّ يوم؛ بسبب نقص عدد المتبرّعين بالأعضاء البشرية؛ لذلك كانت الحاجة ماسّة إلى الدراسة التي قام بها (معهد سولك) للأبحاث البيولوجية Salk Institute of Biological Research؛ إذ اكتشف العلماء نوعاً جديداً من الخلايا الجذعية يمكن أن يستخدم يوماً ما في توليد خلايا وأنسجة لأيّ عضو من أعضاء الجسم البشريّ، وهو تطوّر قد يخدم صحة ملايين البشر.

وقال العالم بلمونت، كبير علماء البحوث الجديدة، التي نُشرت في مجلة Nature العلمية: لإنتاج الخلايا الجذعية الجديدة المسماة (rsPSCs)، طوّر العلماء مجموعة من الإشارات الكيميائية لتوجيه خلايا جذعية بشرية في أثناء اختبار معمليّ، ثم قاموا بإدخال هذه الخلايا في جنين فأر مدة ٣٦ ساعةً، ووجد العلماء أن الخلايا تتطور بنجاح إلى مراحل مبكرة من الأنسجة.

وأضاف بلمونت أنه مع إدخال التحسينات في مجال التكنولوجيا، فقد يمكن في المستقبل توليد خلايا وأنسجة لأعضاء بشرية في أنواع أخرى من الحيوانات، مثل الخنزير، التي يمكن أن تستخدم بعد ذلك في جراحات زراعة الأعضاء البشرية.

ويؤكد بلمونت أهمية مراعاة البُعد الأخلاقيّ في البحوث قائلاً: إن الآثار الأخلاقية وراء زراعة خلايا بشرية داخل الحيوان للحصول على الأنسجة والأعضاء البشرية لإنقاذ حياة الملايين؛ يُعدّ أمراً في حاجة إلى إجراء تقييم دقيق.

وقال جورج دالي عالم بيولوجيا الخلايا الجذعية في مستشفى بوسطن للأطفال وكلية هارفارد الطبية: كلّ ما توصّلنا إليه هو نتائج للتطبيق في نطاق البحوث العلمية، وربما ينتقل الأمر في المراحل القادمة إلى نطاق التجارب السريرية.

ومن جهة أخرى، توقّع علماء يابانيون أن توافق الجهات الحكومية المختصة على مشروع لتنمية أعضاء بشرية داخل حيوانات، ثم قطفها وزراعتها في البشر، عوضاً عن أعضائهم المعطوبة، في غضون عام.

وأعدّت لجنة من العلماء والخبراء القانونيين شكّلتها الحكومة اليابانية توصيةً ستكون قاعدة المبادئ التي تحكم أكبر مشروع علميّ لاستخدام الأجنّة ارتبط اسمه باليابان، ويعتزم العلماء اليابانيون إدخال خليّة جذعيّة بشريّة في جنين حيوان يُرجَّح أن يكون خنزيرًا؛ لتخليق جنين مهجّن يمكن زرعه في رحم أُنثى الحيوان، ثم ينمو الجنين ليصبح عضواً بشرياً كاملاً: كليةً أو قلباً، بالتزامن مع نموّ الحيوان الذي يستضيف الجنين. وعندما تُنحر أُنثى الحيوان، يُؤخذ العضو الذي نما في رحمها ويُزرع في إنسان عوضاً عن عضو معطوب فيه.

قال البروفيسور هيروميتسو ناكاوتشي، رئيس مركز بيولوجيا الخلايا الجذعية والطب التجديدي بجامعة طوكيو، لصحيفة ديلي تليجراف: إن التوصية التي أعدَّتها لجنة العلماء والخبراء القانونيين خطوة مهمّة إلى الأمام، استغرق اتخاذها ثلاث سنوات، وكان فريق ناكاوتشي نجح في زرع خلايا جذعية مأخوذة من جرذان في أجنة فئران معدّلة وراثياً.

وقال ناكاوتشي: إن المبادئ نفسها يمكن أن تُطبق على الخلايا الجذعية البشرية وزرعها في حيوان، لكن الضوابط المعتمدة لما تسمح لنا بذلك حتى الآن. وتجيز الضوابط السارية في اليابان للعلماء تطوير أجنّة مهجنة في المختبر مدة أقصاها ١٤ يومًا، لكنها تمنع الانتقال إلى المرحلة التالية، وهي زرع الأجنة في رحم أُنثى الحيوان، ومن المتوقع أن تستغرق إجراءات الموافقة الرسمية على تعديل هذه الضوابط ١٢ شهراً.

وأضاف ناكاوتشي، أن تنمية أعضاء بشرية أخرى مثل الكلية والقلب ستكون عمليةً معقدةً، لكنها ممكنة، وأشار إلى أن الأعضاء البشرية التي تنمو في أحشاء حيوانات ستكون متاحةً لزراعتها في البشر في غضون خمس سنوات، مؤملاً تنمية أعضاء بشرية كثيرة داخل الحيوان الذي يستضيفها؛ ليمكن جنيها في وقت واحد وزراعتها في الإنسان، عوضاً عن أعضائه المعطوبة.

رسائل أينشتاين

في مزاد علني تتجاوز ٤٢٠ ألف دولار



أعلن جوزيف مادالينا مؤسس بيت (بروفايلز إن هيستوري) للمزادات أن مجموعة رسائل خاصة بعالم الفيزياء الشهير ألبرت أينشتاين، بيعت في مزاد علني بمدينة لوس أنجلوس الأمريكية بسعر تجاوز ٤٢٠ ألف دولار.

وذكر مادالينا أن المجموعة تضم ٢٧ رسالةً، بعضها بخطِّ اليد، وبعضها مكتوب بوساطة الآلة الكاتبة، موضّحاً أن جزءاً منها محرَّر باللغة الإنجليزية، والبقية باللغة الألمانية، وأشار إلى أن أينشتاين خطَّ بعض النصائح لأبنائه في إحدى الرسائل، وطلب من ابنه أن يهتمّ بالهندسة اهتماماً كبيراً، وأورد في رسالة أخرى أفكاره عن الربّ، وفي ثالثة واسى صديقاً له علم حديثاً خيانة أبيه إياه.

يذكر أن عالم الفيزياء الألمانيّ ألبرت أينشتاين ولد في ١٤ مارس عام ١٨٧٩م لأسرة يهودية بمدينة أولم الألمانية، وهو من أهم علماء الفيزياء في القرن العشرين، فقد وضع نظرية النسبية الخاصة ونظرية النسبية العامة، اللتين كانتا حجر الأساس للفيزياء النظرية الحديثة، ونال جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢٠م عن ورقة بحثية في الكهروضوئية إضافةً إلى إسهاماته في الفيزياء النظرية، وتُوفِّي في ١٨ إبريل عام ١٩٥٥م.

موقع جديد للاتحاد الأوربيّ

يقدم عروض الأوبرا مجاناً بالإنترنت



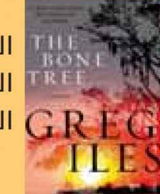
أذيعت أوبرا (لاترافياتا) للموسيقار الإيطالي جوزيبي فيردي بأنحاء العالم في بثّ مباشر من خلال الإنترنت ومن دون مقابل ماديّ من مسرح (تياترو ريال) بمدريد، وذلك في مستهلّ برنامج مدعوم من الاتحاد الأوربيّ يهدف إلى نشر فنّ الأوبرا في جموع الناس.

وجاء في بيان صحفيّ نشرته رويترز أن موقع (أوبرا بلاتفورم) هو مشروع مدته ثلاث سنوات بميزانية تبلغ أربعة ملايين يورو (٤،٥ مليون دولار) يأتي نصفها تقريباً من ميزانية الثقافة بالاتحاد الأوربيّ.

وقال البيان: أوبرا بلاتفورم هي منصّة بالإنترنت للترويج لفن الأوبرا والاستمتاع به، وصمّمت لتبدو مقبولةً لمن يحبّ فن الأوبرا وهؤلاء الذين ربما يشاهدون هذا الفنّ أول مرة، وأضاف البيان: أن مستخدمي الإنترنت بأنحاء العالم سيستطيعون مشاهدة العرض المذاع، وستبث العروض في المستقبل من ١٥ دار أوبرا أوربيّة، وذلك بالمشاركة في البرنامج من ١٢ دولة، وسيكون هناك بث مباشر واحد على الأقلّ شهرياً يتاح على الموقع مدة ستة أشهر، وستتاح العروض باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والبولندية، والإسبانية، وسيتيح الموقع -أيضاً- أفلاماً وثائقية وموادّ أرشيفية عن الأوبرا، ومقاطع من أبرز العروض بأنحاء أوربا. ويتكفل بالموقع برنامج (كرييتيف يوروب) التابع للاتحاد الأوربي بالتعاون مع (أوبرا أوربا)، وهي مؤسسة تضم ١٥٥ شركةً لإدارة الأوبرا والمهرجانات، وقناة (آرت) الثقافية، و١٥ دار أوبرا.

أكثر الكتب رواجاً في مارس وإبريل ٢٠١٥م

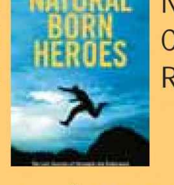
بلشرز ويكلي PUBLISHERS WEEKLY



The Bone Tree
Greg ILes
Morrow

الكتاب: شجرة العظام
المؤلف: جريج إلز
الناشر: مورو

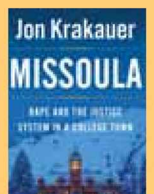
رواية عن العنف والجريمة في ولاية مسيسبي، والصراع المحتدم من أجل العدالة في الجنوب الأمريكي.



Natural Born Heroes
Christopher McDougal
Random House

الكتاب: أبطال بالميلاد
المؤلف: كريستوفر مكدوجال
الناشر: راندوم هاوس

قصة اختطاف الجنرال النازيّ هينريش كليب من قبل المقاومة اليونانية وفرق الكوماندوز البريطانية.



Missoula
Jon Krakauer
Double Day

الكتاب: ميسولا
المؤلف: جون كراكور
الناشر: دبل داي

استقصاء فكري ونفسي عميقين لظاهرة الاغتصاب وآثارها المدمرة في أروقة الجامعات الأمريكية.

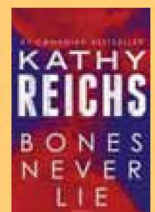


The Beekeeper's Ball
Susan Wiggs
Mira

الكتاب: حفلة النحّال
المؤلف: سوزان ويجز
الناشر: ميرا

قصة حبّ لاهية بين اثنين من ضحايا النازية، تدور رحاها بالدنمارك في أثناء الحرب العظمى.

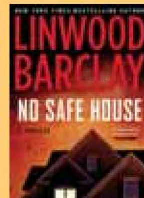
صنداي تايمز THE SUNDAY TIMES



Bones Never Lie
Kathy Reichs
Random House

الكتاب: العظام لا تكذب
المؤلف: كاثي ريكس
الناشر: راندوم هاوس

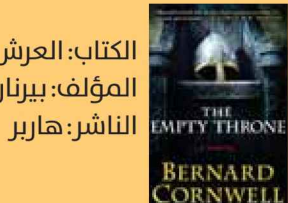
رواية قائمة على البحث الجنائي الأنثروبولجي لكاتبة احتلّت المرتبة الأولى في قائمة أعلى المبيعات ١٦ مرةً.



No Safe Home
Linwood Barclay
Kindle

الكتاب: لا ملاذ آمن
المؤلف: لينوود باركلاي
الناشر: كيندل

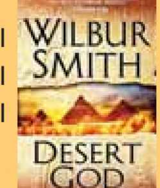
لكل منا عفاريته وشياطينه التي لا تفارقه وتتدخّل كل مرة لتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق.



The Empty Throne
Bernard Cornwell
Harper

الكتاب: العرش الفارغ
المؤلف: بيرنارد كورنول
الناشر: هاربر

تحكي الرواية جانباً من تاريخ إنجلترا عندما يصبح العرش شاغراً، وتتقدّم أرملة شابة لسدّ هذه الثغرة.



Desert God
Wilbur Smith
Harper

الكتاب: إله الصحراء
المؤلف: ويلبر إسميث
الناشر: هاربر

رواية تاريخية مسرحها مصر الفرعونية، وموضوعها مؤامرات الحكّام وانقلابات القصر، واحتدام الصراع بين الولاء والطموح.

ليبراري جورنال
LIBRARYJOURNAL



All The Light We Cannot See
Anthony Doerr
River Head

الكتاب: كل ضوء لا نستطيع رؤيته
المؤلف: أنتوني دوار
الناشر: ريفر هيد

يطرح الكتاب موضوع حدود التحمّل البشري والصلابة الأخلاقية في أوقات عصيبة مثل الحروب.



Big Little Lies
Lian Moriarti
Putnam

الكتاب: أكاذيب صغيرة كبيرة
المؤلف: ليان موريارتي
الناشر: بتنام

تقوم القصة على دعوى عريقة بأن الأكاذيب الصغيرة قد تصبح أكثر خطورة وكارثية.



The Nightingale
Kristin Hannah
St. Martin

الكتاب: العندليب
المؤلف: كريستين حنة
الناشر: سانت مارتن

في العندليب تحكي حنة قصة شقيقتين تواجهان أهوال النازية بمفرديهما في مسيرة مريرة وظافرة في نهاية المطاف.

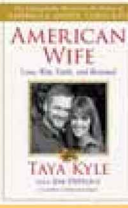


Pioneer Girl
Laura Ingalls
South Dakota State

الكتاب: فتاة رائدة.. سيرة ذاتية
المؤلف: لورا إنجالز
الناشر: ولاية ثاوث داكوتا

في أتون الهجرة من الشرق إلى الغرب الأمريكي تكتشف إنجالز أن الحقيقة والخيال صنوان.

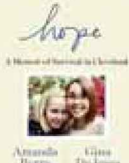
نيويورك تايمز
The New York Times



American Wife
Taya Kyle
Morrow

الكتاب: زوجة أمريكية
المؤلف: تايا كايل
الناشر: مورو

سـيرة حيـاة الممثل المشـهور كريس كايل بطل فلـم القناص الأمريكي بعدسة زوجته تانيا كايل.



Hope
Amanda Berry
Viking

الكتاب: الأمل
المؤلف: أماندا بيري
الناشر: فايكنج

قصـة امرأتيـن اختطفهمـا واحتجزهما سـائق حافلة مدرسـية بولاية أوهيو مدة ١٠ أعوام إلى أن تمكنتا من الهرب.

Deal
Bill Kreutzmann
St. Martin

الكتاب: الصفقة
المؤلف: بيل كروتزمان
الناشر: سانت مارتن

يروي الكتاب سـيرة قارع طبل قضى الشـطر الأعظم من حياته في عالم الموسيقا وقضاياه الشائكة.



The Residence
Kate Anderson Harper

الكتاب: المسكن
المؤلف: كيت أندرسون
الناشر: هاربر

ذكريات خمسين عاماً في البيت الأبيض قائمة على مقابلات مع الطباخين وعمال النظافة، والتجربة الشخصية للكاتبة في أروقة الإدارة الأمريكية.

عروض كتب

الكتاب: أزمنة التغيير: الدين والدولة والإسلام السياسيّ
المؤلف: رضوان السيد
الناشر: دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٤م



يحتوي هذا الكتاب مقدّمة تمهيدية، وأربعة أبواب تعالج قضية الدولة الوطنية، وموقف حركات الإسلام السياسيّ منها من عشرينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا.

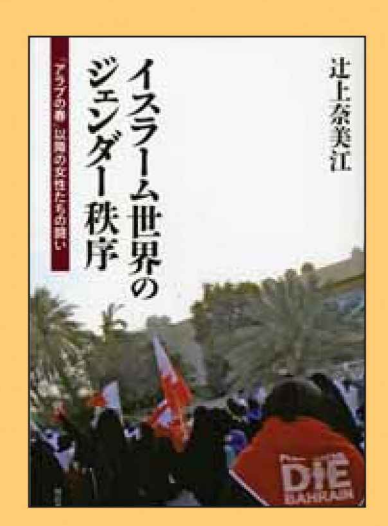
ويمكننا القول: إن الأطروحة الأساسية للكتاب هي أن نظرية تطبيق الشريعة صارت في حقبة محدّدة صيحة الحرب التي تقود حركات الإسلام السياسيّ وتوجّهها في هذا الجزء من العالم، خصوصاً بعد أن أخذت السلطة السياسية طابعاً عسكرياً في كلّ من تركيا وسوريا والعراق ومصر منذ بداية الخمسينيات، وعوضاً عن مواصلة نضالها ضدّ الاستعمار، وظاهرة التغريب، والمؤسسات الدينية التقليدية والعريقة، مثل: الأزهر، وجّهت حركة الإسلام السياسيّ كلّ جهودها لتقويض نموذج الدولة الوطنية، الذي تشكّل في حقبة الحربين العالميتين بوصفها غير معنيّة بتطبيق الشريعة الإسلامية، لكن هل تغيّرت هذه الصورة بعد انتصار حركات التغيير العربية خلال العقد الثاني من القرن الحالي؟.

يرى الكاتب أن الربيع العربيّ ربما عجّل مع أمور أخرى استحضار المشكلات المتراكمة في الساحة العربية الإسلامية في العقود الماضية، وأن الحركات الجهادية وحركات الإسلام السياسيّ لا تزالان تهدّدان الدولة والدين معاً؛ الدولة بوصفها هيئةً تقوم بإدارة الشأن العام، والدين بوصفه سكينةً وليس أيدولوجيا للسطو على الدولة والشعب، ومناط هذا كله إخفاق مشروع الدولة الوطنية؛ إذ آل زمام أمور كل دولة إلى صالح جهات إقليمية ودولية، وبرزت ظاهرة التوريث الجمهوريّ، وانصرفت الدولة إلى القمع الداخليّ، ونشر المذابح والانقسامات، والتعامل مع الشعب بمنطق الغلبة والاستحواذ والقتل، لكن هذه الأوضاع العربية على الرغم من امتلائها بالانسدادات فما زالت حافلةً بالإمكانيات والممكنات كما يقول المؤلف في خاتمة الكتاب.

فباندلاع الحركات الشبابية عام ٢٠١١م انتهت مقولة الاستثناء العربيّ والإسلاميّ، وانفتح الأفق على الدولة المدنية العربية المستعادة في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن والعراق والسودان، ومع ذلك فإن جراحات المراحل السابقة فغرت أشداقها في كل مكان، وليس في دول الأنظمة العسكرية الاستبدادية وحدها، ولا ينتهي الكتاب إلا بدقّ ناقوس الخطر؛ بسبب وقائع كانت موجودةً قبل الربيع العربيّ واستفحلت بعده، وهي التدخّل العسكريّ والأمنيّ السافران من قبل إيران؛ لتمزيق المجتمعات، وتقسيم الدول، أو التلويح بذلك.

● ● ●

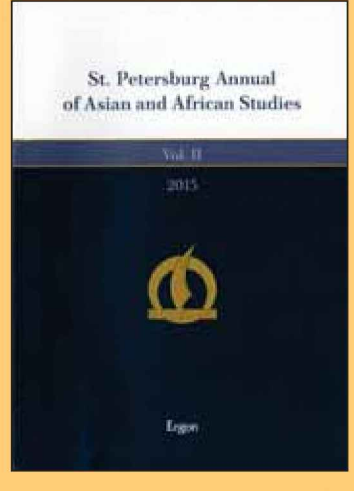
الكتاب: نظام النوع الاجتماعي في العالم الإسلامي.. الصراع النسويّ بعد الربيع العربيّ
المؤلف: نامي تسوجيقامي
الناشر: أكاشي شوتن، طوكيو، ٢٠١٤م



أطاح الربيع العربي بأنظمة طال بها الزمن في العالم العربي، وكان من نتائج حركات الاحتجاج الكثيفة استفحال ظاهرة المضايقات الجنسية Sexmal Harassment والاغتصاب، على نحو ما وقع في شوارع القاهرة، وابتداع ظاهرة جهاد النكاح السيّئة السمعة، التي تمثّلت ضمن أمور أخرى في نزوح فتيات تونسيات إلى سورية؛ للاقتران بالمقاتلين ضدّ نظام الأسد، وكل هذه التطوّرات دليل على هشاشة وضع المرأة خصوصاً في أوقات الشدّة والحروب. وفي الوقت نفسه أتاح الربيع العربيّ لفئات محدّدة من النساء فرصاً كبيرةً لإثبات فعاليّتهن، ولم يقتصر ذلك على المشاركة في المسيرات الاحتجاجية فقط، إنما امتدّ إلى المبادرة إلى تنظيم المسيرات والاعتصامات وغيرهما من مظاهر النشاط السياسيّ، ومن المظاهر اللافتة في أثناء الربيع العربيّ دعم النساء للمتظاهرين من خلال توفير الطعام والشراب والدواء، وهذا الأمر غيّر صورة المرأة السلبية أو مهّد ذلك، بوصفها موضوعاً للاضطهاد والاحتقار والدونية.

يسعى هذا الكتاب إلى استقصاء وضع المرأة وعرض إشكاليته، ونظام النوع الاجتماعيّ (الجندر) قبل ثورة الربيع العربيّ وبعدها، وقد وظّفت الكاتبة في أطروحتها نظرية جودث بتلر في الفعالية الأدائية، التي تركّز في تسليط الضوء على الفعاليّة النوعيّة، التي تقوم بمهمّة التصحيح الذاتيّ للعلاقات الاجتماعية الجندرية وممارساتها، ويتّضح لنا جلياً عند تطبيق هذه النظرية على الربيع العربيّ دور المرأة الإيجابيّ في تغيير ملامح الصور النمطيّة النوعيّة الجندريّة، ويركّز الكتاب في تحليل المتغيّرات النوعيّة الجنسيّة في خمس دول هي: مصر، وتونس، والبحرين، والمملكة العربية السعودية، والمغرب.

الكتاب: حولية بطرسبرج
الناشر: جامعة الدولة في سانت بطرسبورج، روسيا، ٢٠١٥م



تصدر جامعة الدولة في سانت بطرسبورج بروسيا مجلّدها الثالث من «حولية بطرسبرج» المتخصّصة في الدراسات الآسيوية والإفريقية، التي يرأس تحريرها البروفيسور المعروف أفجيني زيلنيف، وتضمّ هيئة تحريرها كثيراً من الأعلام الروس والألمان والإسكندنافيين والبريطانيين والفرنسيين، ويضمّ هذا المجلّد ثلاثة عشر بحثاً يتناول بعضها الهموم العربية والإسلامية؛ مثل: الطريقة السمانية في غرب إفريقية، والأنماط الثقافية التركية وأثرها في الحقبة المملوكية بمصر، والاستشراق والطموحات الروسية الجيوسياسية، والمرأة في الاقتصاد الإسلامي، والعلاقات السعودية الصينية: أهي شراكة اقتصادية أم تحالف سياسيّ؟
أما البحوث الأخرى فهي تتناول الموضوعات الآتية: السجال السياسيّ حول اللغات المالطية، والفضاء السياسيّ والشفرات الثقافية في البلدان الآسيوية والإفريقية، والثقافة القانونية الروسية من منظور علم الأناسة، ومعالجة جديدة للوضع الماليّ الدوليّ.
ويتّضح من هذه القائمة المختصرة أن الهدف الأساسيّ من الحولية هو إمداد القارئ العام، والباحث المتخصّص بأحدث ما صدر في مجال الدراسات الآسيوية والإفريقية؛ إذ خُصِّصت ستة أجزاء من الإصدار بشكل دائم لاستقبال البحوث المذكورة، مع الوعد بتخصيص مساحة كافية للدراسات البينيّة، وأبحاث الحقول المتداخلة؛ مثل: اللغويات، والتاريخ، والأدب، والعلوم السياسية، وغيرها من التخصّصات.

الكتاب: التأثير والتأثّر في الحضارتين الصينية والعربية
المؤلف: عائشة رمضان «تانغ شيومي»
الناشر: جامعة الدراسات الدولية، بشيان، الصين، ٢٠٠٤م



بادئ ذي بدء يجب أن نوضّح أن الطاوية والكنفوشيوسية ليستا من العقائد الدينية، وإنما هما مذهبان فلسفيّان وآراء وتعاليم تقوم عليهما القواعد والفضائل الأخلاقية التي تؤيّدها البراهين الحسّية والنفسية، وجرى تحوير كلّ هذا فيما بعد ليتّخذ طابعاً اعتقادياً في إطار الصراع على السلطة والثروة في سائر أقاليم الصين.
ويعنى هذا الكتاب بالدرجة الأولى بجدلية التأثير والتأثّر بين هذين المذهبين والدين الإسلامي بالصين، ويعالج هذه الجدلية من خلال مقدّمة وأربعة فصول مقسّمة مباحث: خُصِّص الفصل الأول لعرض موجز عن الطاوية، وقدّم الفصل الثاني خلاصة مركّزة عن الكنفوشيوسية ونظرتها إلى الكون والمجتمع والقواعد الأخلاقية التي تقوم عليها، وعالج الفصلان الثالث والرابع بداية ظهور العلماء المسلمين في الصين وأبرز مؤلفاتهم، ثم حيثيّات تأثير الطاوية والكنفوشيوسية في المسلمين من خلال رصد عوامل التأثير وأسبابه الداخلية والخارجية وتحليلهما، وعرض الكتاب في الفصل الخامس والأخير مجالات تأثير الطاوية والكنفوشيوسية في العلماء المسلمين من خلال المحاور الرئيسة الآتية: مجال التصوّر الإلهيّ عند الجانبين، والموقف من الإنسان والأخلاق، وتصوّر التصوّف، لكن يؤخذ على الكتاب، إضافةً إلى ما يبشّر به عنوانه، أنه لم يتعرّض لمجالات تأثير العلوم الإسلامية في أنصار الطاوية، وهو مجال بكر وشديد الخصوبة، وربما يتنادى لسبر أغواره باحثون إسلاميون آخرون من داخل الصين أو خارجها أو منهما معاً.

فتحي أبو المجد مصر

سنديانة روحي

وأزعم أنها سنديانة روحي
أصلها ثابت،
وفرحها في دمي،
وأنها في سماء التوق تلثمني،
كلما تغدو بسمة للطير
ونسمة...
تراود أنجمي
وأنها..
أحرف حبّ للمدى
تغريدة السواقي للحقول
وأنها كوكبي الملهم
وأقسم أنها ومضة الإقبال
وهي النشيد
في فمي.

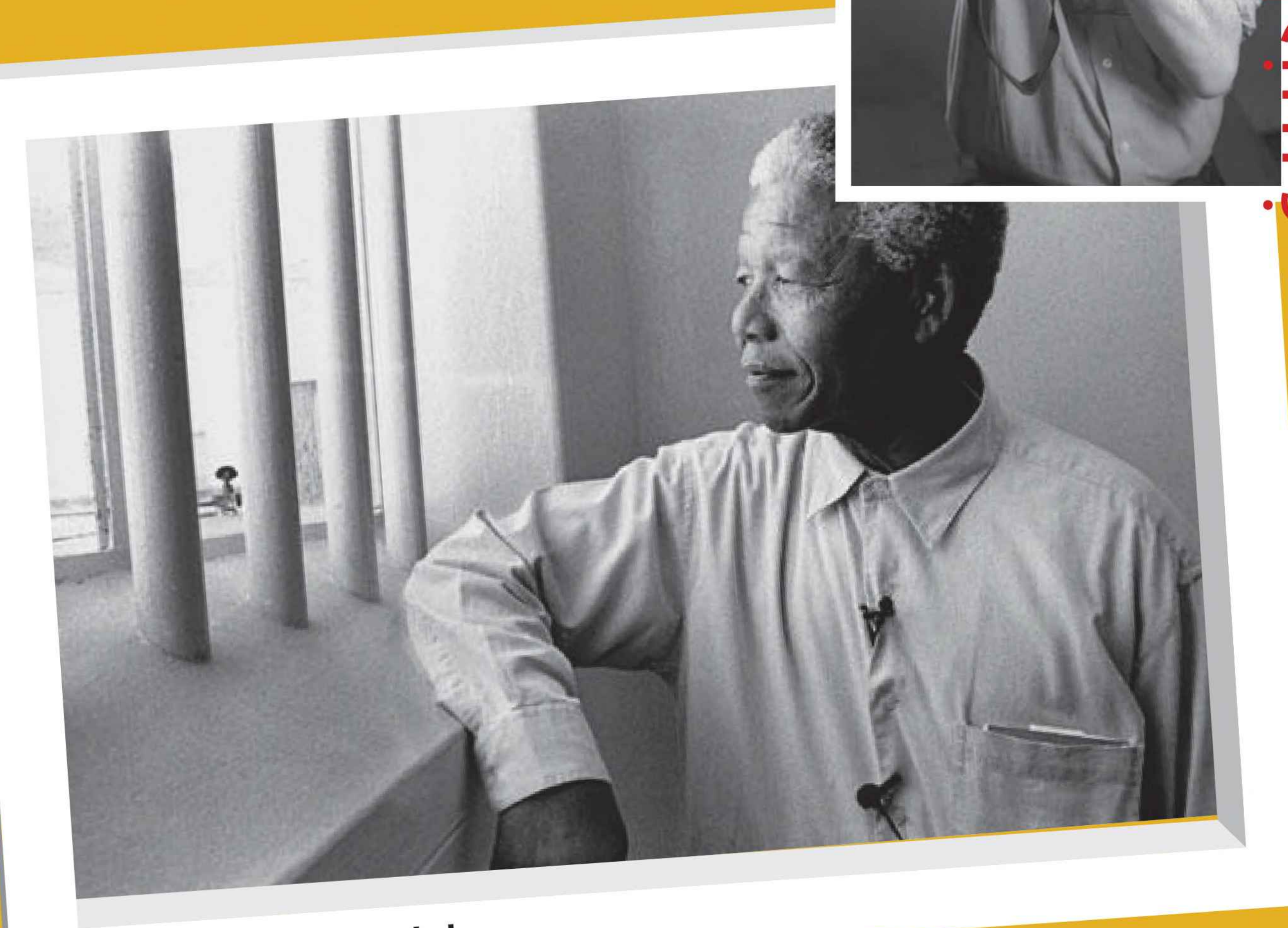




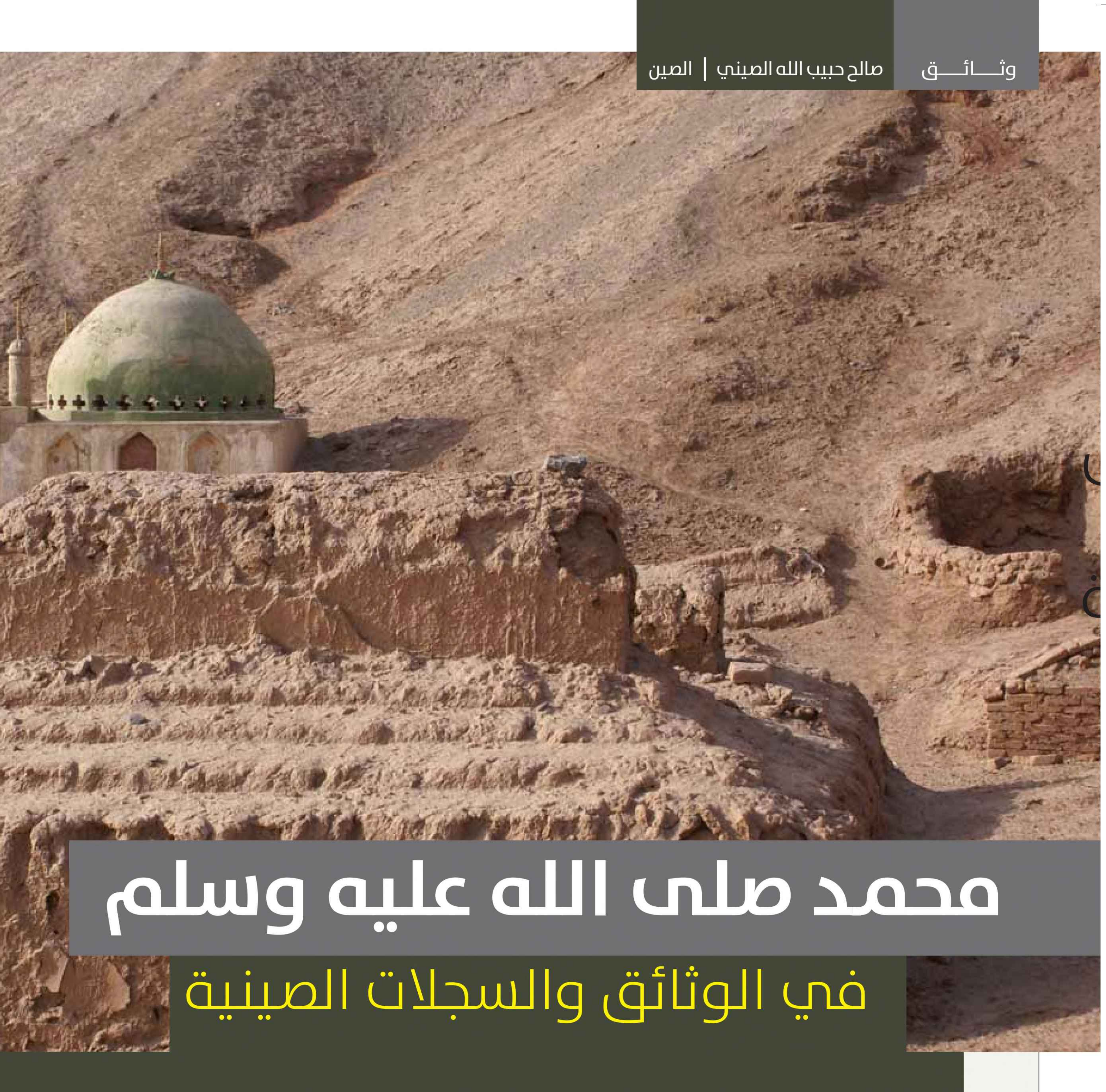
يورغين شادنبيرغ

المصـور يورغيـن شـادنبيرغ Jürgen Schadeberg ولـد فـي برلين عـام ١٩٣١م، حيـث درس فـنّ التصويـر، وعمـل بوكالة الأنبـاء الألمانيـة، ووثّق أحـداث الحرب العالميـة الثانيـة.

انتقـل إلـى جنـوب إفريقية عـام ١٩٥٠م؛ للانضمام إلى والدتـه وزوجها، وفي سـبتمبر عام ١٩٥١م عمل في مجلة الطبل Drum magazine مصوِّراً ومسـؤولاً عن التصميم، ودرّب جمعاً كبيراً من المصوِّرين المشـهورين في جنوب إفريقية، وعـاش جانباً كبيراً من معاناة السـود بسـبب الفصل العنصـريّ، والتقى مانديلا، ورصـد مـع البروفيسـور فيليـب توبيـاس حيـاة قبيلـة البوشـمن البدائيـة في صحـراء كالاهـاري، ونشـر كتابـاً مصـوراً عـن هـذه الرحلـة.



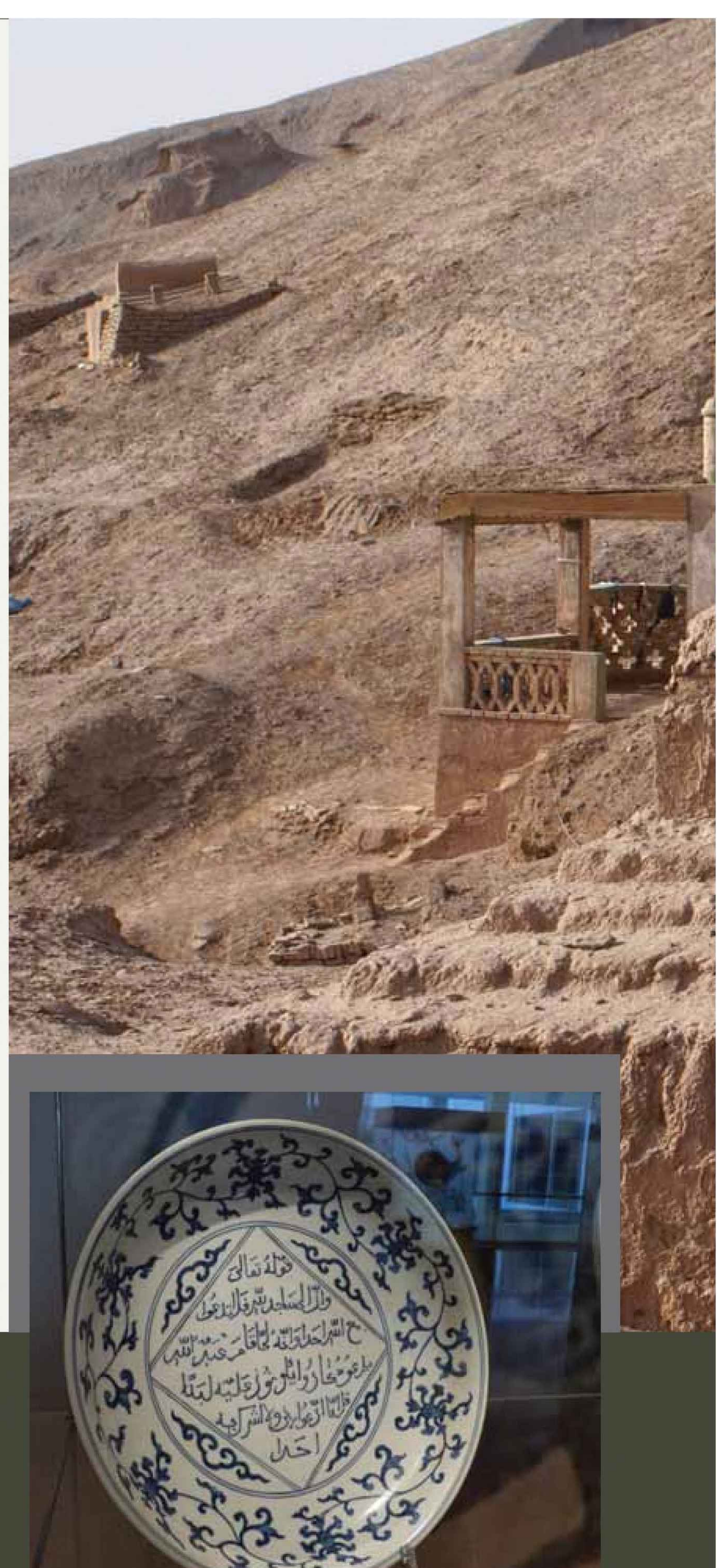
Jürgen Schadeberg



محمد صلى الله عليه وسلم

في الوثائق والسجلات الصينية

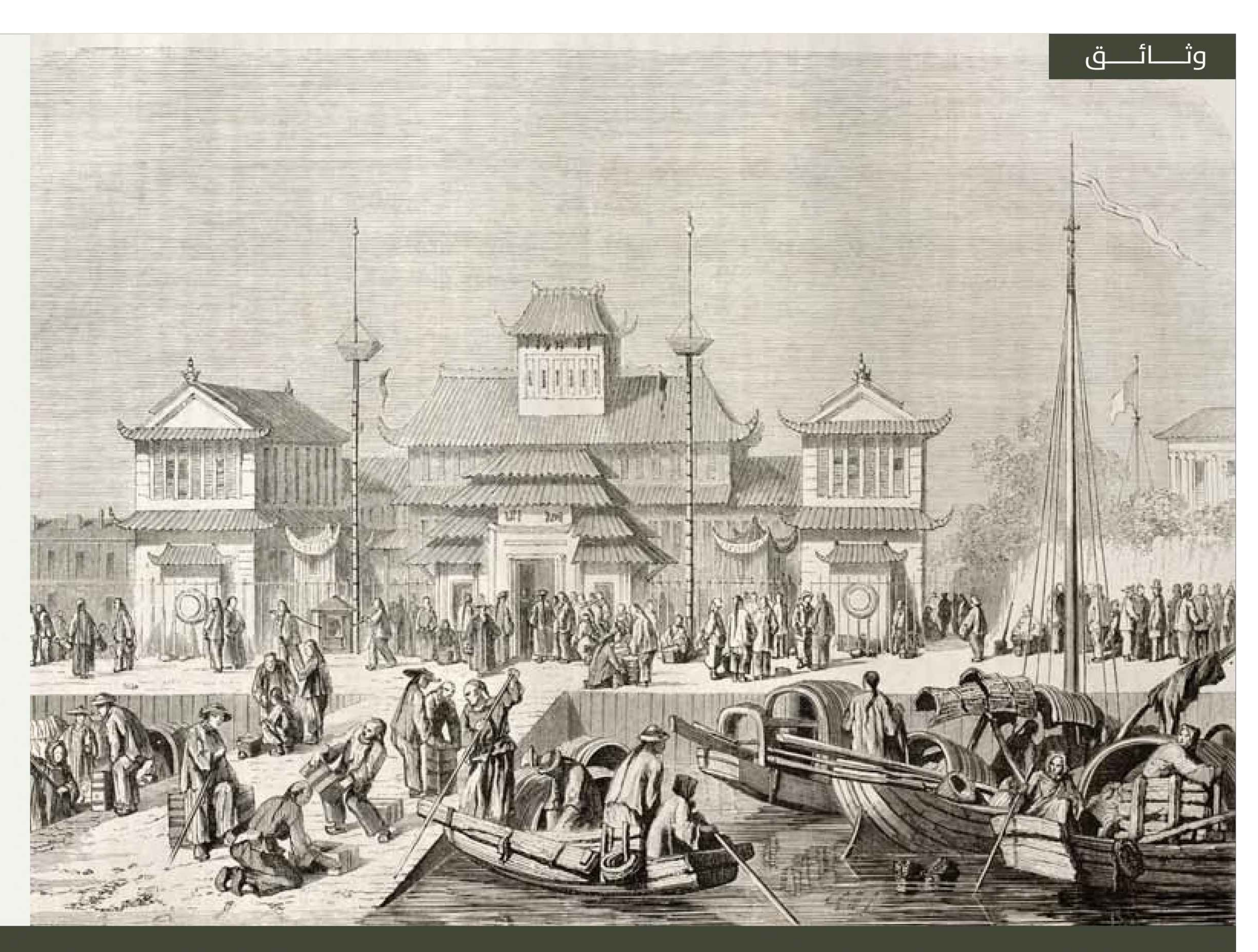
نحـن اليـوم فـي القـرن الحادي والعشـرين، في قـرن تتطور فيه العلـوم بصورة مذهلة، وتسـقط فيـه القيم والأخلاق، وتقلّ فيه الجوانب الإنسانية، وتكثر فيه الهمجية مع أننا نعيش جميعاً في العصر المتحضّر، وكلنا يسعى وراء المصالح المادية والمنافع الذاتية تاركاً المُثُل والمبادئ. والبشـرية اليوم في أشـدّ الحاجة إلى الرقيّ الخلقيّ والسـموّ النفسـي من خلال التعرّف إلى عظماء التاريخ الذين قدّموا للعالم أجلّ الخدمات وأروع الأعمال والأخلاق. ولا شـك أن أعظم هؤلاء على الإطلاق هم أنبياء الله ورسـله، وعلى رأسـهم أفضل الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم



لذلك جعله الكاتب مايكل هارت في كتابه: (المئة.. تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ)، أولَ هذه المئة بوصفه الشخصية الأكثر عمقاً وتأثيراً متجدِّداً في شعبه وفي تاريخ الإنسانية، وبوصفه الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستويين الديني والدنيوي[1]. وقد أكّد الله سبحانه وتعالى ذلك مصرِّحاً في محكم آياته: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)؛ أي: هو قدوة حسنة في الأقوال والأفعال والأعمال، وفي الصفات الخَلقية والخُلقية؛ ليكون للمسلمين أنموذجاً للتأسّي والاقتداء، ولغيرهم وثيقة صادقة تطلعهم على حقيقة الإسلام والصورة الحقيقية لرسوله صلى الله عليه وسلم.

لم يكن اسم محمد صلى الله عليه وسلم غريباً لدى الصينيين القدامى، فقد دخل هذا الاسم أول ما دخل في أذهان الصينيين مع دخول الإسلام والمسلمين العربِ الصينَ في وقت مبكر، فمن ذلك الوقت ظهر هذا الاسم المبارك في الوثائق والسجلات الرسمية، وأصبح معروفاً، كما كانت الصين معروفة لدى العرب آنذاك، وقد دلّ على ذلك القول المأثور: (اطلبوا العلم ولو في الصين). والحديث عن محمد صلى الله عليه وسلم في ثنايا الكتابات الصينية لا ينفكّ عن الكلام عن دخول الإسلام الصين؛ لذا سنتحدث عن الموضوع من الناحيتين: دخول الإسلام الصين، وذِكر محمد صلى الله عليه وسلم في الوثائق والسجلات الصينية.

لم يكن اسم محمد صلى الله عليه وسلم غريباً لدى الصينيين القدامى، فقد دخل هذا الاسم أول ما دخل في أذهان الصينيين مع دخول الإسلام والمسلمين العربِ الصينَ في وقت مبكر



الإسـلام وصل إلى الصين في عام ٦٢٨م، وكان السبب في ذلك أن الإمبراطور جنغ قوان رأى في منامه أن شـيخاً معمَّماً يدفع عنه وحشـاً مفترسـاً غريب الشـكل

أرسـل قتيبة بن مسـلم الباهلي عشرة من الدعاة وعالمـاً فلكياً إلى مدينة تشـانغ آن عاصمة الصين حينذاك. وهذه هي بداية دخول الدعاة المسـلمين الصين

نبذة عن تاريخ دخول الإسلام الصين

من المعروف أن اتصال الإسلام بالصين كان من طريقين: طريق الحرير البري، وطريق الحرير البحري. وقد كثرت الأقوال والآراء حول زمن دخول الإسلام الصين، واختلفت حتى يتعارض بعضها مع بعض. وفيما يأتي ذكر أهمّ تلك الأقوال والآراء بإيجاز مع ترجيح الرأي الراجح فيها.

- دخول الإسلام الصين في العام الثاني من حكم يونغ خوي **Yong hui** الإمبراطور الثاني في دولة الأسرة الملكية تانغ عام٦٥١م، التي حكمت الصين من عام ٦١٨ إلى عام ٩٠٧م:

الدليل على ذلك ما ذكر في كتاب تانغ القديم[٢]، من أن بلاد العرب بدأت ترسل الوفود والبعثات إلى الصين في شهر أغسطس من العام الثاني من حكم يونغ خوي **Yong hui** في عهد تانغ، وهذا الأمر يوافق ما ذكر في كتاب: تسه فو يوان قوي[٣]، من أن بلاد العرب قد أوفدت في العام الثاني من حكم الإمبراطور يونغ خوي عام ٦٥١م مبعوثها إلى الصين، وهذا العام يوافق سنة ٣٠ أو ٣٢هـ تقريباً في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بمعنى أن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين قد بعث وفداً إلى الصين في ذلك العام، كما يروى ذلك في الكتب الصينية القديمة بوصفه اتصالاً رسمياً بين بلاد العرب والصين. وهذا الرأي يكاد يصبح شبه متفق عليه في أوساط الباحثين في هذا الموضوع؛ لأنه مبنيّ على التدوينات التاريخية المعتمدة.

ويقول صاحب كتاب (هوي هوي يوان لاي)- أصل المسلمين في الصين: إن الإسلام قد وصل إلى الصين في عام ٦٢٨م، وكان السبب

في ذلك أن الإمبراطور جنغ قوان رأى في منامه أن شيخاً معمَّماً يدفع عنه وحشاً مفترساً غريب الشكل، وقد هاجه ولم يجد مفراً منه، فعندما أصبح التقى وزراءه، وسألهم عن تعبير الرؤيا، فقال قائل منهم: إن الشيخ المعمّم هو العرب؛ فلديهم القوة والبسطة، والوحش المفترس الغريب الشكل الذي هاجم الإمبراطور هو عنصر عدائيّ أو شخص ثائر في البلاد، فلا يمكن قمعه إلا بقوّة المسلمين، فبعث الإمبراطور سفيراً إلى بلاد العرب، ملتمساً من ملكهم أن يرسل عدة فرق من الجيوش إلى الصين، فبودل ثلاثة آلاف من جنود المسلمين بثلاثة آلاف من جنود الصين، فكان هؤلاء الجنود هم آباء المسلمين في الصين.

لكن هذه الرواية ليس فيها شيء يدعونا إلى الاعتقاد بصحّتها؛ لأنها مبنيّة على رؤيا الإمبراطور التي لا تدلّ إلا على الأوهام والخرافات المسيطرة على أذهان الصينيين، وأن الرواية كانت في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولو حدث مثل ذلك في حياته لذُكر في السيرة النبوية وكتب التاريخ الإسلامي الموثوق بها.

- دخول الإسلام الصين في العام الثاني من حكم جينغ يون **Jing yon** في عهد دولة الأسرة الملكية تانغ عام ٧١٢م:

أشار إليه كتاب (قضايا الأمة الإسلامية)[٤]، فقال: في العام الثاني من حكم جينغ يون **Jing yon** اجتاح قائد جيوش الدولة الأموية قتيبة بن مسلم الباهليّ بجنوده حدود الصين الحقيقية: منطقة تسونغ لينغ[٥]، واستولى على ختن، واستعد للهجوم على مدينة كاشغر.

وكان الإمبراطور الصيني آنذاك روي تسونغ لا يريد الحرب، بل اختار الموادعة مع قتيبة ودفع الجزية للمسلمين، فأرسل قتيبة بن مسلم الباهلي عشرة من الدعاة وعالماً فلكياً إلى مدينة تشانغ آن عاصمة الصين حينذاك. وهذه هي بداية دخول الدعاة المسلمين الصين حسَب ما سجلته بعض الكتب التاريخية. وهذا القول مبني على أساس اجتياح قتيبة بن مسلم الباهليّ حدود الصين: منطقة تسونغ لينغ، واستعداده للهجوم على مدينة كاشغر. لكن الحقيقة أن قتيبة بن مسلم الباهلي لم يجتح بجنوده حدود الصين، بل توقّف عندها، ولم يَرِد في الكتب التاريخية الموثوقة أيّ ذكر عن إرسال الدعاة المسلمين وعالم فلكي إلى داخل الصين؛ مما يجعل المرء يشكّ في صحّة هذه الرواية.

- دخول الإسلام الصين في العام الثاني من حكم تشي ده **Zhi de** في عهد دولة الأسرة الملكية تانغ عام٧٥٧م:

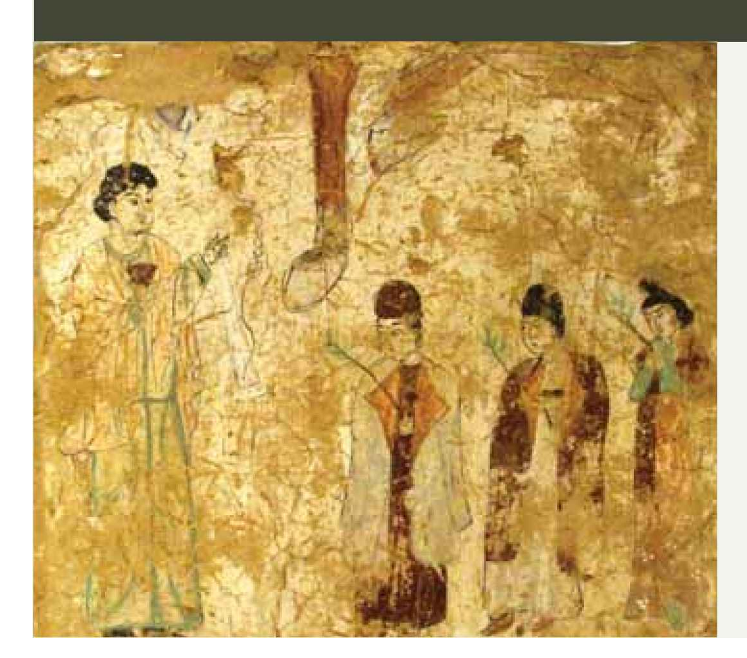
يرى أصحاب هذا الرأي أن زمن دخول الإسلام الصين هو عهد حكم الإمبراطورين التاسع والعاشر: سو تسونغ **Su zong**، وداي تسونغ **Dai zong** في دولة الأسرة الملكية تانغ بين عامي ٧٥٦ و٧٨٠م، وهذا القول أقرب إلى الحقيقة التاريخية[٦]، وهو ما نرجّحه؛ لأنه عندما ظهر تمرّد القائد الصيني آن لو شان **An lu shan** ضدّ الأسرة الملكية تانغ استنجد إمبراطور الصين بجنود المسلمين للقضاء على الثوار والمتمرّدين، فأرسل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من رجاله البواسل لمساعدة ملك الصين في قمع الثورة، واستقر بعض هؤلاء الجنود في الصين بعد إخماد نيران التمرّد، وتزوّجوا من صينيات، وتولّدت منهم طبقة خاصّة أصبحت هي نواة المسلمين في الصين. ويمكن لنا أن نجعل هذه الحقبة هي بداية وجود المسلمين الحقيقي في الصين، وكذلك بداية حقيقية لانتشار الإسلام فيها.

والمراد بدخول الإسلام الصين هو ابتداء اعتناق أهل الصين الدين الإسلامي داخل أراضي الصين، وهذا الأمر فعلاً حدث في عهد الإمبراطورين: سو تسونغ، وداي تسونغ. وإن لم يكن هناك بدّ من تحديد الزمن، فلا بأس أن نحدّده بالعام الثاني من حكم تشي ده **Zhi de** في عهد الإمبراطور سو تسونغ **Su zong** في دولة الأسرة الملكية تانغ عام ٧٥٧م[٧].

الإسلام في طيّات السجلات والوثائق التاريخية في عهد تانغ

لا شك أن الصينيين القدامى قد سمعوا كثيراً عن العرب قبل الإسلام بوساطة التجّار الذين كانون يتنقّلون بين المدن الصينية والمدن العربية آنذاك على طريق الحرير المشهور. وقد أثبتت السجلات التاريخية وجود تبادلات تجارية بين بلاد الصين والبلاد الواقعة وراء حدودها الغربية، بما فيها بلاد الفرس وبلاد العرب منذ وقت مبكر، وأن ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية قوةً صاعدةً تشتدّ شوكتها يوماً بعد يوم قد هزّ العالم آنذاك. وكما كانت الصين معروفة لدى العرب بصورة يشهد عليها القول المأثور (اطلبوا العلم ولو في الصين)، فكذلك كان

يرى بعض المؤرخين أن زمن دخول الإسلام الصين هو عهد حكم الإمبراطورين التاسع والعاشر: سو تسونغ، وداي تسونغ في دولة الأسرة الملكية تانغ بين عامي (٧٥٦ -٧٨٠م)

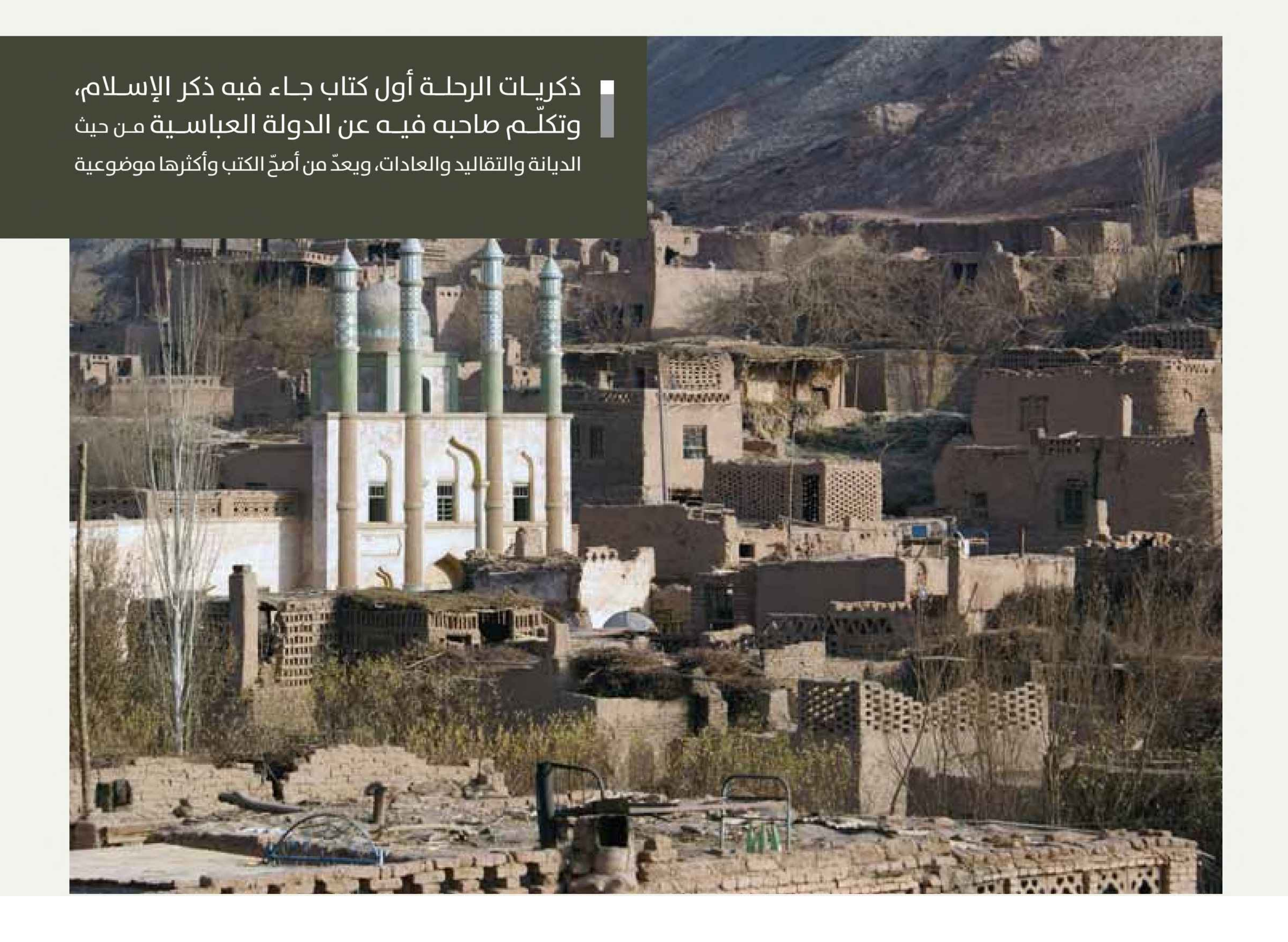


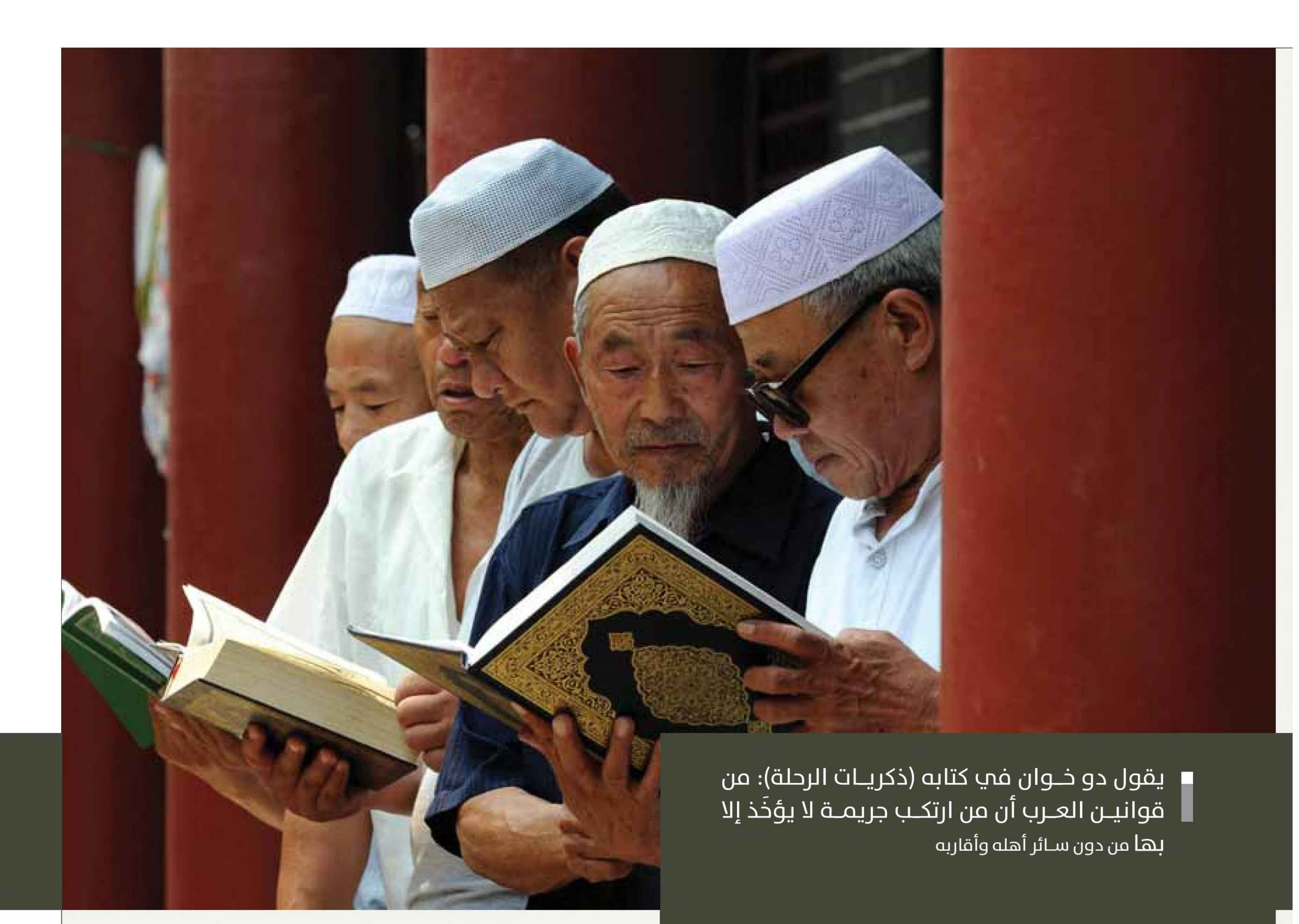
الصينيون على علم بالعرب، خصوصاً التغيرات التي ظهرت في بلاد العرب بعدما بزغ نور الهدى؛ لذلك نرى الكتب الصينية الوثائقية تكثر من ذكر الأحوال والتحوّلات التي وقعت في بلاد العرب، حتى قيل: إن جُلّ الأقوال في المؤلفات الصينية القديمة عن البلاد الأجنبية تمثّل ما قيل عن العرب وأحوالهم.

وكانت بلاد العرب في السجلات الصينية القديمة توصف بالبلاد الواقعة وراء حدود الصين الغربية، وأن المسلمين أو العرب في تلك السجلات العتيقة يُذكَرون باسم (داشي)، ولهذه الكلمة عدة تفسيرات؛ أقربها هو معنى التاجر في اللغة الصينية؛ لكون التجّار هم أول الوجوه المسلمة التي رآها أهل الصين؛ فقد اختلطت المهنة بالملّة كما ورد في وصف فهمي هويدي، وأطلق على كل مسلم اسم التاجر منذ تلك العصور المبكّرة، حتى أصبحت كلمة (داشي) لصيقة بالمسلمين فيما بعد. فالأمويون -مثلاً- يُذكَرون في السجلات الصينية باسم (باي يي دا شي)؛ أي: المسلمون أو العرب ذوو الملابس البيضاء، أما العباسيون فيطلق عليهم (خي يي دا شي)؛ أي: المسلمون ذوو الملابس السوداء؛ إشارةً إلى اللون الأسود الذي اتخذه العباسيون شعارهم[٨].

أقدم السجلات والوثائق في عهد تانغ التي تتحدث عن الإسلام والمسلمين هي كتاب (ذكريات الرحلة)، لكاتبه دو خوان Du Huan ، الذي كان من ضمن الصينيين الذين وقعوا أسرى في أيدى المسلمين العرب في معركة طلاس عام ٧٥١م، وهو أحد الكتّاب المرافقين الجنود الصينيين تحت قيادة قاوشيان جي Gao xianzhi، ونقل إلى سمرقند، ثم إلى العراق والشام، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، وأطلق سراحه فيما بعد، وسمح له بالعودة إلى بلاده عام ٧٦٢م، فعاد إلى الصين على السفن التجارية في العام نفسه، وألّف كتاباً سمّاه: ذكريات الرحلة[٩]، وهو أول كتاب جاء فيه ذكر الإسلام، وتكلّم صاحبه فيه عن الدولة العباسية من حيث الديانة والتقاليد والعادات، ويعدّ من أصحّ الكتب وأكثرها موضوعية من حيث ذكر أحوال الإسلام والمسلمين آنذاك؛ لكون صاحبه قد عاش عدة سنوات في بلاد المسلمين، ومع ذلك فقد وقع في أخطاء كثيرة تتعلق بوصف الإسلام والمسلمين، إضافة إلى فقدان أصل هذا الكتاب منذ وقت مبكر، لكن سُجّلت بعض موضوعاته الرئيسة في كتاب آخر، وهو كتاب (الكامل في الأنظمة والقوانين)، وكُتُب أخرى في العصور المتلاحقة[١٠]، وكثير منها يعكس الحقائق

ذكريـات الرحلـة أول كتاب جـاء فيه ذكر الإسـلام، وتكلـم صاحبه فيـه عن الدولة العباسـية مـن حيث الديانة والتقاليد والعادات، ويعدّ من أصحّ الكتب وأكثرها موضوعية





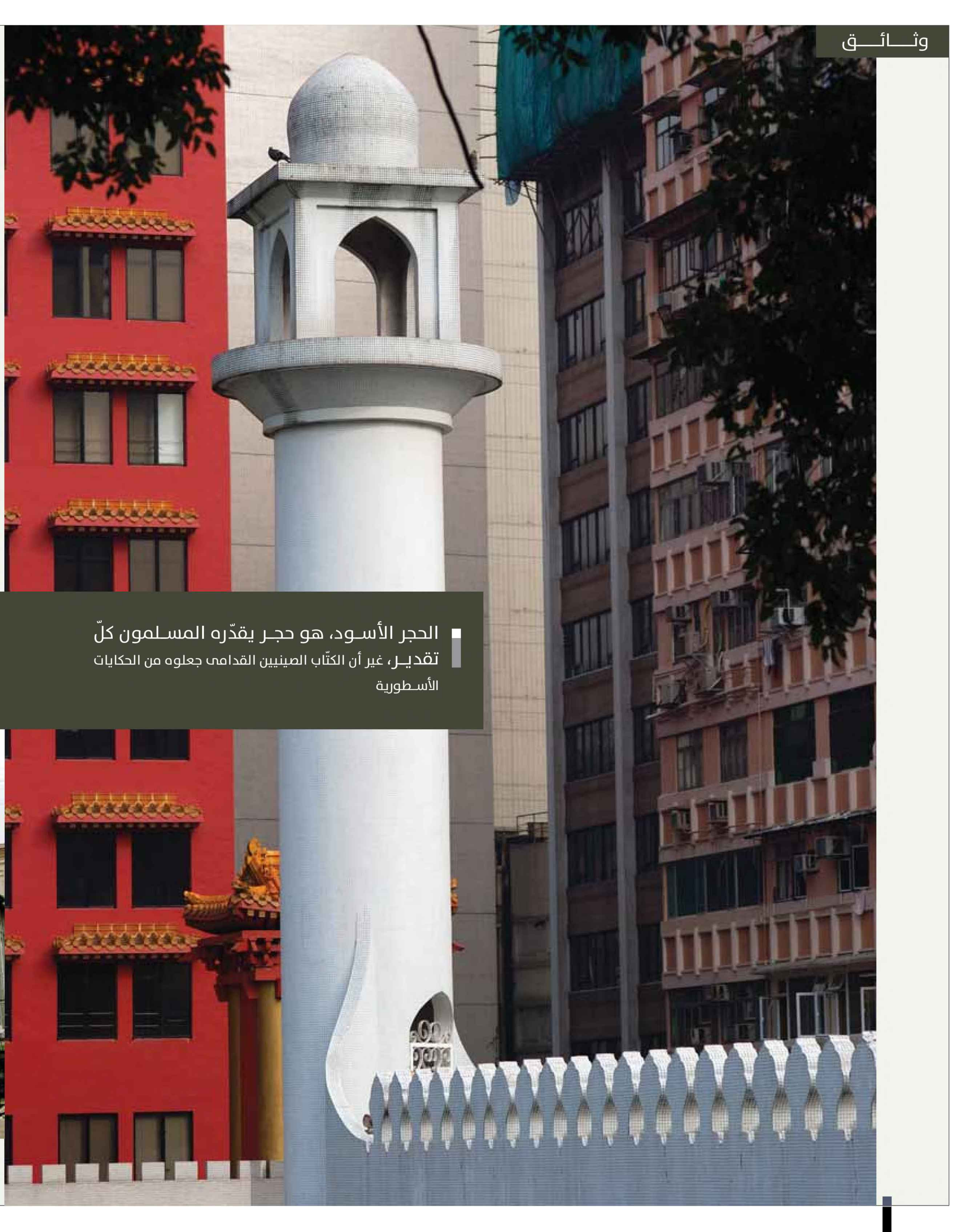
يقول دو خوان في كتابه (ذكريات الرحلة): من قوانين العرب أن من ارتكب جريمة لا يؤخَذ إلا بها من دون سائر أهله وأقاربه

الوجود الحقيقي للإسلام في الصين

يرى بعض النقاد والباحثين أن جعل إرسال البعثات والوفود العربية هو بداية دخول الإسلام الصين إنما هو عمل غير منطقي؛ لأنه من خلال الكتب التاريخية نرى أن أغلب الوفود والبعثات الوافدة إلى الصين هم التجّار، والمصالح التجارية هي المحطّ الأول، وأن هذه الوفود والبعثات تختلف تماماً عن الوفود والبعثات التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته إلى ملوك وأمراء البلدان المجاورة لدعوتهم إلى الإسلام؛ لذا لا يمكن جعل مجرّد بداية وصول الوفود والبعثات العربية إلى الصين وجوداً حقيقياً للإسلام في الصين.

التاريخية، لكنها قد تتجاوز في بعض موضوعاتها فتصلّ حداً يشوّه صورة الإسلام الحقيقية.

يقول دو خوان Du Huan في (ذكريات الرحلة): من قوانين العرب أن من ارتكب جريمة لا يؤخَذ إلا بها من دون سائر أهله وأقاربه[11]، ولا يأكلون لحوم الخنزير والكلاب والحمير والحصان، ولا يعبدون إلا الله، ولا يركعون للملِك ولا للأبوين، وإن كانوا ينالون كل تقدير واحترام، ولا يؤمنون بالشياطين والجانّ، ويعبدون السماء فقط. ومن عاداتهم عطلة يوم واحد في كل سبعة أيام، وفي يوم العطلة لا يبيعون، ولا يبتاعون، ولا يشربون الخمر، بل يمرحون ويلهون طوال اليوم[12]، ويلقّب رئيس العرب بلقب أمير المؤمنين، ومدينة الكوفة هي عاصمتهم. والعرب رجالاً ونساء يتمتّعون بطول القامة، وقوّة البنية، ويهتمّون بحسن الهيئة والطلعة ونظافة الملابس. وإذا أرادت المرأة العربية أن تخرج من بيتها فيجب عليها أن تتحجّب وتستر وجهها، ويصلّون في خمسة أوقات في اليوم والليلة، يستوي في ذلك الملوك



■ الحجر الأسـود، هو حجـر يقدّره المسـلمون كلّ تقديـر، غير أن الكتّاب الصينيين القدامى جعلوه من الحكايات الأسـطورية

والعبيد، ويصومون (نهار شهر رمضان)، ولا يمتنعون من أكل اللحوم عند الإفطار، ويذبحون الأضحية تقرباً بها. ويلبسون الأحزمة المزخرفة الفضّية، ويقلّدون السيوف، ويمتنعون عن شرب الخمر، وينهون عن الموسيقا، وإذا تجادلوا لا يتقاتلون، ولهم مسجد يسع عشرات الألوف، وفي كل سبعة أيام يوم يخرج فيه رئيسهم إليه ليصلي بهم، ويصعد إلى المكان المرتفع، ويبيّن للناس الطريقة، فيقول: إن الحياة الإنسانية صعبة جداً، وطريق الاستقامة ليس سهلاً، والزنا جريمة، ولا ذنب أكبر من السرقة، وإن النهب والتكبّر والظلم والغشّ -وإن كان في أتفه صورة- وجلب النفع للنفس على حساب الآخرين، والتذمّر من الضعفاء، والإساءة إلى الفقراء؛ كلّ ذلك من الجرائم المنكرة لا جريمة بعدها، من ارتكب واحدة منها فقد احتمل إثماً كبيراً. ومن تقدّم إلى ميدان المعركة فقتله العدوّ فإنه يصعد إلى السماء (أي: يدخل الجنة)، وإن قتال الأعداء يجلب ثواباً لا يعدّ ولا يحصى. ويدعو إلى التيسير والتبسيط في تجهيز الأموات، ومن طقوسهم -أيضاً- أنهم يعبدون السماء، ولا يأكلون لحم الميتة، ولا اللحوم التي مضى عليها أيام بعد الذبح[١٣].

ووصف خوي تشاو Dui chao في كتابه (الرحلة إلى الدول الخمس الهندية)، الذي ألّفه أواخر عهد حكم كاي يوان من أسرة تانغ بين عامي

الحقائق التاريخية لا تُبنى على الحكايات والأساطير؛ لـذا لا بـد من عرض سـيرة رسـولنا الصحيحة بشـكل سـليم وموثوق بشـتى اللغات الحيّة



٧٢٣ و٧٤٢م: إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان من رعاة الإبل لملك الفرس، ثم تمرّد عليه، وقتله ونصّب نفسه ملكاً[١٤]. ويقول أيضاً: إن أهل بلاد العرب يحبّون القتل وسفك الدماء، ويؤمنون بالسماء ولا يعرفون شرائع بوذا، ويقولون: من أكل مما ذبحته يداه تحصل له بركة لا تعدّ ولا تحصى، وإن أهل بلاد العرب يذبحون الأضحية، ويتقرّبون بها إلى السماء، وليس في قوانينهم قانون الركوع والسجود[١٥].

ويقول دو يو Du you في كتابه (الكامل في الأنظمة والقوانين)، الذي ألّفه في عهد جين يوان Zhen yuan من أسرة تانغ بين عامي ٧٨٥ و٨٠٥م، الذي خصّص فيه باباً للعرب: إن العرب أرسلوا وفودهم إلى الصين في أواسط عهد يونغ خوي Yong hui من أسرة تانغ بين عامي ٦٥٠ و٦٥٦م، وإن بلادهم تقع غرب بلاد الفرس، وأنه كان في بداية الأمر رجل ينتمي إلى الأقلية في بلاد الفرس (يعني به محمداً صلى الله عليه وسلم)، ساعدته العناية الإلهية، فقتل الناس، وأخضع القبائل المجاورة، فوقعت تحت سيطرته، وأخذت القبائل الأخرى ترسل إليه وفودها التي بلغت أحد عشر وفداً للإقرار برسالته[١٦].

ويقول الكاتب جيادان Jia dan في كتابه (أخبار البلدان المجاورة) الذي ألّفه في عهد جين يوان Zhen yuan من أسرة تانغ بين عامي ٧٨٥ و٨٠٥م: في أواسط عهد كاي يوان في الأسرة الملكية صوي، كان من القبائل العربية قبيلة قريش، وهي أعظم القبائل، وهي تتفرع إلى بني هاشم وبني أمية، ومن بني هاشم وُلد محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو رجل مقدام حكيم، اتخذه الناس رئيساً لهم[١٧].

ويروى في كتاب تانغ القديم أن بلاد العرب تقع غرب الفرس، وفي أواسط عهد دا يه Da ye من الأسرة الملكية صوي، بين عامي ٦٠٥ و٦١٧م ظهر رجل -يعني به محمداً صلى الله عليه وسلم- من الأقلّيّات الأجنبية في بلاد الفرس، يرعى الإبل على جبل المدينة -يعني المدينة المنورة- فإذا أسد يتكلم، ويقول له: إن في غرب هذا الجبل ثلاثة كهوف، تحتوى أنواعاً من الأسلحة، باستطاعتك أن تأخذها، وحجراً أسود مكتوباً عليه كلمات، من قرأها يستولي على عرش الملك. فذهب الرجل حسَب ما أشار إليه الأسد، فوجد في الكهوف حجراً وأسلحة كثيرة، وعلى الحجر كلمات مكتوبة تحرّضه على التمرّد، فجمع الرجل بعض الناس حوله من الذين لا يهابون الموت، وعبروا نهر خنغ خه، وبدؤوا يسلبون التجار، فارتفع شأنهم يوماً بعد يوم، واحتلّوا المناطق الغربية وراء الفرس، ونصّب الرجل نفسه رئيساً[١٨].

ويروى فيه أن بلاد (داشي)؛ أي: العرب، بغرب الفرس، منهم قبيلة قريش، وأن السيادة في أيديهم، وقد تفرّع من قريش بطنان: بنو هاشم، وبنو أمية، ومن بني هاشم ولد محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان شجاعاً ذا علم واسع، فانتخب ملكاً عليهم، وقد قاتل من خالفه حتى كانت الغلبة له[١٩].

وفي كتاب تانغ الجديد، يقول: إن بلاد العرب تشمل الأرض التي كان قسم منها تحت حكم الفرس، وإن لرجالها أنوفاً شامخة، ولحى سوداً، ويحملون السيوف برباط الفضّة، ولا يشربون الخمر، ولا يعزفون

الموسيقا، ونساءهم بيض يتقنّعن عندما يخرجن من البيوت. وفي بلاد العرب بيت عظيم للعبادة، فيه يخطب ملكهم مرة كل أسبوع قائلاً: إن الذين يقاتِلون في سبيل الله ويقتَلون على أيدي الأعداء يُرفَعون إلى الجنة، ومن كانت له الغلبة على أعدائه يكون سعيداً؛ لذا العرب كلهم محاربون مقاتِلون شجعان، ويصلّون خمس مرات كل يوم. وأما أرض بلادهم فكثيرة الحجارة، غير ملائمة للزراعة، فالسكان يشتغلون بالصيد والقنص والرعي، ويعيشون على أكل اللحوم وشرب الألبان، وعندهم جواد يقطع ٤٠٠ ميل في يوم واحد، وعندهم الإبل أيضاً[٢٠].

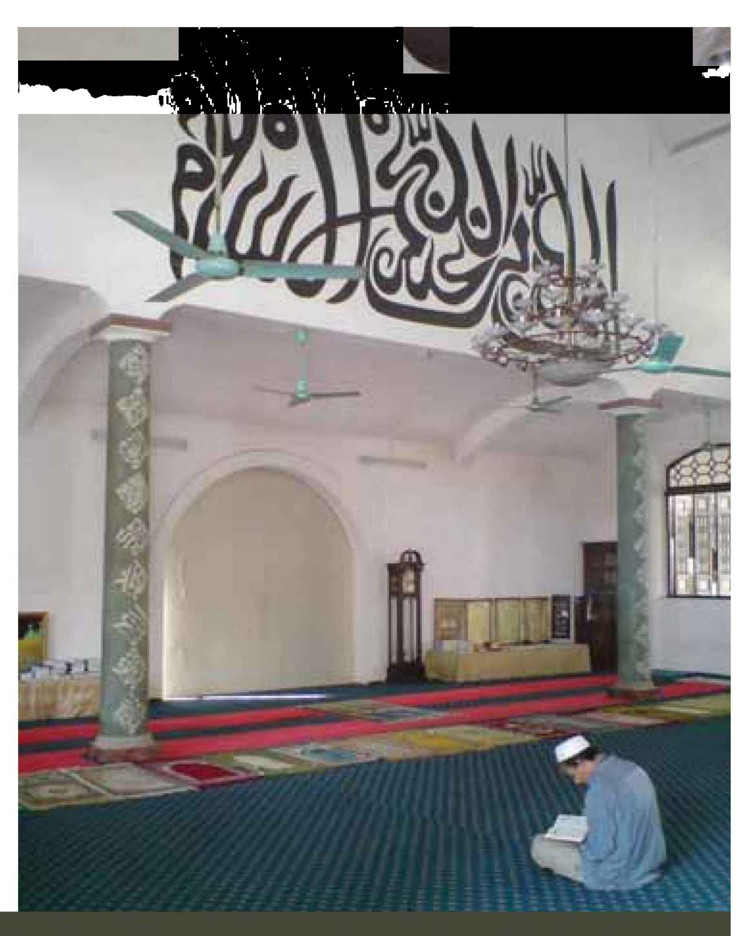
يتضح لنا مما سبق أن كلاً من الكاتبين: خوي تشاو، ودو يو، قد جعل محمداً (صلى الله عليه وسلم) من الأقلّيات الأجنبية في بلاد الفرس، ومن رعاة الإبل لملك الفرس، ووصفا أعماله التي قام بها في سبيل نشر العقيدة والدعوة إلى الله بالتمرّد وقتل الناس وحبّ سفك الدماء؛ كي يتمكن من الاستيلاء على عرش الملك كما يفعل الصعاليك. ولعلّهم أخذوا هذه المعاني من المصادر التي وصلت إليهم، وهي في الوقت نفسه غير صحيحة. والأغرب من ذلك ما فعله في كتاب تانغ الجديد (جزء العرب)، من أنه قَلَب بعض الأمور -التي كانت في كتاب تانغ القديم وغيره- رأساً على عقب، وبدأ يسرد الحديث عن طقوس العرب الدينية وعاداتهم؛ مثل الصلوات الخمس في اليوم والليلة، والجمعة في كل سبعة أيام، وغيرها، ثم يروي أخبار استيلاء محمد صلى الله عليه وسلم على عرش الملك وفتوحاته، كأنه لا صلة بين دين العرب ومحمد صلى الله عليه وسلم نفسه[٢١]، وكأن تلك الشرائع والطقوس كانت موجودة في السابق قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل بعض الكتّاب محمداً صلى الله عليه وسلم من الفرس، وجعلوا أعماله الدعوية وغزواته للدفاع عن الإسلام ونشر عقيدته حرباً ومنازعات من أجل الاستيلاء على السلطة والملك، ووصفوا الدين الإسلامي وشرائعه السمحة بأنه طريقة العرب[٢٢].

ويقول دو يو Du you في كتابه (الكامل في الأنظمة والقوانين)، الجزء المئة والثلاثين: وهم (العرب) يخلصون العبادة للسماء بكلّ إخلاص وتقدير... ومن أخلاقهم أنهم يقاتلون بشجاعة، ويفعلون الخير لإله السماء. وفي أوائل عهد كاي يوان جاء وفد من العرب يقول: إن أهل بلادهم لا يعبدون إلا إله السماء، حتى إنهم لا يؤدّون تحية الركوع أمام الملوك.

ويروى في الجزء المئة من كتاب (مجموعة من الأنظمة الاقتصادية والسياسية في عهد تانغ)[٢٣] أن العرب يعبدون إله السماء، ويمرحون بشرب الخمر، ولهم مسجد يسع مئات الناس، وفي كل سبعة أيام يجلس رئيسهم على المكان المرتفع، ويبيّن لهم الطريقة والقوانين، ويقول: من قتله العدوُّ في المعركة يصعد إلى السماء (يدخل الجنة)، وإن قتال الأعداء يجلب ثواباً؛ لذا يقاتلون بشجاعة، وأغلب أراضيهم صحراوية لا تصلح للزراعة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ولا يأكلون إلا لحوم الإبل والحصان.

مغالطات الوثائق التاريخية

نحن نرى تلك السجلات والوثائق التاريخية قد تناولت أغراضاً كثيرة؛



يقـول الكاتـب جيـادان في كتابـه (أخبـار البلدان المجـاورة): وُلـد محمـد صلى الله عليه وسـلم فـي قبيلة قريش، وهو رجل مقدام حكيم، اتخذه الناس رئيساً لهم

مثل: أركان الإسلام من إيمان بالله وصيام وصلاة، والأضحية، وغيرها، لكن هناك أغلاطاً فادحة؛ فقد خلط الكتّاب كلهم بين المصطلحات الإسلامية الخاصّة والمصطلحات الشائعة عند الصينيين البوذيين الوثنيين، فوصفوا الإله الحقّ الواجب الوجود بألفاظ مثل: السماء، أو إله السماء، كما هو المتعارف عليه لدى الكفار الصينيين القدامى، لكن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. كما تناولت تلك الكتب الطقوس الدينية عند المسلمين العرب، ويوافق وصفهم جانباً من الصورة الواقعية من حياة المسلمين[٢٤]، ومن ذلك:

- التحريض على الجهاد، نحو قولهم: من قتله العدوُّ في المعركة فإنه يصعد إلى السماء (أي: يدخل الجنة)، وإن قتال الأعداء يجلب ثواباً لا يعدّ ولا يحصى.
- المحرمات والمنهيات من الأطعمة والأشربة، نحو قولهم: من أكل مما ذبحته يداه تحصل له بركة لا تعدّ ولا تحصى، ولا يأكلون لحوم

الخنزير والكلاب والحمير والحصان، ولا يأكلون لحوم الميتة، ولا اللحوم التي مضى عليها أيام بعد الذبح، ولا يشربون الخمر.

- تجهيز الجنازة والأموات، نحو قولهم: إذا مات رجل فإنه يجهّز بأسرع ما يمكن، ويكفّن في الأثواب البيضاء، ولا يجعل له تابوت، ويدفن في التراب. وقديماً قيل: تجهيز الأموات يتطلب التيسير والتبسيط.
- الأخلاقيات، نحو قولهم: إذا أرادت المرأة منهم أن تخرج من بيتها، يجب عليها أن تتحجّب وتستر وجهها.
- الحجر الأسود، وهو حجر يقدّره المسلمون كلّ تقدير، غير أن الكتّاب الصينيين القدامى جعلوه من الحكايات الأسطورية، نحو قولهم: إن في غرب هذا الجبل (جبل المدينة المنورة) ثلاثة كهوف، وفيها أنواعاً من الأسلحة، باستطاعتك أن تأخذها، كما أن فيها حجراً أسود مكتوباً عليه كلمات، من قرأها يجلس على عرش الملك، ثم نقل الملك الحجر الأسود من الكهوف إلى قصره[٢٥]، وعلى الحجر كلمات مكتوبة تحرّضه على التمرد، وغير ذلك.



البعد الثقافي للروايات الصينية



مع أن هذه الروايات وغيرها لا تكتسي قيمة تاريخية كبرى عند المؤرخين المهتمّين بدراسة تاريخ الإسلام في الصين، فإنها تتضمن بُعداً ثقافياً مهماً ينمّ على حسن نية الثقافة الصينية بالإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعراقة العلاقات الصينية العربية، ووجود الرابطة الدبلوماسية القوية بين الصين والبلاد العربية؛ إذ كثرت الوفود العربية إلى الصين، فبلغت أربعة وثلاثين وفداً في مدة قرن ونصف القرن حسب ما سجّل في كتب الصين القديمة. وهذه حقيقة يلمسها كلّ قارئ في التاريخ الصيني القديم والثقافة الصينية التقليدية، خصوصاً تلك القصيدة الملكية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، إن صحّت نسبتها إلى الإمبراطور الأول من أسرة مينغ الملكية. وهذا الأمر إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على رفعة الإسلام ومكانة المسلمين لدى الصينيين آنذاك، وهو تقدير عالٍ للإسلام ولرسوله، وإرضاء للشعور العاطفي لدى المسلمين الصينيين؛ لأن ذلك العصر عامةً هو العصر الذي ازدهر فيه الإسلام في الصين، فظهر أثر هذا الازدهار في نواحٍ شتّى؛ في العلم، والفن، والصناعة، والسياسة الخارجية، والعلاقات الدبلوماسية مع الدول الإسلامية؛ لأن علاقة الأسرة مينغ بالدول الإسلامية قد اتّسعت إلى حدّ لم يبلغه أي عصر من العصور السابقة، وقد قام المسلمون بدور كبير في ذلك.

يروى في كتاب تانغ القديم أن بلاد العرب تقع غرب الفرس، وفي أواسط عهد دا يه بين عامي (٦٠٥-٦١٧م) ظهر محمد صلى الله عليه وسلم- من الأقلّيّات الأجنبية في بلاد الفرس

ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الوثائق الصينية

وردت حكايات صينية كثيرة عن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب الصينية القديمة، نذكر بعضاً منها على سبيل التمثيل بغضّ النظر عن تصحيحها وتوثيقها؛ إذ الغرض من ذلك معرفة مدى تأثير الإسلام في الأمم الأخرى. وإليكم ما سرده محمد مكين ناقلاً ما ورد عن ذكر النبي الكريم في بعض الوثائق الصينية: كانت عند مسلمي الصين رواية مشهورة مضمونها أن ملك الصين الملك الثاني من ملوك أسرة تانغ **Tang** الملقّب بتاي تسونغ **Tai zong** رأى في منامه حيواناً مفترساً يهاجمه، وبينما هو لا يستطيع التخلّص منه إذا برجل وقور، يرتدي طيلساناً، ويلبس عمامة بيضاء، وبيده سبحة، أخذ يدافع عنه. فأصبح الملك وجمع وزراءه وأمراءه وحواشيه جميعهم، وقصّ عليهم رؤياه، وطلب منهم تعبيرها. فقال قائل منهم: إن الحيوان المفترس يرمز إلى ثائر سيثور في البلاد، والرجل الوقور هو نبيّ من الأنبياء قد وُلد في جزيرة العرب. وتعبير الرؤيا أن بلاد الصين لا

يدوم أمنها وصلاحها من دون بركة هذا النبي الكريم. فأوفد الملك وفداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليطلب منه أن يبعث بعثة لنشر الإسلام في الصين، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم إلى طلبه، وبعث مع الوفد ثلاثة من صحابته الأفاضل، توفي اثنان منهم في الطريق بسبب متاعب السفر، وعندما الْتقى ثالثهم ملك الصين أكرمه وأحسن ضيافته، وبنى له مسجداً في العاصمة لنشر الإسلام، فهو نواة الإسلام في مواطن بني الجنس الأصفر. ووفق هذه الرواية، فقد ظهر الإسلام في الصين في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الملك تاي تسونغ استولى على عرش الصين من عام ٦٢٧م إلى عام ٦٤٤م، لكن المؤرخين الثقات لا يقيمون وزناً لهذه الرواية[٢٦].

وورد في بعض الكتب التاريخية الصينية أن ملك الصين الملك الأول من ملوك أسرة صي الملقب ون تي Wen Ti رأى في ليلة من الليالي نجماً زاهراً، فأمر رئيس الكهنة أن يتكهّن له، فوجد ذلك دليلاً على ظهور رجل عظيم الشأن في بلاد العرب، فبعث الملك رسولاً لهذا الأمر، ووصل رسوله بعد سنة كاملة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب منه أن يسافر بنفسه إلى الصين، فاعتذر إليه، وبعث معه أربعة من صحابته؛ منهم خاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان ذلك في عام ٥٨٧م(٢٧). وروي أن رسول الملك صوّر صورة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سراً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم رفض طلبه، ولما رأى الملك صورته عليه السلام سُرّ بها كثيراً، وعلّقها على حائط بلاده ليسجد له، فمنعه سعد بن أبي وقاص، فسأله عن سبب المنع، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمنعنا عبادة الصور والتماثيل، وأنه لا عبادة إلا لله الواحد القهّار، فأعجب الملك بهذا المبدأ النزيه. ويروى أن سعد بن أبي وقاص كان قد اعتذر إلى الملك بهذا الكلام نفسه؛ إذ امتنع عن السجود له، فعذره وأمر ببناء جامع في كانتون: مدينة قوانغتشو حالياً؛ ليسكن في أروقته، وسمّاه جامع الشوق إلى النبي، وهو قائم موجود إلى الآن[٢٨]. وكذلك في كانتون ضريح يسمى روضة سعد بن أبي وقاص، صار مزاراً مشهوراً تشدّ الرحال إليه.

وواضح أن هذه الرواية واهية وباطلة من غير شكّ؛ لبنائها على رؤيا هي بمنزلة الخرافة التي لا يقوم عليها علم يقينيّ، وأن العام الذي وقع فيه هذا الحادث هو عام ٥٨٧م، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لَمّا يُكلَّف بالرسالة بعد، ثم إذا كان المراد بسعد بن أبي وقاص ذاك الصحابي الجليل المشهور فاتح القادسية فذلك لا يتّفق مع الحقائق التاريخية؛ لأن الثابت في المصادر العربية أن سعد بن أبي وقاص لم يذهب إلى الصين قطّ، وأنه مات بالعقيق على مسافة عشرة أميال من المدينة المنورة سنة ٥٤هـ. إذاً، من هو هذا الشخص الملقّب بسعد بن أبي وقاص خال النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا نجد له جواباً إلى اليوم[٢٩].

وهناك مقطع باللغة العربية يحمل اسم بياض اللون، وهو مقطع شائع جداً بين عوامّ الناس من المسلمين الصينيين، ويعدّون هذا المقطع شيئاً مقدّساً في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حتى يجعله بعض الجهّال بمنزلة الرقية والتميمة، ويكتبونه بالخط الجميل فيعلّقونه في البيوت، وهو في الحقيقة وصف لبعض الصفات الخَلْقية للنبي صلى الله عليه وسلم، والمقطع هو: شمائل النبي عليه السلام بياض اللون، أزج، أشهل، أقنى الأنف، مجتمع اللحية، أملح، تامّ القدّ، رقيق الأنامل، شعره كالخط من الصدر إلى السرّة، طويل اليدين والأذنين. ولم نجد أصلاً لهذا المقطع.

ومن أروع ما ورد عن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الصينية القديمة ما نُسب إلى الملك الأول من ملوك أسرة مينغ، الملقّب بتاي تسونغ عام ١٣٢٨م، من قصيدة مكوّنة من مئة كلمة في مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى الحرفيّ هو: وُلد في جزيرة العرب النبي الأعظم، الذي كتب اسمه في اللوح المحفوظ، وتلقّى من الملِك العليّ كتاباً منقسماً إلى ثلاثين جزءاً، وبُعِثَ رحمةً للعالمين، فكان ملِكاً مربّياً للخَلْق كافّة، وسيّداً كريماً للرسل والأنبياء أجمعين، وكاشفاً الفيض الأقدس، وحامياً الرعية، ويصلي كل يوم خمس مرات داعياً للعالم بالأمن والسلام، ويخاف من الملِك الحقّ، ويشفق على الفقراء والمساكين، ويعين على الشدائد، ويعلم أسرار الدنيا والآخرة، ويشفع للأرواح، وينقذها من النار، فقد غمر العالَمين بفضله، وبهر المتقدمين والمتأخرين بسُنَّته، وجمع الأديان فهذّبها، حتى صار ديناً طاهراً حقاً، وإن محمداً لأفضل الأنبياء[٣٠].

هذا المقطع المكوّن من مئة حرف صيني منسوب إلى الملك الأول من أسرة مينغ الملكية تشو يوانتشانغ، الذي حكم الصين من عام ١٣٦٨م إلى عام ١٣٩٩م، على الرغم من التشكّك في صحة نسبته إليه في الأوساط الأكاديمية. وكان هذا المقطع منقوشاً على النصب الحجرية التذكارية لبناء مسجد جينغ جيوه بعاصمة الصين آنذاك مدينة نانجينغ عام ١٣٨٨م، وقد سجّله العلّامة الصيني المشهور الشيخ محمد عزيز ليو تشي، المتوفى عام ١٧٦٤م، في كتابه (سيرة خاتم النبيين)، وهو أول كتاب تسجّل فيه حياة النبي عليه الصلاة والسلام باللغة الصينية الكلاسيكية، وبطريقة منهجية، كما وضح ذلك في كلمة التقديم للكتاب.

الخاتمة

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم البشر وأكمل إنسان على الإطلاق، ويقرّ بذلك المنصفون في مشارق الأرض ومغاربها، ولا ينكر أفضليته وعظمته إلا الحاسدون الحاقدون، ولم يخلُ زمان من كلا الفريقين، فيظهر بين حين وآخر تشويه متعمّد لصورة الإسلام ورسوله في مختلف الوسائل؛ في الكتب، والروايات، والقصص، والتمثيليات، والصور الكاريكاتيرية؛ للنيل من الإسلام ورسوله الكريم؛ حتى إننا نجد من بين المسلمين أنفسهم من هو الجافي والغالي في حقّ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومن خلال هذا العرض السريع يتضح لنا حقيقة ثابتة هي أن الحقائق التاريخية لا تُبنى على الحكايات والأساطير؛ لذا نصل إلى نتيجة مهمة، وهي ضرورة عرض سيرة رسولنا الصحيحة بشكل سليم وموثوق بشتى اللغات الحيّة، وأفضل طريق هو ترجمة الكتب العربية الأصيلة في هذا الصدد ونشرها؛ فمحمد



هو الإنسان الذي يفرح ويحزن كما يفرح ويحزن سائر البشر، وهو الذي يحرص كل مسلم على أن يكون ظله في الأرض، فيتحلّى بخُلُقه ويهتدي بهديه. ومحمد هو الرسول الذي تلقّى الوحي، وتنزّل عليه الهدى؛ فهو مثال يحتذى به. ومحمد هو الرجل الكامل من حيث الوفاء، والأمانة، والحياء، والإخلاص، والصدق، والعفاف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق. ومحمد هو المعلّم الكبير، الذي كانت حياته كلها إرشاداً وهدايةً وتعليماً وتربيةً؛ لذا فالمسلمون مطالَبون بتعريف شعوب العالم برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وما قدّمه من خير للبشرية؛ كي يتغيّر مسار العالم به في المجالات الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويتحقّق ذلك من خلال دراسة سُنّته من أقوال وأفعال ومواقف، ودراسة سيرته العطرة؛ فهي الطريقة المثلى للتعريف بنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أننا مطالبون بالتحلّي بأخلاق النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، وأن نكون خير نموذج لمبادئه وأخلاقه، بعيدين من أي قول أو فعل أو سلوك يسيء إليه أو يشوّه صورته؛ كي يُعرَض الإسلام في صورته الحقيقية السمحة.

الهوامش والمراجع

(١) محمد أعظم الخالدين، أنيس منصور، ص٧، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.
(٢) كتاب تانغ القديم، جزء تاريخ الإمبراطور الثاني قاو تسونغ من الأسرة الملكية تانغ، امتد حكمه ٣٤ عاماً، (٦٥٠ -٦٨٤م).
(٣) الأخبار الجامعة تاي بينغ، كتاب ضخم، ألفه السيد الأديب لي فانغ (٩٢٥-٩٩٦م) وغيره في عهد حكم تاي بينغ شينغ قوه من الأسرة الملكية سونغ ما بين عامي ٩٧٦- ٩٨٤م؛ لذلك سمي به. والكتاب يقع في ٥٠٠ جزء، وله فهرس مستقلّ عنه يقع في عشرة أجزاء، جمع فيه من عيون الأخبار في شتى الموضوعات ما يزيد على ٤٧٥ موضعاً في أغراض مختلفة.
(٤) كتاب (قضايا الأمة الإسلامية)، اسم الكتاب القديم: قضايا القومية هوي هوي، ص٥٤، دار النشر القومية، طبعة عام ١٩٨٢م.
(٥) تسونغ لينغ **Ling Cong**: تطلق هذه الكلمة على المناطق الغربية وراء السلسلة الجبلية التي تشمل هضبة البامير وجبال كون لون وكراكروم، وهي الحدود الغربية للصين في عهد أسرة تانغ، وأقيمت بها ولاية تحكم على الدويلات التابعة للصين في تلك المناطق.
(٦) كتاب تاريخ الأسرة الملكية مينغ.
(٧) تاريخ تطور العلوم والتكنولوجيا في الصين، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص٤٧٩.
(٨) الإسلام في الصين، فهمي هويدي، ص٢٩، عالم المعرفة، ١٩٩٨م.
(٩) دو خوان **du huan**: أحد الكتاب في عهد الأسرة الملكية تانغ، وكان يرافق القائد قاو شيان جي في رحلته العسكرية نحو الغرب، وأسره العرب في معركة طلاس عام ٧٥١م، وأقام بالبلاد العربية أكثر من عشر سنين، وعاد إلى الصين على السفن التجارية عام ٧٦٢م. ألّف كتاباً سماه: ذكريات الرحلة، سجّل فيه ما شاهده طوال سنوات تلك الرحلة، ومن الأسف الشديد أن أصل هذا الكتاب أصبح مفقوداً منذ وقت مبكر، ونقل أكثر موضوعاته في كتاب: (الكامل في الأنظمة والقوانين)؛ لكاتبه دو يو **du you**.
(١٠) الخمس من الرحلات القديمة لكاتبه وانغ قوه وي.
(١١) يختلف ما قرره الإسلام الحنيف من عدالة القانون الجنائي عن قوانين القضاء الجنائي الصيني في عصورها الإقطاعية، فإذا ارتكب شخص جريمة يستحق العقاب الشديد عليها فإنه يؤخذ بالمجرم نفسه وبمن كان من أهله وعشيرته الأقربين، فتقع العقوبة عليهم جميعاً، خصوصاً إذا كانت الجريمة تستوجب قطع عنق المجرم.
(١٢) شرح ذكريات الرحلة، تشانغ يي تشون، ص٢٣، دار الكتب الصينية، ٢٠٠٠م.
(١٣) شرح كتاب ذكريات الرحلة، تشانغ يي تشون، ص٥٢.
(١٤) شرح كتاب الرحلة إلى الدول الخمس الهندية، تشانغ يي، ص١٠١، دار الكتب الصينية، ٢٠٠٢م.
(١٥) المصدر السابق ص١٠١. لكن يوجد الركوع والسجود في أثناء الصلاة عند المسلمين، وقد أراد خوي تشاو بقوله هذا ما كان عند الصينيين القدامى من أنهم يؤدّون تحية الركوع والسجود أمام ملوكهم، وأن الركوع والسجود على هذه الشاكلة لم يكن معروفاً لدى المسلمين العرب.
(١٦) الكامل في الأنظمة والقوانين، ج١٣٩، بلاد العرب.
(١٧) مجموعة من الأنظمة الاقتصادية والسياسية في عهد تانغ، ج١٠٠.
(١٨) كتاب تانغ القديم، جزء بلاد وراء حدود الصين الغربية.
(١٩) المصدر السابق.
(٢٠) النص المترجم منقول من كتاب العلاقات بين العرب والصين، بدر الدين حي الصيني، ص١٤٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠م.
(٢١) تاريخ المسلمين في الصين، لي شينغ هوا وغيره، ص١٨، دار النشر والتوزيع لأكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية، بكين ١٩٩٨م.
(٢٢) تاريخ الإسلام في الصين، ص٢٠.
(٢٣) مجموعة من الأنظمة الاقتصادية والسياسية في عهد تانغ، ألفه وانغ بوه في عهد أسرة سونغ، ويقع الكتاب في مئة جزء، سجّل فيها تاريخ تطور الأنظمة والقوانين في عهد تانغ، وهو يماثل كتاب: الكامل في الأنظمة والقوانين.
(٢٤) تاريخ الإسلام في الصين، ص٢٤.
(٢٥) كتاب تانغ القديم، جزء جنود بلاد وراء حدود الصين الغربية.
(٢٦) نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، محمد مكين، ص٦، المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة.
(٢٧) هذه الرواية واهية ومختلقة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرّفه الله بالنبوة إلا بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة.
(٢٨) نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، محمد مكين، ص٨.
(٢٩) كتاب العلاقات بين العرب والصين، بدر الدين حي الصيني، ص١٥٥، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.
(٣٠) سيرة خاتم النبيين، محمد عزيز ليو تشي، ص٣٥٨، مطبوعات الجمعية الإسلامية الصينية، ١٩٨٤م.

سيمون بوليفار أحد أبرز الشخصيات التي كان لها دور كبير ومؤثِّر في تحرير كثير من دول أمريكا اللاتينية التي كانت تحت الحكم الإسبانيّ منذ القرن السادس عشر؛ مثل: كولومبيا، وفنزويلا، والإكوادور، وبيرو، وبوليفيا، وبنما. لُقِّب بوليفار بجورج واشنطن أمريكا اللاتينية؛ لدوره المهمّ في التحرير والاستقلال. ولد في كراكاس عاصمة فنزويلا في الرابع والعشرين من يوليو ١٧٨٣م، وهو ينحدر من أصول باسكية. تأثَّر في أثناء دراسته بالفلسفة، وأعجب بفكر جان جاك روسو، الذي تأثَّر به تأثُّراً عميقاً.

سيمون بوليفار..

ثورته مستمرة



جدار يحمل صورة سيمون بوليفار في فنزويلا

الفكر والثورة

سافر بوليفار في مطلع شبابه إلى فرنسا، والتقى العالم الألمانيَّ ألكسندر فون هومبولت، الذي أعرب عن اعتقاده أن المستعمرات الإسبانية على أُهْبة الاستعداد للتحرّر، فوجدت الفكرة صدى في نفس بوليفار، الذي كان يتوق إلى تحرير بلاده، وتأثَّر بوليفار تأثراً كبيراً بالثقافة الأوربية، وكان معجباً بانتصار نابليون على إسبانيا، فتمنَّى أن يكرِّر الأمر نفسه بأمريكا اللاتينية.

سافر بوليفار إلى إسبانيا عام ١٧٩٩م بعد وفاة والديه؛ لاستكمال دراسته، وتزوَّج هناك من ماريا تريزيا ألايسا عام ١٨٠٢م، لكنها توفِّيت بعد عام واحد، وعاد بوليفار إلى فنزويلا عام ١٨٠٧م،



والعدل، وشجع على تشكيل حكم دستوريّ، وعلى تحرير العبيد، وإنشاء المزيد من المدارس، وكانت فكرة بوليفار تقوم على الجمهورية المرتبطة بالمسؤولية رافضاً فكرة سان مارتن الذي كان يرى النظام الملكي ضرورياً جداً لترسيخ النظام العامّ، وكان خصومه السياسيون يرون عدم وجود اختلاف بين رئيس مدى الحياة له حقّ اختيار خليفة له، وبين المَلَكية، وكان بوليفار يرى أهمية قيام أرستقراطية مفتوحة قائمة على المواهب والقدرات.

وبمرور الوقت أرادت كل بلد أن تستقلّ بذاتها، وتفكّكت كولومبيا العظمى، وواجه بوليفار اتهامات بأنه متسلّط وطاغية، فتقدّم باستقالته من منصب الرئيس في نهاية المطاف.

تأثير بوليفار في حركات التحرُّر

وضع الباحث الأردنيّ معاذ عابد ورقة بحثية بعنوان: (إرث بوليفار المعرفيّ ودوره في حركات التحرر)، أوضح فيها تأثير بوليفار في حركات التحرر في العالم، وأن

تأثر بوليفار تأثراً كبيراً بالثقافة الأوربية، وكان معجباً بانتصار نابليون على إسبانيا، فتمنّى أن يكرِّر الأمر نفسه في أمريكا اللاتينية



واشترك في اجتماعات وطنية ترمي إلى إزاحة الاستعمار الإسبانيّ، بعد أن نصّب نابليون الأول شقيقه جوزيف بونابارت ملكاً على إسبانيا ومستعمراتها، واستطاع هو والثوار في ١٩ إبريل ١٨١٠م الإطاحة بالحاكم الإسبانيّ فنسنت دي إمبران، وإقامة حكم عسكريّ.

عُيِّن بوليفار سفيراً بلندن عام ١٨١١م، وعاد إلى فنزويلا، ثم غادر كراكاس بعد أن أصابتها هزة أرضية، وفي يوليو عام ١٨١٢م استسلم الزعيم الفنزويليّ لإسبانيا، وقاد بوليفار عام ١٨١٩م جيشاً، واستطاع أن يقطع به جبال الأنديز المغطاة بالثلوج، ودهم الجيش الإسبانيّ، واستطاع أن يحقق الاستقلال لكولومبيا، وبعد عامين حرَّر بوليفار فنزويلا، وفي العام التالي حُرِّرت الأكوادور، واتّحدت فنزويلا وكولومبيا والأكوادور في جمهورية كولومبيا العظمى، برئاسة بوليفار، الذي ساعد في وقت لاحق في تحرير بيرو، وأعيدت تسمية بيرو العليا باسمه تكريماً لمحرِّرها، فأصبح اسمها بوليفيا.

ركز بوليفار السلطات في يده، ونادى بالحرية



على الرغم من تأثير حركة التحرر التي قادها بوليفار، فإن هناك محللين يرون أنه ما خاض كل تلك الحروب إلا لإقامة إمبراطورية أمريكية لاتينية برئاسته

الفكر التحرُّريّ الوطنيّ والقوميّ الذي انطلق في أمريكا اللاتينية في نهايات القرن السابع عشر تطوَّر ليصبح ركيزة أساسية في فكر ثوريّ جدليّ هو الفكر الشيوعيّ؛ إذ جاء لينين ليعلن أن الحركات القومية التحرُّرية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة هي عموماً ذات طابع تقدُّميّ بقدر معاداتها للإمبريالية، فكان للإرث البوليفاريّ تأثير كبير في الحركة الماركسيَّة على الصعيد التطبيقيّ والممارسة العَمَلية.

ويرى الباحث أن ذلك هو المحطة الأولى لتأثير بوليفار، أما المحطة الثانية فتتمثَّل في الثورة الناصريَّة التي امتدَّت لتكون نواةً وأساساً لملامح التحرُّر الوطنيّ العربيّ، ويضيف الباحث أن الحركة التحرُّرية لأمريكا اللاتينية تلخِّص الحركة الثورية في الصين بعد التحرُّر من اليابان، وفي فيتنام، وكوريا، ومصر، وسوريا، والجزائر، ثم تعود مرةً أخرى في خمسينيات القرن المنصرم إلى أمريكا اللاتينية من خلال حركة كاسترو وتشي جيفارا، وكثير من الحركات المسلَّحة التي دارت في فلك واحد وهو التحرر الوطني الديموقراطي التامّ من الاستعمار وذيوله.

والمحطة الثالثة للبوليفارية -حسب تقسيم الباحث- كانت التحوّل الثوريّ الذي شهدته القارّة اللاتينية على يد القائد الراحل هوجو شافيز، الذي يرى الباحث أن فكره لم يكن محدوداً بالقارة اللاتينية، بل امتدّ إلى طلب علاقات وطيدة بين الدول الأكثر فقراً في العالم، بدءاً من الدعوة إلى التكامل في أمريكا الجنوبية، وصولاً إلى دعوته إلى قيام حلف إفريقيّ- كاريبيّ- جنوب أمريكيّ.

على الرغم من هذا التحليل الذي يعطي أبعاداً عميقةً جغرافياً وتاريخاً لحركة التحرُّر التي قادها بوليفار، فإن هناك محلِّلين يرون أن خوض كل تلك الحروب كان لهدف رئيس هو إقامة إمبراطورية أمريكية لاتينية، تُهيمن عليها الطبقة الغنية، ويكون هو على رأسها.

دول ومدن خلدت ذكراه

خلدت دول كثيرة ذكرى سيمون بوليفار بوصفه رمزاً للكفاح ضد الاستعباد، ورفض التبعية، وتحرير الإنسان، وكانت القاهرة أُولى الدول العربية في تكريم بوليفار بتسمية أحد أشهر ميادينها باسمه، ووضع تمثال له في هذا الميدان، وكان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر أحد المعجبين به، ولهذا أطلق على هذا الميدان هذا الاسم؛ مساندةً لدول أمريكا اللاتينية المناهضة للهيمنة الأمريكية، وشاع اسم هذا الميدان خلال ثورة يناير ٢٠١١م والربيع المصري؛ إذ كان مكاناً لتفاعلات الأحداث التي شهدتها القاهرة منذ ذلك التاريخ.

وحملت فنزويلا التي حرَّرها بوليفار اسمه، عندما تحوَّلت إلى جمهورية فنزويلا البوليفارية، كما سمِّي المطار الدولي في مدينة مايكويتا الفنزويلية باسمه، وسُمِّيت بيرو العليا باسمه، وأصبحت بوليفيا، وفي العاصمة الكولومبية بوجوتا أُطلِق اسم سيمون بوليفار على حديقة تحيط بها فنادق كبرى، عُرفت باسم: فنادق سيمون بوليفار، وهذا الاسم نفسه تحمله فنادق في روما تقع في مبنى تاريخيّ يعود إلى القرن التاسع عشر، وظلَّت فرقة سيمون بوليفار الأوركسترالية السيمفونية تعزف سيمفونية التحرير والاستقلال تخليداً لذكرى محرِّر أمريكا اللاتينية، ومُلهم الشعوب المغلوبة على أمرها، لتنهض باحثة عن استقلالها وحريتها.

شافيز نبش قبره

تُوفِّي سيمون بوليفار في بيت إسباني في يناير ١٨٣٠م، بعد أن أخفق في توحيد دول أمريكا اللاتينية، ويذهب معظم الروايات التاريخية إلى أنه مات بمرض السلّ، ومع ذلك أصرّ الرئيس الفنزويليّ هوجو شافيز عام ٢٠١٠م على استخراج رفات بوليفار من قبره، لاعتقاده أنه مات مسموماً، وصرّح حينها أنه بكى بحرقة عندما قرر نبش قبره.

وأرسل العلماء عينات من حمضه النووي المستخرج من عظامه وأسنانه إلى المختبر بهدف تحليلها، وقالوا: إنهم لم يتوصّلوا إلى أدلّة تقود إلى تأييد هذه النظرية أو استبعادها، وعلى الرغم من ذلك الرأي العِلميّ ظل شافيز على قناعته، وقال لأعضاء البرلمان الفنزويليّ عندما أعلنت النتائج: بوليفار قد قتل وإن لم تتوافر أدلة تدعم هذا الرأي.

وردةٌ في جِدار

وردةٌ في جدار
كلَّما حاصر الأسمنتُ ألوانَها
أوغلت في النهار
وردةٌ في إطار
من جحيم
وطينٍ
وقار
يا لهذا الإطار
وردةٌ ظلُّها..
آهٍ من ظِلِّها!
مستبداً.. آسراً
كاسراً للحصار

***

وردةٌ لا تحبُّ الكلام
عطرُها جارحٌ
حُسنُها واضِحٌ
فاضِحٌ
يستخفُّ الوقار
وردةٌ يسكرُ النحلُ في سِرِّها
عَبَّ حتى تدلَّى
ثم عَبَّ وطار
مَرَّ سِربُ فَراشٍ عليها
مارسَ الحبَّ فِي سِحرها
مارسَ الحُبَّ
بين نورٍ ونار
والنَّدى أيقظَ الشوقَ في قَطرهِ
أن يشمَّ الشَّذى
ويضمَّ العَرار

***

وردةٌ حاصرتها الرياح
فلم تقتلِعْها
واستطال النواح
فما زاد فيها
غيرَ طولِ المدارِ
وحب الديار

***

وردةٌ إن أعجبتهم
فكّروا أن يقطعوها
وإن هدّدتهم
أن يقتلوها
وفي أحسن الأحوال أن يشتموها
ثمَّ يطلبُ مِنها اعتذار !!!

ترجمة: تسنيم عبدالرحمن النمر | مصر



عفواً.. زوجي العزيز!

لوسـي موود مونتجومري

نزلت إيميلي فير من عربة هرام جيمسـون حاملةً حقيبتها ومظلتها في طريق العودة إلى منزلها، وشـكرته على توصيلها بنبرة موسـيقية، فقد كانت تملك صوتاً مميزاً ذا نبرة عذبة. ورغم عذوبته فإنه كان يتسـم بالبرود في معظم الأحيان باستثناء تلك الأوقات التي كانت تحادث فيها شخصاً تحبّه. كانت نبرتها تعكس مدى عنادها وتحفظها، فكانت بذلك من النساء القليلات اللاتي لم يرتجف صوتهن قطّ. أجابها جيمسون بإعجاب واضح: على الرحب والسعة يا سيدة فير، لكن إيميلي تجاهلته، فهي لم تكن تحبّه البتة، وساءها كثيراً أن تراه في انتظارها عند محطة القطار. وقد لاحظ جيمسون ازدراءها إياه لكنه آثر التغاضي. كانت إيميلي شديدة الاعتداد بنفسها. وأسرَّ جيمسون في نفسه: «أنا لا أحب نساء هذه القرية الماكرات، ولو أن ستيفين فير لم يتحسن فإن إيميلي ستكون حرّة وحينها...»

لم يفكر جيمسون ملياً في الأمر، لكنه أخذ يتطلع إلى إيميلي وهي واقفة أمام بوابة منزلها وقت الغروب وقد انسدل شعرها البني على كتفيها، ونظرات الازدراء تطلّ من عينيها الرماديتين الواسعتين.

وقفت إيميلي قليلاً أمام البوابة إلى أن غادرت العربة، وعندما غربت الشمس اتّجهت إيميلي إلى الحديقة، وقطفت بعضاً من زهور الأقحوان وزهور النجمة. ومع أنها تحب الزهور فإنه لسبب ما كانت الزهور هي سرّ تعاستها ذاك اليوم، فقد ألقت بباقة الزهور التي جمعتها أرضاً، وأخذت تدوسها بقدميها. وما هي إلا لحظات حتى هبّت الريح وبرد الجو، وشعرت إيميلي بالبرد؛ فدخلت المنزل على الفور.

وكانت أختها أميليا فيليبس بانتظارها قرب المدفأة، وبمجرد أن رأتها بادرت إلى أمتعتها لتحملها عنها، وسألتها:

● هل أنت بخير يا إيميلي؟ آه، كم أنا سعيدة بعودتك. ترى هل عدت سيراً علـى الأقدام من المحطـــة؟

● كلا، بل أوصلني جيمسون، وإن كنت أفضّل السير على الركوب. أعتقد أن عاصفةً ما توشك على الهبوب. أين هو جون؟

● أجابت أميليا وهي تشعل المصباح: ذهب إلى القرية بعد العشاء؛ لشراء بعض الأغراض من السوق. أضاءت أميليا المصباح الذي أظهر ضوؤه بجلاء ملامحها الصارمـــة وعينيها السوداوين.

● هل من جديد في وودفورد؟ جاء سؤالها عفوياً من غير أدنى اهتمام، فالحياة في وودفورد شبه خالية من الأحداث.

نظرت أميليا في عيني إيميلـــي بتمعّن، وحادثتهـــا نفسها أن إيميلـــي لم تعرف بعد. توقّعت أميليا أن يخبرها جيمسون لكن من الواضح أنه لم يفعل، وليته فعل، فهي لم تكن واثقةً قطّ من ردّة فعل إيميلي. كانت الأخت الكبرى على يقين أن خلف ذلك القناع المتحفّظ الذي تضعه أختها قلباً يجيش بالعواطف. فعلى الرغم من معرفتها العميقة أختها فإنها كانت تعجز دائماً عن فهم حقيقة مشاعرها وإدراكها تجاه زوجها ستيفين فيـــر. فمنذ أن هجرت إيميلـــي زوجهـــا وعادت إلى بيت أخويها منذ خمس سنوات، لم يرد ذكر ستيفين فير على لسانها قطّ.

● أردفت أميليا في بطء: إن ستيفين فير مريض جداً.

لم يطرف لإميليي جفن، وإنما بدا في نبرة صوتها شيء من الفضول:

● مم يشكو؟

● أجابت باقتضاب: التيفوئيد، وشعرت أميليا بارتياح حين أخذت إيميلي الأمر ببرود جمّ. كانت أميليا تبغض ستيفين فير بغضاً شديداً ظناً منها أنه كان يعامل أختها معاملة فظّة، غير أنها كانت تؤمن أن إيميلي كانت لا تزال في أعمق أعماقها تحبّ زوجها.

نظرت إيميلـــي إلـــى أحد المصابيح من دون أن يطرف لها طرف وتمتمت: هذا الفتيل يحتاج إلى إصلاح، ثم سألت أميليا فجأة:

● هل حالته خطيرة؟

● لم تردنا أي أخبار عنه منذ ثلاثة أيام، لكن الأطباء قالوا: إن حالته خطرة. شحب وجه إيميلي هنيهة، وما لبث أن عاد إلى طبيعته. ترى هل كان هذا شعوراً بالارتياح أم الندم؟! لم تحر أميليا جواباً!

ثم أردفت إيميلي بصوتها الموسيقي العذب: سأخلُد للنوم الآن، من الواضح أن جون سيتأخر وأنا مرهقة جداً، تصبحين على خير.

وقفت إيميلي في الردهة لحظات، وفتحت الباب الأمامي، وألقت نظرة على الأزهار التي داستها آنفاً. وعندما دقت الساعة تمام الثامنة مساءً في غرفة المعيشة، ارتجف جسد إيميلي وأغلقت الباب، ومرّ بخاطرها ذكرى زواجها، وأن ساعة زفافها كانت في تمام الثامنة منذ سبع سنوات مضت، وإذا بها ترى نفسها وهي تنزل درجات ذاك السلم حاملةً باقةً من زهور النجمة، وكم شعرت بالسعادة حين تذكّرت أن هذه الزهور التي داستها ستتطاير من أثر الرياح وتصير هباءً منثوراً!

حاولت إيميلي طرد جميع الذكريات كي تنام، لكن محاولاتها باءت بالإخفاق. وظلّت توهم نفسها أن سبب أرقها هو صوت العاصفة. وأبت الاعتراف إلى نفسها أنها كانت تنتظر جون بفارغ الصبر؛ لتعرف أكثر حالة زوجها المريض ستيفين. فقد كان مثل هذا الاعتراف كفيلاً بإظهار ضعفها

وإيميلي مثل أختها تماماً تمقت الضعف. بين الفينة والأخرى كانت تهبّ ريح شديدة، فتهزّ الأرجاء حاملةً معها قطرات من المطر. وهنا تذكّرت إيميلي قصّة غريبة عن روح خرجت في ليلة عاصفة حالكة وضلّت هذه الروح طريقها بين السماء والأرض، فارتجفت إيميلي، وسحبت الغطاء على وجهها. وقالت لنفسها: إنني أكره العواصف... فهي تخيفني.

جاهدت إيميلي نفسها لتكبت مشاعرها وتسيطر على أفكارها، لكنها لم تفتأ تذكر ستيفين بين الفينة والأخرى. لم يكن تأنيب الضمير ولا الرقّة لحاله السبب وراء ذكرياتها، وإنما كانت تفكّر فيه من وازع إنساني لا أكثر، كأنه لا يعني شيئاً لها إطلاقاً. كان من الصعب عليها أن تتخيل زوجها وقد أقعده المرض، فهي لم تعهده مريضاً البتة طوال السنتين اللتين عاشاهما معاً، وهكذا أخذت الذكريات تتوالى رغماً عنها الواحدة تلو الأخرى.

تُوفيَت والدتها عقب ولادتها مباشرة، فكانت أختها أميليا التي تكبرها بعشرين عاماً بمنزلة الأم الرؤوم؛ لذا لم تفتقد إيميلي وجود أمّ قطّ، وكذلك كان أخوها جون أخاً مشفقاً ومحباً تلك الطفلة الصغيرة التي فقدت أمّها وهي في المهد. وهكذا عُرِفَت إيميلي بأنها طفلة وودفورد المدلَّلة. لم تكن إيميلي فيليبس مثل باقي فتيات وودفورد، فلم يكن لها أنداد قطّ؛ كانت فائقة الجمال، ولها محبّون كُثْر، لكنها لم تول أحدهم أدنى اهتمام إلى أن تعرّفت إلى ستيفين فير الذي كان يكبرها بخمسة عشر عاماً. وعلى النقيض كان أخواها يكرهانه كرهاً شديداً؛ بسبب نزاع قديم الأمد شبّ بين أجداد الأسرتين، وخفّت وطأته مع مرور الزمن لدى الأجيال الجديدة، لكن ظلت نيرانه مشتعلةً بين أفراد الجيل القديم.

أحبّت إيميلي ستيفين من أعماق قلبها حتى قبل أن يلتفت هو إليها ويلحظ تلك الطفلة الصغيرة وهي تترعرع في أكناف عائلة فيليبس، لتغدو فتاةً رائعة الجمال بعينيها الرماديتين، وقرّر الأخوان تجاهل مشاعر الكره والبغضاء تجاه ستيفين؛ لما وجدوه من مشاعر الحبّ التي تكنُّها إيميلي له، ولم يمضِ وقت طويل حتى تزوّج الحبيبان وانتقلت إيميلي إلى العيش مع ستيفين وأمّه السيدة جانيت.

لم تحبّ جانيت إيميلي البتة، ولم تكن موافقةً على زواج ابنها منها بادئَ ذي بدء، ومن ناحية أخرى كانت جانيت بفطرتها محبَّة الأذى، وخلق المشاكل وأسباب الكدر، وكانت تجد جلّ متعتها في ذلك. صحيح أنها تكنُّ لابنها كلّ الحبّ، لكنها لم تتورّع قطّ من خلق الخلافات والمشاكل بينه وبين والده حينما كان الأخير على قيد الحياة. والآن تكمن متعتها الحقيقية في إثارة الخلافات بين الزوجين الحبيبين ستيفين وإيميلي. كانت جانيت تمتلك القدرة على التحكّم في أعصابها عند افتعالها المشاكل والظهور دائماً بمظهر المرأة خفيفة الروح ذات الكلام المعسول، وعلى النقيض تماماً كانت إيميلي شديدة العصبية والانفعال. وكانت لا تنفكّ تُفاجِئ زوجها على الدوام بردود فعلها الحادّة التي كان يراها دائماً مفتعلة وغير مبرَّرة. وهكذا فشل ستيفين فشلاً ذريعاً في معرفة حقيقة ما يدور بين كل من أمه وزوجته، وفي نهاية المطاف لم يجد ستيفين أمامه إلا تفسيراً منطقياً واحداً لتصرُّف زوجته، وهو أنها امرأة متقلّبة المزاج وسريعة الانفعال، دلَّلها أخواها اللذان يكبرانها بعدة سنوات.

وكان ستيفين محقاً في اعتقاده إلى حدّ ما، فإيميلي كانت بالفعل طفلةً مدلَّلةً، وكان أخواها نادراً ما يرفضان لها طلباً، كما أنهما لم يحاولا قطّ إسداء أي نصائح ترشدها إلى كيفية التعامل مع الناس في حياتها الجديدة. صحيح أن جانيت كانت امرأةً غير محتملة ويصعب التعامل والعيش معها تحت سقف واحد، لكن إيميلي تدرك الآن في أعماق نفسها أنها كانت قادرةً على تجاهل هنَات حماتها السخيفة والصبر عليها، والاستجابة إلى محاولات زوجها المستميتة لتهدئة الأمور بينهما، لكنها أبت إلا المضيّ في ذلك الطريق المبهم المعالم، وزاد الجرح عمقاً بين الزوجين حتى جاء اليوم الذي بلغ فيه السيل الزُّبى، واشتعل الموقف بين إيميلي وجانيت، وفقدت الأولى السيطرة على أعصابها في لحظة غضب عارمة، وأخبرت زوجها أنها ما عادت تحتمل العيش مع جانيت تحت سقف بيت واحد:

- يجب عليك أن تختار بيننا؛ إن ظلَّت هي فسأرحل أنا.

شعر ستيفين بحنق شديد وغضب جارف لتهديدها، فأجابها في حدة:

- إذاً فلترحلي أنت. لن أتخلّى عن أمي نزولاً على رغبة امرأة.

غلى الدم في عروق إيميلي واحتقن وجهها، وأردفت في برود:

- أتعني ما تقول يا ستيفين؟ أعد التفكير فيما قلت، فإنني إن غادرت فلن أعود أبداً.
- أنا أعني ما أقول يا إيميلي، إن كان رباط زواجنا هيناً عليك إلى هذه الدرجة، فإنني لن أقف في طريقك أبداً. وغداً حين تدركين ما اقترفتْ يداكِ وتفكرين في العودة، فأهلاً ومرحباً بك بيننا حينها، لكن تأكّدي أنني لن أطلب منك ذلك أبداً.

ومن دون أن تتفوَّه بكلمة واحدة غادرت إيميلي منزل زوجها وعادت إلى بيت أخويها اللذين رحَّبا بها بحرارة، وانتهيا على الفور إلى أن سبب رجوعها هو معاملة ستيفين السيئة لها. كان الأخوان يكرهان ستيفين وما زادهم هذا الموقف إلا كراهيةً وبغضاً، وكانا يعاتبان أختهما على تساهلها معه، لكنها كانت تعلم في قرارة نفسها أنها هي الملومة.

وبعد رحيلها عن بيت زوجها بعامين توفِّيت جانيت، وجاءت أخت ستيفين الأرملة لتعيش معه، وأوفى ستيفين بعهده، فكلَّما مرت ذكراها بخاطره تجاهلها، فكان كما عهدته إيميلي لا يتراجع عن كلمة قالها قطّ، ومنذ انفصالهما لم تجمعهما نظرة أو تحية، وكان كلّ واحد منهما حريصاً عند اللقاء على تغطية وجهه بقناع من البرود، ودفنت إيميلي حبَّها بيديها،

وأبى عليها غضبها وكبرياؤها أن يرشداها إلى المكان الذي دفنت فيه ذاك الحبّ! ومع أن ستيفين غدا مريضاً، فإنها لم تظهر أي تأثُّر بما حدث، كما لو أنه لم يعنِ لها شيئاً قطّ، ومع ذلك فقد ظلّت تنتظر عودة أخيها جون على أحرّ من الجمر، وفــي تمام العاشرة مساءً سمعت إيميلي أصواتاً من المطبخ، وعندما لم تتمكن من تمييز الأصوات خرجت من غرفتها في هدوء إلى الردهة، وانحنت ناحية الدرج، فبدت كالمرأة التي تنتظر الحكم بالموت. في البداية سمعت جون وأميليا يتحدثان عن أمور تافهة، وفجأة سألت أميليا جون:

• هل وصلتك أي أخبار عن ستيفين فير؟

• قال بكل عفوية وبرود: إنه يحتضر.

فزعت أميليا عند سماعها تلك العبارة، واستأنف جون الحديث في هدوء جمّ:

• لقد ساءت حالته يوم أمس الأول وهي آخذة في التدهُّور منذ ذلك الحين، ولا يتوقّع الأطباء أن يعيش حتى الصباح.

أخذت أميليا تتحدث بسرعة وبنبرة منخفضة، لكن إيميلي لم تستمع إلى أيّ من هذا وعادت إلى غرفتها، وأغلقت الباب خلفها في هدوء. كانت مشاعر الألم والحزن تمزّق نياط قلبها، وتمنّت لو استطاعت أن تصرخ من أعماقها، وعجبت من عجزها عن فعل ذلك، فها هو زوجها والرجل الوحيد الذي أحبَّته يحتضر، وغدت روحها كتاباً مفتوحاً تقرؤه في محنتها، وأشرق الصبح على الحبّ الذي أبت إيميلي إلا أن تدفنه دفناً في أعماقها وتهيل عليه التراب، وآن الأوان أخيراً لقرار إيميلي أن يرى النور:

• يجب أن أراه.

نعم، كان قرارهــا أن تذهب إلى زوجها قبل مماته وتطلب منه أن يسامحها، وقررت الذهاب من دون أن تخبر أخويها خوفــاً من رفضهما. وارتدت ملابسها على عجل، وبمجرد أن تيقَّنت أن أخويها خلدا إلـــى النوم وضعت (الشال) على كتفيها وفتحت الباب بأصابعها المرتعشة، وانطلقت في طريقها إلى بيت زوجها. كانت العاصفة شديدة جداً، وانهال عليها المطر وهي تعبر الحديقة، وعلى الرغم من هبوب العاصفة وهطول المطر فإنها استطاعت أن تهتدي الطريق. كانت الطريق وعرة حتى إنها سقطت عدَّة مرات، وجرحت رأسها وسال الدم من جبينها، وجعلت إيميلي تردِّد هذه العبارة:

• يا إلهي لا تجعله يموت قبل أن ألقاه... لا تفعل... لا تفعل... لا تفعل!

وأخذت نفسها تسوِّل لها أنه لا بدَّ من عقابها على ما فعلته بزوجها، وأنها ستصل إلى بيته لتجده قد لفظ أنفاسه الأخيرة.

وصلت إيميلي أخيراً منزل زوجها وبمجرَّد أن فتحت باب المطبخ، وجدت نفسها في مواجهة ألميرا سينتنر أخت ستيفين فير. فزعت ألميرا عند رؤيتها؛ لأنها لم تتبيَّن من هي في البداية، وسألت من تكون تلك السيدة البيضاء ذات العينين النجلاوين والشعر الأشعث والثوب المبتلّ الممزّق، لكن ما هي إلا هنيهة حتى تعرَّفت إلى إيميلي فير، وانقبضت أسارير وجهها فقد كانت هي الأخرى تكنّ مشاعر الكره لها، وبادرتها ألميرا بنبرة حادّة:

• ما الذي أتى بك إلى هنا؟

أجابت إيميلي على سؤالها بسؤال:

• أين هو زوجي؟

• لا يمكنك رؤيته؛ فالأطباء يأذنون بدخول أقاربه ومن يألفهم من أصدقائه فحسب، فهو في حالة لا يتحمَّل فيها أي انفعالات قد يسبِّبها لقاؤه الغرباء.

قالتها ألميرا بكل وقاحة وجفاء، وأدركت إيميلي من كلامها أن ستيفين ما زال على قيد الحياة، فتجاهلتها متّجهة إلى غرفته وتبعتها أخت ستيفين وهي تنادي منذرة: إياك والدخول! لكن وعيدها ذهب أدراج الرياح؛ إذ انطلقت إيميلي مسرعةً إلى غرفته وألْفَته هنالك طريح الفراش. دفعت إيميلي الطبيبين جانباً وجثَت على ركبتيها قرب فراش زوجها. حاول أحد الطبيبين منعها، فأشار له الآخر قائلاً:

• لا جدوى من هذا الآن!

حرَّك ستيفين فير رأسه تجاهها ونظر إليها بعينيه الذابلتين، وتعرَّف إليها فوراً وهو الذي لم يفلح في التعرف إلى أحد طوال اليوم، وهمس:

• إيميلي؟!

وطَبعت إيميلي قبلةً حانيةً على جبينه قائلةً في هدوء:

• ستيفين! لقد عدت إليــك... سامحني... أرجوك... قل لـــي: إنك قد سامحتني.

• أجاب ستيفين بصوت واهن: لا بأس يا طفلتي المدلَّلة... لا عليك.

ودفنت رأسها في وسادته وأجهشت بالبكاء، وظلَّت إيميلي راقدةً بجانبه حتى الصباح، واقترب أحد الطبيبين منها ليوقظها، وحين فتحت عينيها نظر الطبيب إلى ستيفين، وقال:

• إن زوجك سيعيش يا سيدتي أنا علـــى يقين من أن قدومك أسعده وأنقذ حياتـــه.

أجابت إيميلي في سعادة:

• الحمد لله.

ولأول مرة في حياتها ارتجف صوت إيميلي العذب، ذاك الصوت الذي لم يرتجف من قبل قطّ.

حسين حسن حسين | هيئة التحرير



أندرياس غورسكي..

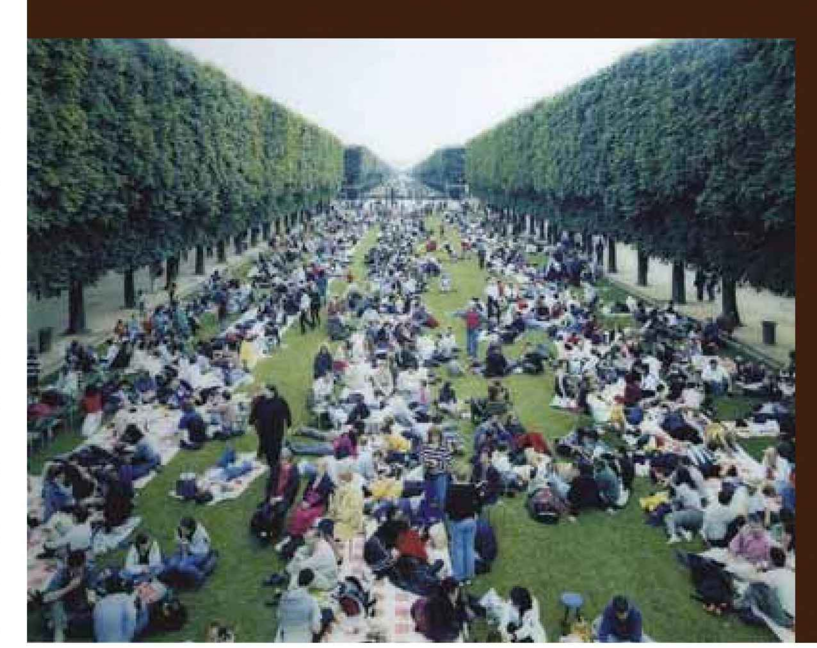
صاحب أغلى الصور في العالم



يستقطب المصوّر الفوتوغرافي أندرياس غورسكي الجمهور بأعماله، التي تحرص دور العرض على تقديمها في معارض تناسب أهميتها؛ مما جعله محطّ الأنظار، وفي مصافّ النجوم العالميين، الذين يحظون بالشهرة والحضور اللافت.

وليس ثمّة مبالغة في القول: إنه المصوّر صاحب أغلى صور في العالم؛ إذ إن أعماله تحظى بإقبال كبير من قبل المصوّرين الباحثين عن الجديد في مجالهم، بل إن الجمهور العامّ يتذوّق تلك الأعمال، ويرتاد كبرى المعارض والمتاحف التي تهتم بعرضها لمتابعتها، والتمتع بما تحويه من إبداع وعناصر إدهاش.





وراثة ودراسة

ورث غورسكي، المولود عام ١٩٥٥م بمدينة لايبزغ الألمانية، حبّ التصوير من والده، الذي كان يعمل مصوِّراً للإعلانات التجارية، وصقل موهبته الموروثة بدراسة الاتصالات البصرية بجامعة أسن بين عامي (١٩٧٨ – ١٩٨١م).

أخفق بعد تخرجه في العثور على وظيفة مصوِّر صحفيّ، فعمل سائق سيارة أجرة، ثم تلمذ لبيرند بيشر الأستاذ في أكاديمية الفنون بدوسلدورف، الذي أوجد مع زوجته هيلا اتجاهاً خاصاً في التصوير، واستطاع أن يقيم معرضه الأول بأحد المطارات.

أسلوب النظرة البعيدة

كانت موضوعات غروسكي حرّاس البوابات، وفنون العمارة، ومناظر المدن والمصانع، ومراكز الترفيه، والطبيعة الصامتة، التي تزخر بها منطقة الراين، واختار أسلوباً يمكن أن يطلق عليه (النظرة البعيدة)،

بورصة الكويت

أخفـق بعد تخرجـه في العثور علـى وظيفة مصور صحفـي، فعمل سـائق سـيارة أجـرة، ثـم تلمذ لبيرند بيشـر الأستاذ في أكاديمية الفنون بدوسلدورف



يستخدم فيه قدرته على اختيار زوايا التصوير باحترافية عالية، ثم وظّف إمكاناته التقنية في معالجة الصور رقمياً؛ ليمزج بين الواقع والخيال بما يعطي الصورة أبعاداً أعمق تكسبها أهميتها، وتحملها معاني جديدة، ومشاعرة خاصة.

ويدلّ على حرفية غورسكي حرصه على استخدام آلة تصوير تقليدية كبيرة الحجم، ثم معالجة الصور من خلال جهاز الكمبيوتر، ويبدأ في بلورة أفكاره حول الصورة؛ لإيصال الفكرة التي يريد أن تحملها الصور، وبدأ هذا العمل بشيء من الحذر، إلى أن أجاد هذا الأسلوب، وأصبح يشكّل الصورة كما يشاء؛ كي تبدو في أحيان كثيرة مختلفة تماماً عن الأصل، ومعقّدة إلى حدّ كبير.

صور تعبِّر عن إيقاع الحياة

ويعشق غورسكي الالتحام بالناس، ويختار أماكن تجمّعاتهم ويصورّها؛ لتعبِّر عن مشاعرهم في لحظة ما، فهو يصوّر مباريات الملاكمة، وملاعب

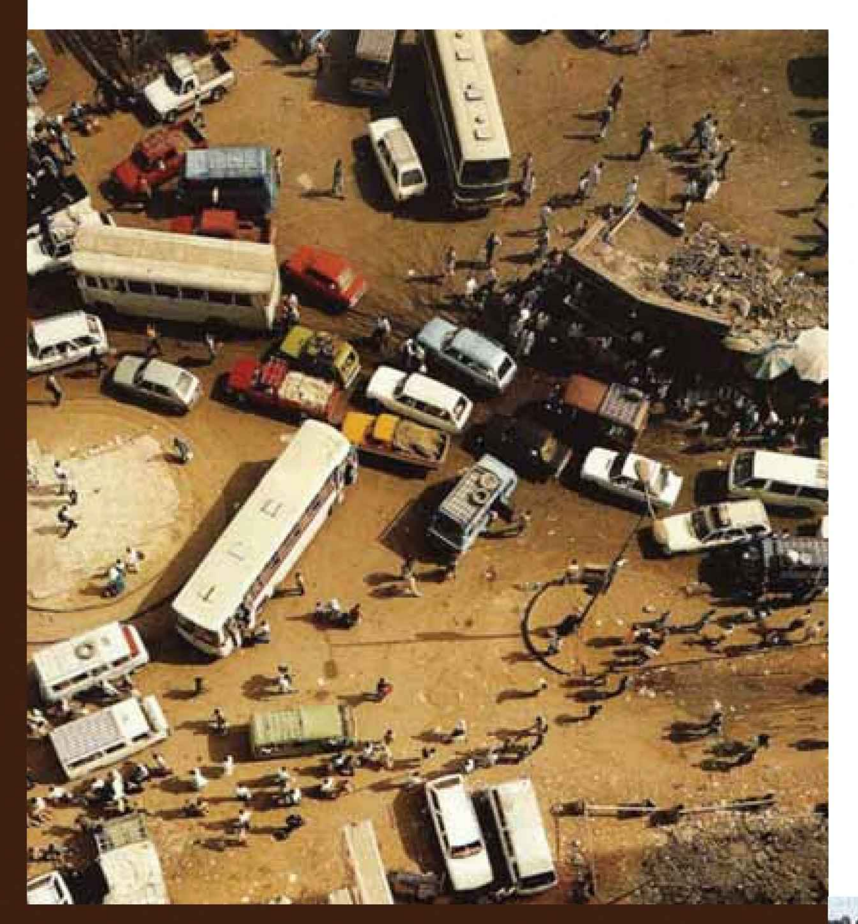
كرة القدم، وأماكن المظاهرات، والحفلات الموسيقية، وهي الأماكن التي تظهر التعبيرات والانفعالات فيها عفويةً وجماعيةً وواضحةً، من دون سابق إعداد.

وهذا ما يعفيه من معرفة هوية شخوص الصورة؛ لأن اهتمامه يتركز في الانفعالات والمشاعر، وقد لا يكون الإنسان محور صوره، فهو يتفاعل مع العناصر التي تعبّر عن إيقاع الحياة عامة، مثل المباني السكنية الملوّنة والمعقّدة التركيب، وأضواء المدن، وضجيج المصانع، وحركة المتاجر والموانئ، وهي كلها تبرز مظاهر الحياة، وما فيها من تفاعل وانفعال.

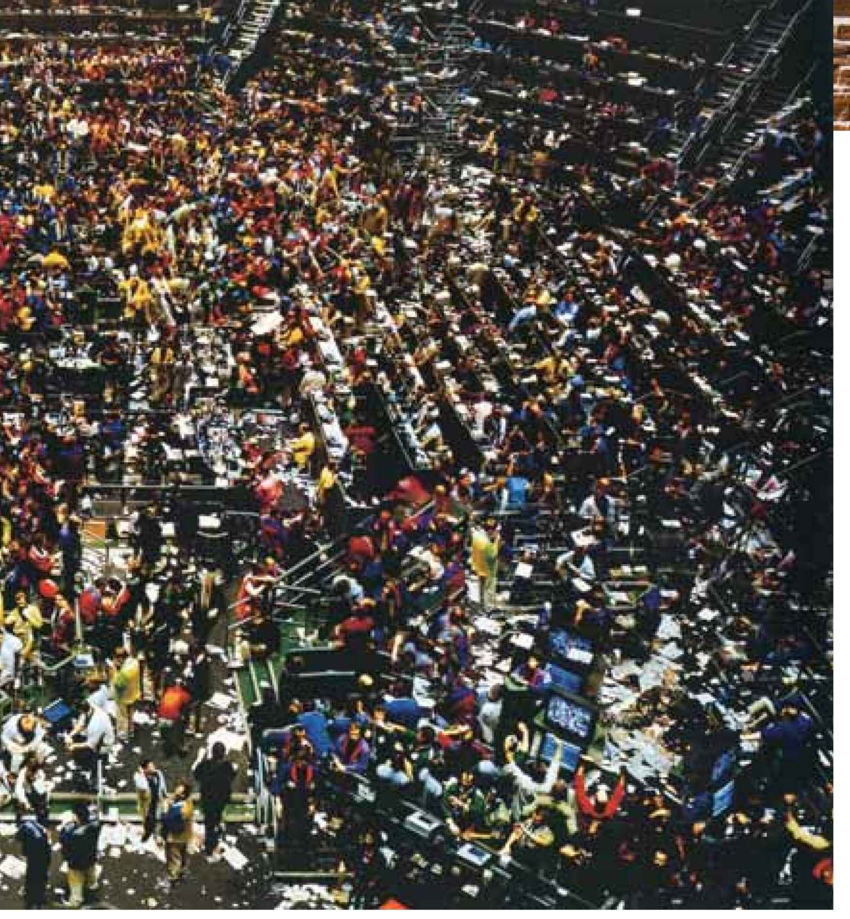
سافر غورسكي إلى طوكيو، وستوكهولم، ولوس أنجلوس، وهونج كونج، وغيرها من المدن الكبرى في العالم، وصوّر انفعالات الجماهير عندما انهار الاقتصاد وسوق الأسهم في تلك المدن، وتكشف صور أندرياس غورسكي البانورامية آثار العولمة والرأسمالية في الحياة المعاصرة.

رافعات وهليكوبتر

هذا الإبداع الذي يميّز أعمال غورسكي لم يأت من فراغ، إنما وراءه



تحتاج صور غورسكي إلى من يمعن النظر فيها لاستخراج ما تحويه من عناصر الدهشة، التي تستعصي على غير الناقد المتعمّق

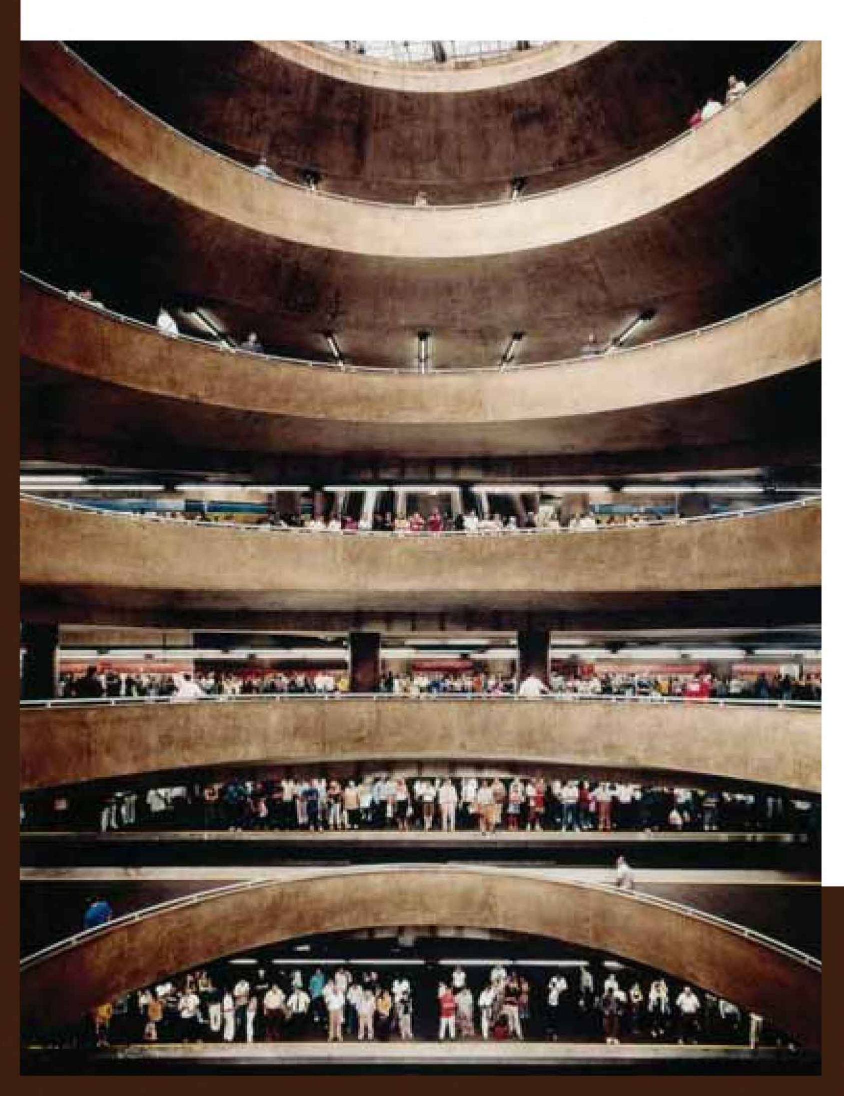


جهد كبير يقوم به، فهو يذهب إلى الأماكن الصعبة التي تجلب المتاعب للحصول على الصور، وكثيراً ما يستخدم الرافعات وطائرات الهليكوبتر من أجل الحصول على لحظة لها مغزاها، كما فعل مع الصور التي التقطها لمضمار السباق بالبحرين، إذ ظلّ مدة ساعتين يلتقط صوراً من زوايا مختلفة، من أجل تشكيل تكوين بصري يمثّل وحدة واحدة، وفي مجموعته عن المحيط ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، وذلك باستخدام صور الأقمار الصناعية العالية الوضوح.

قراءة فنية

تحتاج صور غورسكي إلى من يمعن النظر فيها؛ لاستخراج ما تحويه من عناصر الدهشة، التي لا يستطيع استكشاف ما وراءها من مشاعر ومعانٍ سوى الناقد المتعمّق، وفي قراءة للناقد يوسف ليمود لكتالوج الفنان أندرياس غورسكي نجده يقول عن صور تتّصل بخليجنا العربيّ في مجلّة دروب الإلكترونية: صورتان من فوق الماء لمجموعة جزر في الخليج العربيّ، الجزر الرملية استعارت

الأبيض الناصع، واسترخت على مسطح أزرقٍ عميق في انبساطٍ وامتداد، يذكّر بمجموعة لوحات الانطباعيّ الفرنسيّ كلود مونيه الضخمة والشهيرة باسم (زنابق الماء)، غير أن زنابق غورسكي الصخرية، والمقارنة هنا ليست في محلّها، تتفوق ببلاغة لونيها الأبيض والأزرق على غنائيات مونيه الزاخرة بكل الألوان، ناهيك عن الرمزية الشاعرية التي يحيل اجتماع هذين اللونين إليها، ثم صورة عجيبة التركيب لصحراء تتلوّى عليها أشرطة سوداء، وكتل يصعب للوهلة الأولى التعرّف إلى كنهها، وهي أحزمة إسفلتية لطرق متداخلة، إلا بالتدقيق في بعض التفاصيل قليلاً، وأغلب الظنّ أن الفنان ما زال طائراً فوق منطقة الخليج، فبعد صفحات نرى صورةً رائعةً في جماليتها وتعبيرها لبورصة كويتية غلب عليها بياض الجلابيب على دُكنة المكان وسواده تقريباً، يتخلّلها ما تيسّر من مقاعد مغطاة بالقطيفة الحمراء، والحركات في الصورة لا يمكن إلا أن تفتح للخيال أبواباً على فكرة البعث والنشور، إنها نوع من الخروج من الأجداث، والأكفان تُجرّ، وبشر يقرؤون كتاب أعمالهم، وآخرون ينتظرون الصراط في وجل.



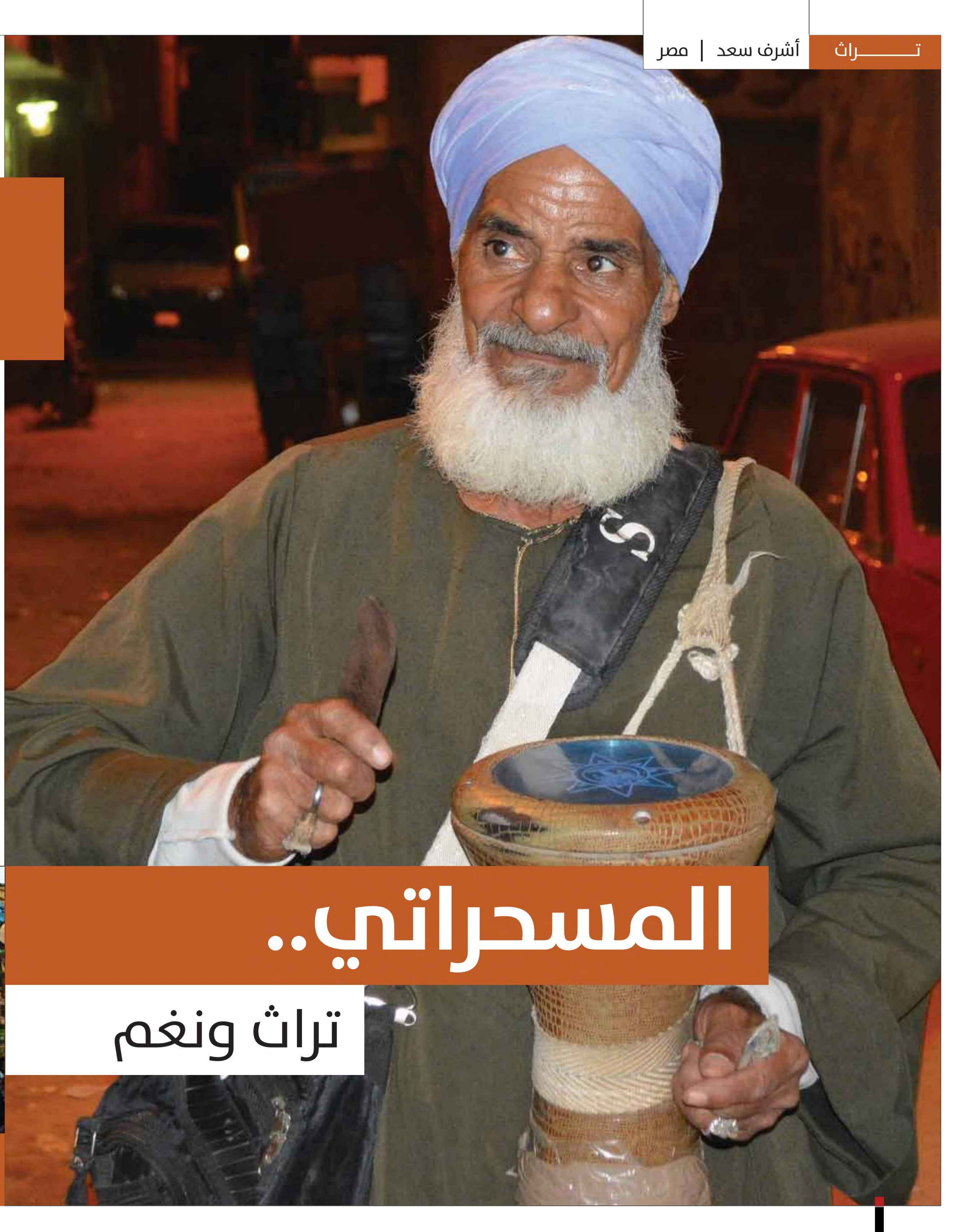


أغلى الصور

استحقّ أندرياس غورسكي لقب أغلى مصوّر؛ بسبب بيعه صوراً بأسعار باهظة عام ١٩٩٧م؛ إذ التقط صورة **Chicago Board of Trade** أو مجلس شيكاغو للتجارة، وقد بيعت بمبلغ ٢,٣٣٥,٥٩٧ دولاراً، وفي عام ٢٠٠١م التقط صورة باسم: موسم التخفيضات أو **99 Cent II Diptychon**، التي تظهر فيها البضاعة معروضةً في ممرّات أحد المحالّ التجارية بألوان جذابة، وقد بيعت عام ٢٠٠٧م في مزاد علنيّ بنيويورك بمبلغ ٣,٣٤٦,٤٥٦ دولاراً، أما صورة **Rhein II** أو نهر الراين الثاني، التي التقطها عام ١٩٩٩م، وهي واحدة من ستّ صور تظهر جريان نهر الراين بين السهول الخضراء، فقد بيعت عام ٢٠١١م بمبلغ ٤,٣٣٨,٥٠٠ دولار، ومن ضمن أغلى ٢٠ صورةً في العالم كانت صورة بورصة الكويت عام ٢٠٠٨م، التي بيعت بأكثر من مليون دولار.

والصورة التي فاقت صور غورسكي في السعر هي صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود للمصور الأمريكيّ - الأستراليّ الشهير بيتر ليك، وهي بعنوان (فانتوم) أو شبح، وبيعت بمبلغ ٦,٥ ملايين دولار، وهو السعر الأعلى في العالم الذي حطم كلّ الأرقام القياسية.

أشرف سعد | مصر



المسحراتي..

تراث ونغم

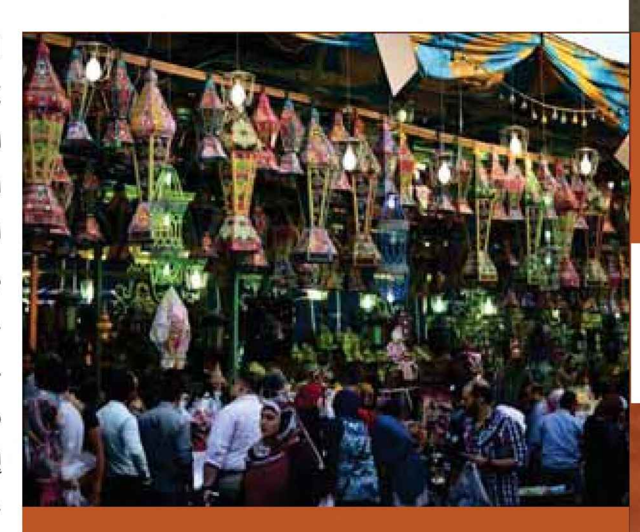
ما أن يقترب الشـهر الفضيل بطلّته البهيّة، ويُعلَن رسـمياً رؤية هلال رمضـان؛ حتى تزهـو المـدن العربية، وتـزدان بالشـموع والفوانيس، ويظهر المسـحراتي يطوف الحارات والشـوارع حاملاً طبلته العتيقة،
ومنبّهـاً النائميـن إلـى تناول السَّـحور قبل أذان الفجـر، داعياً المولـى -عزّ وجـلّ- أن يتقبّل منهم صيامهم، وبين كلّ دعاء ونداء يقرع طبلته الصغيرة منشـداً أجمل الأزجال والأشـعار.



المسحراتي قديماً

كان الصحابيُّ الجليل بلال بن رباح –رضي الله عنه– أول من قام بمهمّة التسحير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يجوب الشوارع والطرقات؛ لإيقاظ الناس للسحور بصوته، وقد قال عنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «إن بِلالاً يُنادِي بليلٍ فكُلُوا واشربوا حتى يُنادِيَ ابنُ أمِّ مكتوم».

وفي مصر أول من قام بالتسحير هو عَنْبَسة بن إسحاق والي مصر سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، ويؤثر عنه أنه كان يذهب على قدميه من مدينة العسكر



في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص، وكان ينادي الناس بنفسه للسحور، وكان التسحير بالجامع في تلك الحقبة، وكانت تردّد الأهازيج أربع مرات؛ ففي التذكير الأول يُنشِد المنشِدون:

أيّها النوّام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذي أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولّى وراح
وتدانى عسكر الصبح ولاح
اشربوا عَجْلى فقد جاء الصباح
معشرَ الصوامِ يا بُشراكم
ربكم بالصوم قد هنّاكم
وجوار البيت قد أعطاكم
فافعلوا أفعال أرباب الصلاح

وفي التذكير الثاني: تسحّروا رضي الله عنكم، كلوا غفر الله لكم، كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور.

والتذكير الثالث: يا مدبّر الليالي والأيام، يا خالق النور والظلام، يا ملجأ الأنام يا ذا الطَّوْل والإنعام، رحم الله عبداً قال: لا إله إلا الله.

والتذكير الرابع: اشربوا وعجّلوا فقد قرب الصباح،



كان الصحابيُّ الجليل بلال بن رباح -رضي الله عنه- أول من قام بمهمّة التسـحير في عهد الرسـول صلى الله عليه وسـلم، فكان يجوب الشـوارع والطرقات؛ لإيقاظ الناس للسحور بصوته



لطائف المسحراتي وطرائفه

يدلّ التاريخ على أن مهمّة التسـحير لم تكن قاصرةً علـى الرجـال فقـط، إنما كان هناك نسـاء مسـحِّرات يقمن بهـذا العمل، وقد تغزّل الشـاعر زين الديـن بن الوردي في بعضهن، ووصفها بأنها شمس تطلع وقت السحور، فكيف يأكل الناس والشمس ساطعة، فقال:

عجبت في رمضان من مسحِّرة قالـت، ولكنهـا فـي قولهـا ابتعـدتْ:
تسحّروا يا عباد الله، قلت لها: كيف السحور وهذي الشمس قد طلعتْ؟![1]

وعندما يُجزل العطاء للمسـحراتي فإنه يمتدح صاحب العطاء قائلاً:

فؤاد أفندي الله يزيدك كرمْ
تشاهد الكعبة وباب الحرمْ
وينصرك ربي على مَن ظلمْ

(١) علـي الجندي، قرة العين فـي رمضان والعيدين، مطابع الأهرام التجارية، الجـزء الأول، د.ت.

أول من اسـتخدم الطبلة هم أهل مصر. وظهر بعد ذلـك ابن نُقْطة سـنة ٥٩٧هـ في بغـداد، واخترع فـنّ القوما لمهمّة التسحير

اذكروا الله في القعود والقيام، وارغبوا إلى الله بالدعاء والثناء، اشربوا وعجّلوا فقد قرب الصباح[1].

وهذا اللون من التسحير لم تستخدم فيه الطبلة احتراماً لقدسية المسجد، أما خارج المسجد فيذكر المؤرّخون أن أول من استخدم الطبلة هم أهل مصر. وظهر بعد ذلك ابن نُقْطة سنة ٥٩٧هـ في بغداد، واخترع فنّ القوما لمهمّة التسحير، وكان يوقظ الخليفة الناصر للسحور وكان الخليفة الناصر يطرب لهذا الإنشاد، وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما، فلما مات أبوه أراد أن يُعلِم الخليفةَ موتَ أبيه؛ ليُجريَ له ما كان لأبيه، فتعذّر عليه ذلك، فصبر إلى أن جاء شهر رمضان، ثم أخذ أتباع والده من المسحّرين، ووقف أول ليلة من الشهر وغنّى القوما بصوت رقيق، فأصغى الخليفة إليه وطرب له، فكان أول ما قاله:

يا سيِّد السادات لك في الكرم عادات
أنا ابن أبي نقطة تعيش؛ أبي قد مات

فأَعجب الخليفةَ هذا الاختصارُ، فأحضره وخلع عليه، وفرض له ضعفَيْ ما كان لأبيه[2]، وأخذت هذه المهنة مع مرور الزمن تنتشر في أغلب البلاد العربية ليصبح المسحراتي مظهراً من مظاهر التراث والنغم الجميل.

المسحراتي في مصر حديثاً

وصف المستشرق الإنجليزي الشهير إدوارد وليم لين، الذي عاش بالقاهرة في القرن التاسع عشر، شخصيةَ المسحراتي قائلاً: إن المسحراتي يطوف في ساعة متأخّرة من الليل ممسكاً بيده طبلةً صغيرةً، وسيراً من الجلد يضرب به على الطبلة، ويصحب المسحراتي غلام معه قنديلان في إطارهما الجريد، ويقف المسحراتي والغلام بأبواب بيوت المسلمين ما عدا الفقراء منهم قائلاً: يسعد من يقول: لا إله إلا الله محمد الهادي رسول الله، أسعد لياليك يا... ويذكر اسم صاحب المنزل، ثم يذكر أسماء أولاده من البنين والبنات[3]. وهو يعرف ساكني كلّ بيت اسماً اسماً، ويحيّيهم الواحد تلو الآخر، ولا يذكر أسماء النساء أبداً، ويسمح له بنداء البنات الصغيرات، ويقول على سبيل المثال:

عبلة ست العرايس أنا ما (انسى) اسمها
ياللي المشجر والحرير لبسها

أو يقول:

يا ست نادية يا حبيبة الصباح
يا عقد لولي فوق صدور الملاح
يا مسك تركي أينما ذهب فاح
على جبل عرفات يجمع الله شملها
في جاه نبي مرسل عليه السلام
أحياكم المولى إلى كل عام

وكل عام (وانتوا) الجميع طيبين[٤]

وينزل الأولاد والبنات من بيوتهم، فيمنحون المسحراتي نظير هذه الإنشاد بعض الحلويات أو المكسّرات أو النقود، وسجّل إداورد وليم أن نساء الطبقة المتوسّطة في القاهرة العثمانية كنّ يعمدن إلى وضع قطعة فضية من النقود في ورقة تلقيها إحداهن من النافذة إلى المسحراتي، ولما كان الوقت ليلاً والمسحراتي لا يستطيع تمييز مكان سقوطها كانت السيدة تشغل الورقة ليرى المسحراتي مكان سقوطها، فيستدلّ عليها ويدسّها في جيبه، ويرفع صوته بالدعاء[٥].

المسحراتي في العالم العربي

ومع التطوّر التكنولوجيّ الهائل في جميع مناحي الحياة، واختفاء المسحراتي في كثير من المدن العربية، فإنه لا يزال يظهر المسحراتي بوصفه تراثاً جميلاً، محافظاً على طقوسه، ومستخدماً طبلته في إيقاظ النائمين، ومتخذاً للقيام بعمله أشكالاً مختلفة؛ ففي عمان يوقظ المسحراتي النائمين بالطبلة أو الناقوس وهو يردّد: «يا نائمين الليل قوموا تسحّروا، سحور يا مسلمين، سحور يا صائمين»، وفي الجزائر في أثناء احتلال فرنسا الجزائرَ كان يستيقظ الناس على قرع الطبول؛ إذ كان فقيه القرية وإمامها يعمد إلى قرع الطبلة من فوق قمة جبل شامخ، أو من شرفة عالية؛ بسبب موقع القرية ونظام تضاريسها الجغرافية، وفي لبنان يُعرَف المسحراتي بالطبَّال، وبسبب توزيع السكان على أحياء كثيرة صار لكل حيّ طبّال يطوف الحيّ قارعاً طبلته وهو ينادي:

رمضان كريم، رمضان كريم
شهر المحبّة والإيمان
من قال ربّ العالمين
شارك صيام المؤمنين

ويحرص كل طبّال على أن تكون له أنغام يتميّز بها من أقرانه؛ ففي الكويت يسمَّى المسحراتي (أبو طبيلة)، ويقوم بالتسحير ومعه أولاده، ويردّد بعض الأدعية ويردّدون معه، وفي السودان يطوف المسحراتي البيوت ومعه طفل صغير يحمل فانوساً ودفتراً به أسماء أصحاب البيوت؛ إذ ينادي عليهم بأسمائهم قائلاً: يا عباد الله وحّدوا الدايم، رمضان كريم. وفي السعودية يحدّثنا ابن بطوطة عن التسحير بمكة المكرمة، فيذكر أن الزمزمي مؤذّن الحرم الشريف كان يقوم إلى المئذنة الموجودة في الركن الشرقيّ من الحرم داعياً ومذكّراً بالسحور، ويردّد معه المؤذّنون في المآذن الأخرى، إضافةً إلى ذلك كان يرخي طرف حبل بيده فيتدلّى منه قنديلان؛ ليستطيع

لا يزال يظهر المسحراتي بوصفه تراثاً جميلاً، محافظاً علـى طقوسـه، ومسـتخدماً طبلته فـي إيقـاظ النائمين، ومتخذاً للقيام بعمله أشكالاً مختلفة





سيد مكاوي

من لا يسمع الأذان أن يرى نورهما، فيستدلّ بهما على موعد السحور، فإذا اقترب الفجر حتى كاد يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، سحب القنديلين للاستدلال بذلك على الإمساك عن الطعام، والاستعداد لصلاة الفجر[٦].

نغم وشهرة

من (المسحراتية) المصريين الذين نالوا شهرة في العصر الحديث الشيخ سيد مكّاوي، فكانت أنغامه تسري في الليل حاملةً كلمات الرائع فؤاد حدّاد لنسمع أجمل ما أبدعه فؤاد حداد وأرقّه للتسحير في رمضان قائلاً:

اصحى يا نايم
وحّد الدايم
وقول: نويت
بكرة إن حييت
الشهر صايم
والفجر قايم
اصحى يا نايم
وحّد الرزّاق
رمضان كريم

ويقول:

ناس كانوا قبلي قالوا في الأمثال:
الرجْل تدبّ مطرح ما تحبّ
وأنا صنعتي مسحراتي في البلد جوّال
حبّيت ودبّيت كما العاشق ليالي طوال
وكلّ شبر وحته من بلدي
حته من كبدي، حته من موّال
أنا اللي شفت الرياح تسكن قصب مسحور
شفت الجبال تنتقل والبحر يرمي بحور
ولا شفت ليل في الليالي زي ليل رمضان
اصحى يا نايم
وحّد الدايم
السعي للصوم
خير من النوم
دي ليالي سمحهْ
نجومها سبحهْ
وحّد الرزاق

وكذلك من الشعراء الذين نالوا شهرة كبيرة الزجّال بيرم التونسي قائلاً:

أنا أمدح المولى الغفور الودود
اللي تجلت رحمته في الوجود
الأرض والسموات علَيَّ شهود
أشهد له سبحانه بعزِّ سلطانه
ومن صميم قلبي أشكر له إحسانه
يا مؤمنين وحِّدوا الله
لا إله إلا الله

وما أن يوشك الشهر الفضيل على الانتهاء، وبخاصة في العشر الأواخر، حتى يبدأ المسحراتي يوحش رمضان فتجد صوته يملؤه الأسى والحزن، ويكاد يبكي وهو ينشد:

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام
لا أوحش الله منك يا شهر القيام
لا أوحش الله منك يا شهر الولائم
لا أوحش الله منك يا شهر العزائم
لا أوحش الله منك يا شهر الجود والكرم

وتمرّ الأيام والسنون ويظلّ المسحراتي ملمحاً مميزاً من ملامح الشهر الكريم.

المراجع

(١) مصطفى عبدالرحمن، رمضانيات، سلسلة اقرأ الثقافية، العدد ٤٨٨، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

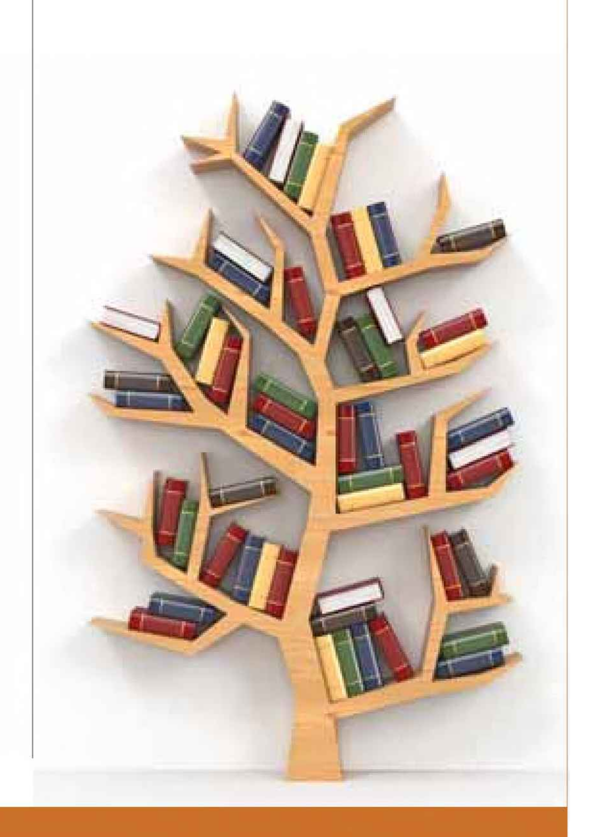
(٢) صلاح حسين شهاب الدين، المسحراتي المصري، مجلة الفيصل، العدد ٣٠٣، دار الفيصل، السعودية، ٢٠٠١م.

(٣) عبده عرفة علي، رمضان في الزمان الجميل، كتاب الجمهورية، مصر، ١٩٩٩م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) حسن عبدالوهاب، رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٦م.

(٦) محمد أبو الوفا، المسحراتي تراث وقيمة اجتماعية، المجلة العربية، العدد ٤٤، السعودية، ٢٠١٣م.



تفاصيل

عبدالله الكويليت

- أمشي بمحاذاة الخيبة لا خلفها ولا أمامها!
- في انتظار أمل يطلُّ من بابٍ مغلقٍ!
- أيّ رُوح تلك التي انتشلتها من المحبرة؟
- أمام سوط المطلق تدمى ذواتنا كلَّ يوم؛ إلا أننا نرتقُها بخيوط الأمل الواهية كي نستطيع البقاء!
- اللذّة - أيّ لذّة - كائن مشبوه في مجتمعنا!
- الفرح أكبر الثائرين حين يستغفر منه المجتمع!
- على انفراد تمطرني غيمة القلق بسكاكينها كلما نادمت نومي في فناء النعاس!
- مجتمعنا بَصَلةٌ من الفولاذ تخفي كلّ خرافاتها في لبِّها الأعمق.. تقشير هذه البَصَلة يحتاج إلى أيادٍ فولاذية لا يخيفها ضجيج الاحتكاك أو الشرار المنبعث منه!
- عندما أجلس في مقهى من مقاهي الحرية أكتشف أن تخلُّفي ينظر إليَّ شزراً من المقعد المجاور!
- أنت تفكر؛ إذاً أنت كتاب ناتئ على الرفّ!
- الماضي لدينا كالنبيذ للإنسان الغربيِّ؛ كلما ازداد قِدَماً زاد الولع به!!
- في مجتمعنا هناك من (يجتهد) في زراعة الأمل، وهناك من (يقاتل) لإبقاء حقول الخرافات!
- على ضفاف الحواسّ ينبت القلق..
- طوبى للكلمات حين تتزيَّن بالغيم، وتتدثَّر بوشوشة حَبَقٍ برِّيٍّ انسلَّ من نسمة عابرة!
- حين تدغدغ الريح ستارة النافذة يقفز إليها فضول مستفز!
- الأسئلة أبناء اليقين الذي لم يعترف بهم؛ لأنه ضاجع أنوثة الشكّ في ليلة مُغْبِشة!
- البدعة سمكة ثائرة في نهرٍ ساكن.
- انحنى القلق احتراماً حين مرّ به الحزن..
- جلدت الريح صورتي في الماء ولم أنتقم!
- كعصفورٍ مبتدئٍ أطير خلف وهم مُحَنَّك..
- اللايقين هو يقين مرتبك!
- إذا سقط سقوطُنا ارتفعْنا!
- في حضرة اللذة كلُّنا فرائسُ!
- تُعذِّبُنا الحريةُ، وتعذبُنا الطبيعةُ؛ لذا نتداوى بعَذابات السفر!
- لا يحب الحياة إلا مَن غازَل تفاصيلها!





تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ – ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨


جمعية
الأطفال
المعوقين
Disabled Children's Association


جمعية وطن



